الجهل المكتوب

مسكين هو هذا القارىء العربي . نسقيه فيموت عطشا الى عذوبة الماء .
ونطعمه فيموت جوعا الى نقاوة الطعام. ونؤدبه فيبقى في الحرمان الى اعماق الادب .
ونعلمه فيظل عقله بعيدا عن حقائق العلم واغوارالمعرفة .

ويتخبط على ارضه ، كأنه التائه الغريب الذي يجهل ارضه ، فتضل به طريق الحياة الى خيرات ارضه .

نطعمه ، نحشوه بالمآكل والمشارب حشوا . وطعامنا هو السم ، وشرابنا هو السم فدونك كتبنا ، فهي في جوهرها على افقر ما يكون الكتاب ... ونتباهى باننا نترجم ولا نترجم الا الشائع الرائج ، او القوي الذي نجعله في تشويش الترجمة مهلهلا اضعف من الضعيف . وننقل مذاهب القلب . وننقل مذاهب العقل ، فاذا بالفروع من غير اصول . لقد نبتت في هلهلة اقلامنا الفروع على غير الجذوع .

فاي اصل من اصول العقل ، من اصول القلب، غرسناه غرسا، وركزناه في ارضنا تركيزا.

نقرأ الهوامش ونترك المتون ، ونصب في جدلنا على ضعفنا الهوامش متونا .

فشل في التاليف ، فشل في الترجمة ، فشل في التوجيه .

نحكم احكامنا في مبادىء الحياة على اضعف ما تكون حجة الحكم، وعلى غير ما هي ماهية الحياة.

اقوى ما راج في سوق الامة من المكتوب هو الجهل المكتوب .

وناكل من هذا الجهل المكتوب . ونغذي ابناءنا من مآدب هذا الجهل المكتوب .

فعلى هذه الامة ان تختار اول ما تختار اذا كان لها بعد من قوة الغلبة على الاختيار وان تنشىء اول ما تنشىء : مؤسسة فوق كل مؤسسة ، تدلنا على ما نقرأ ، تدلنا على ما ننشر ، على ما نغني ، على ما نلحن . تعلمنا كيف نرقص وكيف نضحك وكيف نبكي وكيف نقول .

تعلمنا كيف نترفع في مستوى الفكر ، في مستوى القلب الى قمة الحياة .

اذا كان للطعام حارس ورقيب ، وللشراب حارس ورقيب ، وللباس حراسة ورقابة افلا نقيم للفكر رقيبا مشيرا ، وللقلب رقيبا دليلا .

من يتجرأ فيبني معنا في قلاع هذه الامة برج الرقابة .

ان القارىء العربي لفي خطر ، متعلم وهو جاهل لا يقرأ ، افلا تراه في سوق المعرفة يمضغ الورق الذي لا يقرأ .

فاذا اعطيت . فاذا خلقت . فاذا ابدعت . فاذا سكبت قلبك على قباب عقلك ضحك منك قارؤك .

نحن في زمن الخفة . امة اثقل ما تحمل خفيف .

والعقل ثقيل . والقلب اثقل من الثقيل .

والامة التي لا يشغلها الثقل هي الامة التي ينتحر ضميرها في العطش والجوع .

الياس خليل زخريا

اسماعيل صبري شاعر الغناء المصري

بقلم الدكتور محمد مندور

يتميز اسماعيل صبري وتظهر اصالته في الشعر الغنائي الذي يتحدث فيه عن نفسه او بمعنى ادق ـ عن عاطفتين انسانيتين كبيرتين شغلتاه كما شغلتا الكثيرين من الادباء والشعراء ، بل والعاديين من الناس ، وهما العاطفتان اللتان تثيرهما فكرتا الحب والموت ، وذلك بينما جرى في مدائحه الكثيرة وتهانيه في الدروب المطروقة ، وقلد الاقدمين او استوحاهم معانيه ، حتى استطاع الشاعر احمد محرم ان يحرر في سبتمبر سنة ١٩٣٤ عددا خاصا من مجلة ابولو ، استنفد معظم صفحاته في تتبع المعاني التي اخذها صبري من القدماء ، وجاء الاستاذ عمر الدسوقي في الجزء الثاني من كتابه « في الادب الحديث » ص ٥٦ـ٣٠٥ فاخذ الكثير من ملاحظات احمد محرم وتنقيباته ، وجعل من اسماعيل صبري مثلا للمدرسة التقليدية وخصائصها ، على حين كان بعض الكتاب والادباء والنقاد الاخرين اكثر انصافا لاسماعيل صبري ، مثل الدكتور محمد صبري الذي اصدر كتيبا عن اسماعيل صبري ، ثم عاد فادمج هذا الكتيب في كتابه المعنون « ادب وتاريخ » ص ٨٥ـ١٢٨ ، والدكتور محمد حسين هيكل في كتابه « تراجم مصرية وغربية » ص ١٨١ـ١٩٥ ، والاستاذ العقاد في كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي » ص ٣٢ـ٣٩ ، ثم الاساتذة طه حسين ، وانطون الجميل ، واحمد امين ، واحمد الزين ، في المقدمات التي صدروا بها ديوانه .

فكل هؤلاء لم تغب عنهم اصالة اسماعيل صبري ، وقد راوها في روحه الحضرية الرقيقة المرهفة ، وهي روح تتجلى بنوع خاص في شعره الغنائي ، وهو شعر لا نسميه غنائيا آخذا بالاصطلاح الاوروبي فحسب ، بل نسميه بهذا الاسم لانه يصلح فعلا للغناء ، وقد تغنى المغنون ببعض مقطوعاته ، كما تضمن ديوانه في التذييل عدة مقطوعات غنائية كتبها اسماعيل صبري بالعامية ، ولحنها كبار الملحنين في عصره كمحمد عثمان ، وان يكن حكم هؤلاء النقاد قد اختلف بعد ذلك على هذه الروح الحضرية او القاهرية العذبة المرهفة .

فالعقاد يرى ان الحياة غير تلك الحياة ، وان الطبيعة الانسانية ارحب وارفع واقوى واعمق من الطبيعة الصبرية ، وان النعومة كالطفولة الضعيفة ، تروقنا بعض الاحيان ، ولكننا لا نلتزم لاجلها الطفولة ابد الزمان . وذلك بينما يعلق طه حسين مثلا على مقطوعة صبري الشهيرة :

اقصر فؤادي فما الذكرى بنافعة ... ولا بشافعة في رد ما كانا
سلا الفؤاد الذي شاركته زمنا ... حمل الصبابة فاخفق وحدك الآنا

« هل تعرف روحا اعذب من هذا الروح ، وعاطفة اصدق من هذه العاطفة ، ولهجة ارق من هذه اللهجة ، وموسيقى اجل واظرف ، واحسن تمثيلا للروح المصري الشعبي من هذه الموسيقى التي يلائم بها بين نافعة وشافعة في البيت الاول ، باخذ هاتين الكلمتين من حديث الشعب في حياته اليومية العادية ، فيرتفع بهما الى اشد الشعر روعة واعظمه حظا من سذاجة ، وهل تجد شيئا من الغرابة في ان يغني بهذا الشعر بعض المغنين » .

وبالمثل يطرب محمد حسين هيكل بروح « ابن البلد » او رجل الصالونات والمجتمعات التي يحسها في شعر صبري الغنائي ، كما يسميه الدكتور محمد صبري بشاعر الذوق هذا ولعل الانسة مي قد وصلت الى الحق في حكمها على شعر اسماعيل صبري بفضل احساسها الانثوي المرهف عندما قالت في كتابها « الصحائف » ص ١١٦ـ١٢٨ « انه ينبوع صغير بلوري المياه عذبها ، ينبوع يرشح المرة البيت والبيتين والثلاثة ابيات ، وينتظم مرة اخرى تسلسله « المكرر » اللماع الملون ، على انه غير فياض ، لا يدهش بروعته ، ولا يرهب بجلاله ، انما يجذب بحسنه المانوس ، ويرضي ببساطته وجماله ، ويدخل الطرب على النفس الطروبة برقة عواطفه وسلاسة الفاظه ، واتقان نظمه ، وهل الطف من الينبوع الصغير في تدفقه الموزون بلا تهور ؟ وهل اقرب منه الى ارواء الظما ؟

هذه هي الصفات ـ يسيطر عليها دواما الذوق الدقيق المصفى ـ التي جعلت من صبري باشا ـ على بضاعته المحدودة ـ شاعرا كبيرا ، اذا نظم وقعت شاعريته من نفسك في مكانها الخاص بها ، وصارت جزءا من كاستك الغنائية ، تتناولها حافظتك بلا اجهاد ، ويشربها فيك كاسا منعشة ، قد تخالطها مرارة مستحبة ، غير انها لا تجدد منك عطشا ، ولا تقلق عندك غورا ، ولا تبعث فيك هوس الطيران والغوص والمخاطرة » .

هذا هو اسماعيل صبري الذي ولد بمدينة القاهرة في ١٦ فبراير سنة ١٨٥٤ ، والتحق بمدرسة المبتديان في ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٦٦ ثم بمدرستي التجهيزية والادارة ، واتم دراسته بمصر في نوفمبر سنة ١٨٧٤ ثم التحق بالبعثة المصرية الى فرنسا ، ونال ليسانس الحقوق من جامعة اكس آن بروفانس في ٢٠ مايو سنة ١٨٧٨ ، ولما عاد من فرنسا عين مساعدا للنيابة بمحكمة مصر المختلطة ، ثم نائبا ثم قاضيا ، وتنقل في مدن القطر الكبيرة اثناء مزاولته النيابة والقضاء حتى كان اول مصري تولى منصب النائب العام لدى المحاكم الاهلية في ٥ ديسمبر

سنة ١٨٩٥ ، ثم عين محافظا لمدينة الاسكندرية فوكيلا لوزارة الحقانية في ٦ نوفمبر سنة ١٨٩٩ ، واعتزل الخدمة في ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٧ ، وانتقل الى رحمة الله في ٢١ مارس سنة ١٩٢٣ بمدينة القاهرة .

هذه بعض المعالم والتواريخ التي استقاها ناشر ديوانه من ملف خدمته الموجود في دار المحفوظات ، وهــي معلومات جافة لا تسعف كثيرا في التعرف على بيئته وجو اسرته ، والمؤثرات الاولى التي تحكمت في تربيته وتوجيهه نحو الشعر ، واعطاء حياته ذلك الطابع الارستقراطي الخاص الذي عزله عن عامة الشعب ، واحاطه ببيئة خاصة حتى جاء شعره غير منفعل باحداث مصر الكبرى ، واحداث العالم التركي او العالم العربي المتصلين بمصر على نحو ما نشاهد عند ولي الدين يكن مثلا ، حتى اننا عند دراستنا له لم نحاول ان نبحث له عن آراء في السياسة او الاجتماع ، وعن شعر او ادب يتضمن تلك الآراء ، فاسماعيل صبري ابعد ما يكون عن هذا الاتجاه، وكل شعره لا يكاد يخرجعن نوعين :

اما شعر تقليدي في المدح والتهاني لاسماعيل وتوفيق وغيرهما من ذوي الجاه والسلطان ، يمدحهم ويهنئهم ، ويؤرخ لهم في شعره ، ويجري في مدحه وتهنئته عــلى التقاليد القديمة المتوارثة ، والقوالب والصفات المتداولة والمحسنات اللفظية المعروفة من جناس وطباق ومقابلة وماإليها

وهو يبتدىء هذه القصائد بالغزل على نحو ما فعل في اول قصيدة كتبها تهنئة للخديوي اسماعيل بعيد الاضحى سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠) أي عندما كان الشاعر في السادسة عشرة من عمره ، طالبا بمدرسة الادارة والالسن ، وقد نشرت له بعدد نهاية شوال من مجلة روضة المدارس المصريـــة ، يقول فيها :

سفرت ، فلاح لنا هــلال سعــود   ونمــا الغرام بقلبي المعمــود
وجلت على العشاق روض محاسن   فسقى الحياء شقائق التوريــد
ورنت باحـور طرفهــا وتبسمت   فبدا ضيــاء اللؤلؤ المنضــود
يا ربة الطـرف الكحيـل تعطفـي   وعـلى محبــك بالمودة جودي
جودي ولو بالطيف في سنة الكرى   وصلــي برغـم مفنـد وحسـود
قسما بما يرضيك في صدق الوفا   ما حلت عنــك بسلوة وصدود
انا قائم ابـدا بمفروض الهوى   مستبـدل للنـوم بالتسهيــد
فالى متى ولهي وفـرط صبابتي   وسرور عذالي وخلـف وعـودي
والى متى ذا الصبر عن مضنى الهوى   عودي ليـورق بالتواصـل عـودي
واستأنــسي موصول عائـد انسنـا   فالقرب عيـدي والبعـاد وعيـدي

الى ان يقول :

ليطيــب لــي فــي حبها ذلي كمـا   في مدح اسماعيـل لــذ نشيـدي

ثم يستمر في كافة قصائد المدح والتهنئة ، ولا يقلع عن الطريقة التقليدية الا في بعض المقطوعات الصغيرة .

واما النوع الثاني من شعره فهو شعره الذاتي الذي يصدر فيه عن مزاج أصيل قد نستطيع التقاط ملامحــه من ذلك الشعر نفسه ، ولكنه من الشاق تفسيره ، وهــذا المزاج هو ما وصفه البعض بانه مزاج قاهري ، او مزاج رجل الصالونات ، او مزاج النديم ، وذهب البعض من تفسيره الى انه طبع جبل عليه اسماعيل صبري الذي ولد انيقا مرفها ، حتى لقد برع في فن الخط ، واوشك ان يتخذه مهنة ، لولا ان صرفه عن ذلك علي مبارك باشا ، الذي ضن بمواهبه ان تقف عند هذه المهنة ، فدفعه الى السير قدما فــي الدراسة ، ثم في الحياة . ولكن تفسير الطبع والجبلة لا يعتبر في الواقع تفسيرا ، وانما هو تسجيل لواقعة راهنة ، ولذلك اخذ بعض النقاد يبحثون عن تفسير لهــذا المزاج الرقيق المرهف في بيئة القاهرة ومجالس الظرفاء فيها ، فقال الاستاذ العقاد :

« واذا اتيح لك ان تحضر مجلسـا مــن مجالس الظرفاء القاهريين في الجيل الماضي ، خيل اليك انك في حجرة رجل نائم مريض ، فالكلام همس ، والخطو لمس ، والاشارة في رفق ، وسياق الحديث لا امعان فيه . فــي هذه البيئة نشأ اسماعيل صبري ، الشاعر الناقد البصير بلطائف الكلام ، فنشأ على ذوق قاهري صادق ، يعرف الرقة بسليقته وفكره ، وليس يتكلفها بشفتيه ولسانه » .

ولكن هذه البيئة القاهرية ، ومجالس الظرفاء فيها ، لم تكن تضم اسماعيل صبري وحده ، بل ضمت غيره ممن يخالفونه مزاجا وشعرا مخالفة كاملة مطلقة ، كولـي الدين يكن ، الذي عاش مع اسماعيل صبري في نفس البيئة ، بل وغشي معه مجالس مشتركة مثل ندوة الانسة مــي ، ومع ذلك فأين ولي الدين يكن الدائم الانفعال والعنف، من صبري الهادىء الوديع المسالم الذي يقول :

اذا خانني خـل قديم وعقنــي   وفوقت يوما في مقاتله سهمــي
تعرض طيف الود بينـي وبينــه   فكسرت سهمي وانثنيت فلم ارمي

كما يقول :

اذا ما دعــا داع الى الشرمـرة   وهزت ريــاح الحادثات قنــاتي
ركبت اليه الحلــم خير مطيــة   وسرت اليــه من طريـق انــاتي

بل لقد ينساه الناس ، ولا يعود يذكره احد ، وكانه حي ميت ، فلا يثور ، ولا ينفعل ، ولا يسخط ، بل يعروه اسى رقيق ، يعبر عنه بقوله :

اين صبري من يذكر اليوم صبري   بعــد اعــوام عزلة وشهــور
اسالوا الشعــر فهو اعلم هــلا   أكلتـه الاسمـاك طـي البحـور .

وهذه انفس الهادئة المطمئنة لا يخيفها الموت نفسه ، ولا تثور منه ، بل تدعوه ان يحث الخطى حيث يقول :

يا موت هــا انــذا فخــذ   مــا ابقت الايام منــي
بينــي وبينـــك خطـوة   ان تخطهــا فرجت عنــي

ولا غرابة في ذلك ، فمزاجه الهادىء قد اوحى اليه بفلسفة مماثلة عن الحياة والموت فقال :

ان سئمت الحياة فارجع الى الارض   تنــم آمنــا مــن الاوصــاب
تلك أم احنى عليــك مــن الام   التــي خلفتــك لــلاتعــاب
لا تخــف فالممات ليس بمــاح   منـك الا ما تشتكي مـن عـذاب
وحيــاة المرء اغتــراب فـان مــا   ت فقــد عاد سالمــا للتــراب

والواقع ان كل محاولة للتفسير لا بد ان تصل في النهاية الى جوهر الشخصية الانسانية الذي لا يمكن تفسيره والذي به يتفاوت الادباء والشعراء ، بــل يتفاوت الناس قاطبة ، ففي داخل كل شخصية بشرية يوجد ذلك الجوهر، وتلك النواة التي يتميز بها العنصر الاصيل في كل فرد ، وانما تأتي العوامل الخارجية لتعزز الاتجاهات الفطرية او تخفف من حدتها ، او تخفي من معالمها ، وعلى هذا الاساس يمكن ان نقبل ما يقال فيتفسيرمزاجهذاالشاعرالاديباوذاك .

هذا ولاسماعيل صبري قصيدة نشرها في سنة ١٩٠١ تحت عنوان « لواء الحسن » اكبر الظن انها كانت

احقاد صغيرة

من مجموعة «لكل حب قصة» تصدر قريبا

✳

حتى مساء الخير لا نقولها ... وبسمة العرفان ، لا نطولها
حتى العيون وهي في بروجها ... شامخة" ، تجفت اذ نجيلها
ماذا ترى جرى لنا .. كأنما ... خطيئة" قد وضحت أصولها
حادثة" مرّت بنا .. صغيرة" ... في كل يوم .. مئة" .. مثيلها
لو سأل الناس فماذا ينبغي ... عليّ أن أقول .. هل أقولها
اذن .. ففي أعماقنا ضغائن ... لم ينكشف بعد لنا مجهولها
وكلّ ما كان هوىً مختلق" ... ونزوة" سرعان ما نزيلها

✶ ✶ ✶

أسأل نفسي الآن عن قصتنا ... ترى انتهت .. وعبثاً نطيلها
واذ أنا أقول في بساطة : ... كلا !. ولكن كيف .. ما سبيلها
لو أننا عدنا .. أما من عشرة ... بعد .. وان صارت.. فمن يقيلها

دمشق ... شوقي بغدادي

القصيدة التي وجهت الباحثين والدراسين كل وجهة في دراستهم لصبري ، ومحاولة تفسير مزاجه ، واكتشاف المؤثرات التي ساهمت في تكوين هذا المزاج ، وتوجيه شعره ، وها هي ذي القصيدة :

يا لواء الحسن احزاب الهوى ... ايقظوا الفتنة ، في ظل اللواء
فرقتهم في الهوى ثاراتهم ... فاجمعي الامر وصوني الابرياء
ان هذا الحسن كالماء الذي ... فيه للانفس ري وشفاء
لا تذودي بعضنا عن ورده ... دون بعض واعدلي بين الظماء
انت يم الحسن فيه ازدحمت ... سفن الآمال يزجيها الرجاء
يقذف الشوق بها في مائه ... بين لجين : عناء وشقاء
شدة تمضي وتأتي شدة ... تقتفيها شدة هل من رجاء
ساعفي آمال ابناء الهوى ... بقبول من سجاياك الرخاء
وتجلي واجعلي قوم الهوى ... تحت عرس الشمس في الحكم سواء
اقبلي نستقبل الدنيا وما ... ضمنته من معدات الهناء
واسفري ، تلك حلى ما خلقت ... لتوارى بلثام او خباء
واخطري بين الندامى يحلفوا ... ان روضا راح في النادي وجاء
وانطقي ينثر اذا حدثتنا ... ناثر الدر علينا ما نشاء
وابسمي ، من كان هذا ثغره ... يملأ الدنيا ابتساما وازدهاء
لا تخافي شططا من انفس ... تعثر الصبوة فيها بالحياء
راضت النخوة من اخلاقنا ... وارتضت آدابنا صدق الولاء
فلو امتدت امانينا الى ... ملك ما كدرت ذاك الصفاء
انت روحانية لا تدعي ... ان هذا الحسن من طين وماء
وانزعي عن جسمك الثوب يبن ... للملا تكوين سكان السماء
وارى الدنيا جناحي ملك ... خلف تمثال مصوغ من ضياء

نعم ان هذه القصيدة هي التي طغت على كافة ما كتب عن صبري ومزاجه القاهري ، والصالوني ، فكل من كتبوا عنه استندوا اليها لكي يظهروا ان مزاج صبري ليس مزاج شاعر حاد منفعل ، بل مزاج نديم او رجل صالونات ، او ظريف من ظرفاء القاهرة ، بل ذهب البعض الى تفسير هذا المزاج بتأثير الادب الفرنسي او على الاصح اللامرتيني الدمس تفاعل وانسجم مع قاهرية صبري، فقال الاستاذ العقاد:

« ولما تهيأ لاسماعيل صبري ان يتلقى العلم في فرنسا ويطلع على آدابها وآداب الاوروبيين في لغتها ، كان الاتفاق العجيب ان اطلع على الآداب الفرنسية وهي في حالة تشبه حالة الذوق القاهري من بعض الوجود، لانها كانت تدين على الاكثر الاغلب بتلك الرفاهية الباكية التي كان يمثلها لامرتين واخوانه الارقاء الناعمون» . بل وتعسف التفسير بعض الاساتذة الباحثين مثل الاستاذ عمر الدسوقي، فعلق على بيت صبري:

وانزعي عن جسمك الثوب يبن ... للملا تكوين سكان السماء

بقوله : « وعجيب من صبري المهذب الرقيق الحاشية ، رجل النادي الذي اشتهر بانه لا يفحش ان يطلب من

محبوبته ان تنزع الثوب عن جسمها ، امام الندامى ، بل امام الملأ اجمعين ليروا تكوين سكان السماء ، ولا شك ان هذه فلتة من فلتات صبري ما فطن اليها » ثم يشمل المقطوعة كلها بتعليقه فيقول : « ان صبري شغل في هذه القطعة — مقتفيا اثر المدرسة الفرنسية — بمحاسن المحبوب الظاهرة عن الكشف عن عوالج نفسه ، ومكنون قلبه ، وبث لوعته وحرقة فؤاده ، فهو ينظر اليها نظرة مادية رخيصة ، يريدها ان تسفر لان هذا الحسن لا يصح ان يتوارى ، ويريدها ان تخطر بين الندامى ويتمتعوا بجمالها كانهم في سوق الرقيق ، ويريدها ان تتحدث وتبتسم ، يبرئه مما وصف به نفسه ونداماه من العفة ومن انها ملك . انه تقليد مزدوج للعرب القدماء ، وللمدرسة الفرنسية على السواء » .

ونحن نصف هذا التفسير بالتعسف ، ولكنه — في الواقع — خطأ في الفهم ، فالبيت الخاص بنزع الثوب لا يمكن فصله عن البيت السابق له وهو :

انت روحانية لا تدعي ... ان هذا الحسن من طين وماء

كما لا يمكن فصله عن البيت الذي يليه وهو :

وارى الدنيا جناحي ملك ... خلف تمثال مصوغ من ضياء

فالابيات الثلاثة تشكل رؤية شعرية واحدة ، يزعم الشاعر فيها ان الفتاة روحانية ليس جسمها من طين وماء ، وانما هي تمثال مصوغ من ضياء ، وبها جناحا ملك ، وهو يريد منها ان تنزع الثوب لكي تثبت صحة رؤيته الشعرية ، فلن يظهر عندئذ جسم بشري ، بل تمثال مصوغ من ضياء ، هو تكوين سكان السماء ، وبذلك لا تكون هناك فلتة من صبري ، ولا يكون هناك سوق للرقيق ، ولا عرض لجسم عار بين الندامى ، وانما هناك رؤية شعرية روحية .

واما عن المدرسة الفرنسية التي حرص العقاد على ان يحددها بالمدرسة اللامرتينية ، وجاء عمر الدسوقي فعممها على الادب الفرنسي كله ، واستند على البيت الخاص بنزع الثوب لكي يهاجم صبري ومن خلفه الادب الفرنسي ، بدعوى ان الادب الفرنسي لا يعنى الا بمحاسن المحبوبة الظاهرة دون الكشف عن لواعج النفس ، ومكنون القلب وبث اللوعة ، وحرقة الفؤاد ، فكل هذا لا يمكن ان يقره دارس للادب الفرنسي ، وذلك لان الادب الفرنسي لا نعرف انه يعنى بمحاسن المحبوبة دون الكشف عن لواعج النفس وحرقة الفؤاد ، وانما نلاحظ ذلك على فترة واحدة من فترات الادب العربي لا الفرنسي ، وهي فترة الادب الجاهلي ، حيث كان الشعراء يحرصون على وصف محاسن المحبوبة دون لواعج النفس ، وذلك لان الادب الجاهلي كله يمتاز بالوصف الحسي لكافة ما كان يقع تحت بصر شعرائهم . اما عن المدرسة اللامرتينية فالبون شاسع بينها وبين اسماعيل صبري ، والا فاين عند صبري تلك الرفاهية الباكية التي كان يمثلها لامرتين واخوانه الارقاء الناعمون فيما يقول الاستاذ العقاد ؟ ! !

وانه لمن الغريب ان يشيع في بعض الاوساط المصرية العربية وذلك الفهم الخاطىء لطبيعة المزاج الفرنسي والشعب الفرنسي ، حيث يتوهم البعض انه شعب ميوعة وادب ميوعة، وهذا خطأ ضار . فالمزاج الفرنسي انفعالي حاد لا رخو مائع ، فلقد يدفعهم الانفعال الشديد الى الحمق او سوء التصرف ، ولكنهم ابعد ما يكونون عن التخنث والنعومة ، وعاطفة الحب عند لامرتين عاطفة حارة رفيعة ، تمتزج بحب الطبيعة ، بل وبحب الله ، في وقدة احساس صوفي حار ، يستطيع من لا يعرف الفرنسية من الادباء العرب الاحساس بحقيقتها من مطالعة قصة رفائيل او بعض القصائد التي ترجمت مثل قصيدة البحيرة التي ترجمها الاستاذ احمد حسن الزيات مترجم رفائيل ، بل لقد سمَّى لامرتين ديوانه « التأملات » .

وقصيدة لواء الحسن قد حملها النقاد والباحثون في الواقع اكثر مما تحتمل ، او غير ما تحتمل عندما استندوا اليها ليتخذوا منها مرآة لمزاج صبري ونفسيته ، واستنبطوا منها انه ليس بشاعر ولا عاشق مدله ، وانما هو نديم فاتر لا يغار على المحبوبة ، ولا يود ان يستأثر بها دون غيره .

والواقع ان لواء الحسن او المراة الجميلة التي يتحدث عنها اسماعيل صبري في هذه القصيدة ليست امرأة مبتذلة ولا نهبا للاطماع ، وانما هي امراة روحانية تقصر عن التطلع اليها شهوات النفوس ، وليس في القصيدة اية نغمة حسية او مستهترة او مبتذلة ، وهي ابعد ما تكون عن روح الندماء ومجالس الظرف او الخلاعة ، وكل هذا يغرينا بان نرجح انها قصيدة تعبر عن تجربة بشرية صادقة شريفة ، بل وان نميل الى الاعتقاد بانها قيلت في الانسة مي زيادة بالذات .

نعم ان هناك صعوبات في ضبط التواريخ ، فان ناشر الديوان يقول بان قصيدة لواء الحسن نشرت في سنة ١٩٠١ والدكتور منصور فهمي يرجح ان الانسة مي ولدت بين عام ١٨٨٥ او عام ١٨٨٦ ، واذا صح هذان الخبران معا يكون معنى ذلك ان صبري قال هذه القصيدة ومي في الخامسة عشرة او السادسة عشرة من عمرها .

ولكننا على اية حال لا نستطيع ان نجزم بصحة هذين التاريخين ، فقد تكون القصيدة احدث تاريخا ، وقد تكون مي اقدم ميلادا ، ومع ذلك فاذا صح تاريخ ميلاد مي السابق ، وقورن بما هو مؤكد رسميا من ان ميلاد صبري في ١٦ فبراير سنة ١٨٥٤ يكون ما بينه وبينها من فارق السن ثلاثين عاما على الاقل .

ولكن هناك في ديوان صبري بيتين ص ١٢٨ يذكران الانسة مي بصريح اللفظ ، وقد ارسلهما اليها وكان على سفر يمنعه من حضور ندوتها الاسبوعية التي كانت تعقد يوم الثلاثاء :

روحي على دور بعض الحي حائمة ... كظامىء الطير تواقا الى الماء
ان لم امتع بمي ناظري غدا ... انكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

وفضلا عن ذلك فان لدينا مقطوعة اخرى تصدر عن نفس الروح التي صدرت عنها قصيدة لواء الحسن وقد ارخها الناشر بسنة ١٩٠٩ وهي :

يا راحة القلب يا شغل الفؤاد صلي ... متيما انت في الحالين دنياه
زيني الندي وسيلي في جوانبه ... لطفا يعم رعايا اللطف رياه
ريحانة انت في صحراء مجدبة ... من الرياحين حيانا بها الله
ان غاب ساقي الطلا او صد لا حرج ... هذا جمالك يغنينا محياه

وسواء كانت قصيدة لواء الحسن وامثالها قد قيلت في الانسة مي او في فتاة او سيدة مهذبة كريمة مثلها ، فاننا في كلتا الحالتين نستطيع ان نجزم بان هذه القصائد لم يقلها صبري متأثرا بالادب الفرنسي ، بل قالها عن تجربة واقعية ومزاج شخصي .

القاهرة — **محمد مندور**

ســـــــدوم

✳

لخليـل الحـاوي

○

الجامعـة الامريكيـة ببـيروت

✳

ماتت البلوى ، ومتنا من سنين ،
سوف تبقى مثلما كانت ليالي الميتين :
لا اذّكار يلهب الحسرة من حين لحين
لا فصول ...
سوف تبقى خلف مرمى الشمس والثلج الحزين ؛
ليس ُيجدينا ابتهال يجتدي العاتي اللعين ،
يجتديه بعضَ ما استنزف منا ،
بعضَ اشراق الرؤى ، بعضَ اليقين
بعضَ ذكرى !
ايُ ذكرى ، ايُ ذكرى ؟
ايُ ذكرى من فراغ ٍ ميتِ الافاق ... صحرا ،
مسحت ما قبلها ثم اضمحلت ،
وامّحى من بعدها طعمَ السنين .
هي ذكرى ذلك الصبحِ اللعين ،
كان صبحاً شاحباً اتعسَ من ليل حزين ،
كان في القرية ضيق ،
ومخاض ناء بالغصّات مكتومَ الانين
كان في الآفاق والارض سكون .
ثم صاحت بومة ، هاجت خفافيش ،
دجا الافقُ ، اكفهرّا ،
ودوتْ جلجلة الرعد فشقتْ سحبا حمراء حرّى
امطرت ملحا وكبريتا وجمرا ،
وجرى السيل جحيماً مستحرّا
احرق القرية ، عرّاها ، طوى القتلى ومرّا .
عبرتنا محنةُ النار ، عبرنا هولَها قبراً فقبرا ،
وتلفّتنا الى مطرح ما كان لنا بيتا وسمارا وذكرى ،
فاذا اضلعنا صمتُ صخور ،
وفراغ ميّتُ الافاقِ ، صحرا ..
واذا نحن عواميد من الملح ،
مسوخ من بلاهات السنين ،
انْ تذكّرْ عابرَ الدربِ بحال الميتين
فهي لا ُتذ"كرُ، جوفاء.. بلا يوم..بلا امس وذكرى

الى فتاة العصر

*

قلبيَ عصفورٌ زجاجْ
لألأ في حلقة حورْ
أرهفه ظرفُ سياج
مِن نسج ألحاظ الشعور

مطارُه حرٌّ عجاج
أثاره ضنكُ الخدور

مغاصه حقٌّ أجاج
فجَّره غيظٌ صبور

مِشيته بريق عاج
رنَّحه أنس الخصور

لفتته خفْق سراج
أيقظه لمح السفور

رفّته جرْس ابتهاج
صدى ابتسامات النحور

قلبيَ عصفورٌ زجاج
أفنانه أنفاس نور

القاهرة — بشر فارس

في المدارس الفنية المعاصرة

بقلم محمود السمره

يسود العالم المتقدم ثقافيا في ايامنا هذه صراع فني لا يقل عن صراع المذاهب السياسية والفلسفية . فالفن الحديث تتنازعه الان مدارس او مذاهب كثيرة ، كل منها تعبر عن نظرات الى الحياة ومفاهيم للقيم مختلفة . وليست هذه المدارس محدودة ، فالفكر الانساني بابداعه الذي لا يحد ، يستطيع ان يطلع علينا كل يوم بالجديد المدهش ومن احدث الاتجاهات الفنية ما جاء به الفنان المعاصر المشهور (بيكاسو) الذي يمثل اتجاها جديدا في الفن يرى ان الفكر الانساني هو اساس الابداع الفني ، وعلى هذا تكون الانفعالات العاطفية عند الشاعر او الرسام من هذه المدرسة الفكرية نقطة البدء . اما الهيكل الباقي للاثر الفني فيتولى الفكر وضعه في القالب الذي يختاره .

والواقعية كلمة من اغمض الكلمات في النقد الفني ، ولكن هذا لا يحول دون الاكثار من استعمالها ، ولعل سبب هذا الغموض في استعمالها راجع الى ان النقد الادبي قد استعار هذه الكلمة من الفلسفة . فالواقعية تعتمد على الحواس لتصور بأدق ما تستطيع المشاهد المرئية والفنان الواقعي موضوعي في نظرته الى الحياة : يصفها كما يراها دون زيادة او حذف او تحريف . فالفن الواقعي اذن هو الذي يحاول جاهدا تصوير الاشياء كما تظهر للعين ، وهو بهذا يشبه الفلسفة الواقعية : كلاهما معتمد على الايمان بكمال ما يشاهد ويرى . والمدرسة التأثيرية في القرن التاسع عشر كانت مدرسة فنية من هذا النوع ، ولكن هذه المدرسة التأثيرية كانت تجمع بين الواقعية في طريقة التعبير والنظرة المثالية الى الحياة . اما الواقعية بمعناها الشائع الان فنجدها عند (روبنز) و (بروجل) .

وفي الاجتماع الذي عقد في بروكسيل سنة ١٩٣٠ للدراسات الفنية ، القى الاستاذ جورج مارلييه محاضرة قيمة بين فيها كثيرا مما غمض من شؤون الفن وقد ميز بين الواقعية التي يفهم منها انها النقل الحرفي المطابق للواقع ، وبين الواقعية التي هي تصوير للحياة البسيطة وبين ان الدارسين كثيرا ما يخطئون في فهم واقعية الفن الفلمنكي عندما يظنون ان هذه الواقعية هي من النوع الاول الذي تحدث عنه . ولكن المستعرض للفن الفلمنكي منذ القرن الخامس عشر لا يجد فيه ابدا فنا قائما على نقل الطبيعة كما هي ، انه فن بورجوازي املته حاجات الطبقة البورجوازية ، حتى « العذراء » في صورهم ليست اكثر من ربة بيت فلمنكية ، فغاية الفن – كما عبر عنها بروجل – هي تصوير الواقع الذي هو كامل في ذاته .

اما المدرسة المثالية فانها تبدأ من المرئي ولكنها تختار منه ما يستهويها وتحذف منه ما لا يعجبها . وقد عرَّف رينولدز هذه المدرسة فقال : « ان جميع الفنون تنشد الكمال في السعي وراء الجمال المثالي الذي يفوق الجمال الواقعي . والفنان يستطيع ان يميز بين الجميل والقبيح وهو بالاختيار والحذف والاضافة يستطيع ان يبدع جمالا يفوق كل جمال مشاهد . » وحسب هذا التعريف نرى ان المدرسة المثالية ، فيها عامل فكري يظهر في هذه العملية التي يقوم بها الفنان من حذف واختيار واضافة . وهذه الموهبة هي التي تميز الفنان عن غيره . ومن اشهر فناني هذه المدرسة : براكستلس ، وفيدياس ، ودوناتيللو ، ورفائيل ، وبوسان ، ورينولدز ، وسيزان . وهذا الفن هو ارقى انواع الفنون في نظر اولئك الذين يفضلون الفكر. ولكن الرد على مثل هؤلاء سهل وهو ان المدرسة التكعيبية في نظر رينولدز – وهو كما قلنا من مشاهير المدرسة المثالية – اكثر كمالا من الواقع ، وعلى هذا يمكن اعتبارها فنا مثاليا .

والتعبيرية كلمة شائعة في الفن الحديث تطلق على ذلك النوع من الفن الذي يعبر فيه الفنان عن احاسيسه الداخلية في صورة من صور الفن الخمس . ولا قيمة للتقاليد والاخلاق في نظر الفنان لان همه ان يعبر تعبيرا فنا جميلا عن وقع الوجود الذي حوله على نفسه . فالفن التعبيري ذاتي وفردي ولا يمكن حصره في فترة معينة او بلاد معينة وهذه المدرسة حركة فنية متميزة لا علاقة لها بالمدرسة التكعيبية او باي مدرسة من المدارس التجريدية . وفان كوخ يمثل هذه المدرسة تمثيلا واضحا وهو مؤسس المدرسة التعبيرية الجديدة ولكن ادورد منخ هو اكثر فنان اثرا في توجيهها . ويمثل هذا الاتجاه الفني التعبيري في فرنسا جورج راؤول ومارسيل كرومير ، وفي استراليا اوسكار كوكوشكا . اما مارك شاكال فيمثل الاتجاه الروسي . وفي بلجيكا الان مدرسة تعبيرية ناهضة تستحق الدراسة والاهتمام ويمثلها كونستانت بيرمك وفلورنس جسبرز . وفنانو هذه المدرسة ينطبق عليهم تمام الانطباق الاسم الذي اطلق عليهم وهو التعبير الصادق عن الانفعالات والاحاسيس دون التقيد باي شيء اخر ، وليس الرسم الكاريكاتوري الا طريقة من طرق التعبير عند فناني هذه المدرسة .

ولا يعني كلامنا ان كل تعبير فن ، فلكي يكون التعبير فنا – في راي كروتشه – يجب ان يكون هذا التعبير جميلا ، سواء كان هذا التعبير بالكلمات او بالالوان او باي وسيلة من وسائل الفن . ويعرف ئي.ف كاريت في كتابه « ما هو الجمال ؟ » التعبير الجميل فيقول : « علينا ان نفرق بين التعبير وبين ما يرافق هذا التعبير : فصراخ الالم وضحكات

الفرح ليست تعبيرا عن شعور ، بل هي مظاهر تعين نوع الشعور . وليس التعبير هو نقل الاحساس او الشعور لان صرخات الالم تنقل شعور المتألم بالالم الى الاخرين ولكنها ليست تعبيرا » . فالتعبير في رأي كروتشه يحمل معنى اوسع مما يفهم من قولنا (المدرسة التعبيرية) لان كروتشه بتعريفه السابق يدخل في هذه المدرسة ، المدرسة المثالية والواقعية . وقد بينا كيف ان هذه المدارس تختلف عن بعضها اختلافا جوهريا بحيث يصبح كلام كروتشه بعيدا عن الدقة .

اما المدرسة السريالية ، او ما فوق الواقعية ، فمتميزة تمام التميز عن جميع المدارس الفنية المعاصرة الاخرى ، كما انها تمزق اربا كل ما تواضع عليه الفنانون من طرق تعبيرية، ولذا لقيت عند ظهورها لاول مرة مقاومة عنيفة وازورارا ، لا في الاوساط الفنية المثقفة فحسب ، هذه الاوساط التي نبذت مثل هذا الفن على انه تافه ، بل ايضا بين اولئك الذين نسميهم فنانين ونقادا مجددين . ولكن مثل هذه المقاومة كثيرا ما اثبتت خطأها في الماضي ، فكثير من المذاهب الفنية الحديثة لقيت مثل هذه المقاومة في السابق فالواجب يقتضينا اذن ان نحاول تفهم هذه المحاولة الجديدة، والكشف عما يهدف اليه متفننو هذه المدرسة .

ويتسم فن فناني المدرسة السريالية بما يمكن انصفه بمحاولة تحليل الدوافع والاحاسيس الخفية في الانسان . والفنان السريالي يؤمن بان الحياة الانسانية ، ولا سيما الحياة الفكرية ، لها جانبان : احدهما واضح محدود، وثانيهما — قد يكون هذا الجزء الاكبر من الحيـــاة — خاف ، غامض . والانسان تتقاذفه هذه الحياة في خضمها لا يبين منه فوق سطحها البادي للعيان سوى جزء ضئيل ، أما الجزء الاكبر فمستور مغمور . والشاعر او الرسام السريالي يحاول الكشف عما خفي من هذا الانسان ، وهو في محاولته هذه يلجـأ الى كثير من التعابير الرمزية السريالية .

ولعل هذه المدرسة رد فعل لمدرسة البرناسيين التي قالت بان الفن هو جمال القالب والمحاسن الظاهرة ، فظهر السرياليون يدعون الى ان هذا المفهوم بعيد كل البعد عن الفهم الصحيح ، اما الفن عندهم فيهتم بالمعاني والاسرار المستترة في خفايا النفس ، وبالتعبير عنها بالالفاظ والخطوط التي تعرض اليها من بعيد ولا تحتويها بجملتها .

والسريالية ليست ذاك العمل البسيط الذي يتصوره الانسان . ففي الرياضيات مثلا نقول ان الحرف (س) يرمز الى الكمية المجهولة ، وعلى هذا يكون هذا الحرف رمزا لشيء ما . وقد نستطيع تقريب السريالية الى الفهم فنقول انها هي محاولة الكشف او التعبير عن ذاك المجهول في الانسان الذي يتجاوز حدود المدركات الظاهرة ، وهي ذاك العامل المجهول في الفن ، او (س) الفن . ولكن مثل هذا الشرح لن يرضي كثيرين من الناس ، اذ انهم يريدون ان يعرفوا لماذا كانت السريالية هي ذاك الشيء المجهول في الفـن .

وللاجابة على هذا التساؤل نقول : ان السريالية تمثيل لمعان مجردة ، وهي حين تعبر عن المعاني المجردة تستخدم اشكالا غريبة مبتكرة ترمز الى هذه المعاني المجردة ، ولكن ليس لها علاقة معنوية بالاشكال المادية التي نشاهدها في الطبيعة . وهي بهذا تشبه العامل المجهـــول في الفروض الرياضية ، الذي هو في ذاته مجرد مطلق . وهي بالكشف عن هذا المجهول تكشف عن الغوامض والاسرار المغيبة عن العقل المكشوفة للذات الباطنة . ولنأخذ مثالا بسيطا على هذا : فالدائرة قد تعتبر رمزا للكمال المطلق او رمزا للنظام المجهول الذي يسير الكون ، وقد يستعمل الهرم رمزا للثبوت والاستقرار والخط المتماوج رمزا للرشاقة . . . وكثير من الرسوم المجردة لفناني المدرسة التكعيبية معتمد في اساسه على مثل هذه الرموز .

والمدرسة السريالية في مفهومها البسيط تستخدم الصفات والاشكال الملموسة للتعبير عن غير الملموس وغير الظاهر المدرك . وهذا قد يتم التعبير عنه اما بطريقة شعورية او لا شعورية . وقد تطورت الاسماء التي كانت في القديم رموزا لمعان باطنية ، فاصبحت تدل على المرموز اليه وتعنيه، وفقدت اصلها على انها رمز ، وهذا النوع من التطور التعبيري مشاهد بشكل واضح في جميع اللغات .

وقد بذل علم النفس الحديث مجهودات كبيرة من اجل تفسير مثل هذه الظاهرة كأن يفسر لماذا يقترن الشعور بالخوف مثلا بصورة كذا مما في الطبيعة . وعيادات علم النفس الان شائعة في البلاد الراقية ، وهم الان يفسرون الاحلام بردها الى اصول نفسية . فعلم النفس المعاصر اذن يرى ان نشوء هذه المدرسة السريالية طبيعي ومنطقي يتفق مع ما في الانسان من عوالم خافية .

ولعل من الاسباب التي عجلت بظهور هذه المدرسة ظهور (فرويد) وتبشيره بمذهبه القيم في تفسير الاحلام ودلالتها على الوعي الباطن ، وما يستكن فيه من الاسرار والنوازع المكبوتة . « فالاحلام حسب هذه النظرية هي لغة الرمز التي يعبر بها الوعي الباطن عن شعوره المكبوت. » وهكذا تتمثل له معاني الوعي الباطن رموزا لان الانسان لا يتمثل المعاني في احلامه وامانيه بل يتمثل فيها ما يرى بالعين ويلمس باليد ويسمع بالاذن ، فيتمثل له وعيه الباطن على صورة من صور المعارف المادية . فسلفادور دالي مثلا يرسم لنا حذاء نسائيا بداخله زجاجة من اللبن . وان اولئك المطلعين على ابحاث علماء النفس التحليلي يذكرون ان الدوافع الجنسية كثيرا ما يعبر عنها في الاحلام بحذاء نسائي . وكثير من سريالية دالي من هذا النوع الذي تجد له تفسيرا في علم النفس التحليلي الذي وضع اسسه فرويد ذلك لان هذه المدرسة — كما قلت — انما تتفق مع الاحلام في انها تعبير عما استتر وغاص في اعماق النفس الانسانية. ترى هل استغل دالي رموز فرويد في التحليل النفسي للتعبير عن نفسه ، ام ان هذا هو ما احس به دالي ؟ لا اظن ان احدا يستطيع الاجابة عن هذا السؤال غير دالي نفسه .

ويقول دالي عن مهمة الفنان السريالي ، « ان هدفنا ان نحطم في الانسان كل السدود والحواجز الطبيعية والنفسية معا ، القائمة بين عالم الشعور واللاشعور ، والتي تفصل عالم الانسان الخفي المستتر عن عالمه الظاهر الواضح ، لنمزجهما معا ونخرج بعالم جديد هو عالم الانسان الكامل . »

هذا هو الانسان الحديث في سعيه الحثيث نحو الكشف عن خفايا النفس والتعبير عنها ، كما كشف ويكشف دائما عن خفايا الكون . والرمزية وما بعد الرمزية محاولتان اخريان مكانهما في غير هذا الحديث .

الكويت **محمود السمره**

موسيقى الشعر

بقلم ت. س. اليوت

ترجمة منح خوري

قد يبدو غريبا ان اؤكد الكلام على اللغة المحكية وانا في معرض الحديث عن موسيقى الشعر . ولكني ابادر الى القول بأن موسيقى الشعر ليست شيئا مستقلا عن معناه ، والا لامكننا ان نجد بين الآثار المنظومة الرائع من الشعر الموسقي الذي لا معنى له . واعترف اني لم اقع على مثل هذا اللون من الشعر . اما ما نجده من الانماط الشاذة احيانا ، فما هو في الواقع الا اختلاف في الدرجة بين نغم الشعر ومعناه . فثمة قصائد تحركنا موسيقاها اولا ، ويصلنا معناها بطريقة تلقائية . وهناك قصائد اخرى يثيرنا معناها اولا ، وتصلنا موسيقاها بطريقة لا شعورية . من الامثلة على ذلك ما نجده من العبث في شعر « ادوارد لير » ، والعبث هنا لا يعني خلو الشعر من المعنى وانما يعني التلاعب بالمعنى الذي هو في الواقع معنى الشعر ... ، ومنها مقطوعة « الخزانة الزرقاء » « لوليم مورس » : أبيات ممتعة ، وان كنت اعجز عن تفسير معناها واحسب ان الشاعر نفسه يعجز عن ذلك . لهذه المقطوعة ما يشبه تأثير التميمة او الرقية (قد يكون للتمائم والرقى بعض الفوائد العملية ..!) وغاية الشاعر فيها ان يكون لها ما للحلم من تأثير في النفوس ، واغلب الظن انه نجح في ادراك هذه الغاية .

ليس من الضروري لكي نستمتع بهذا اللون من الشعر ان ندرك معنى الحلم . ولكنَّ عند الناس اعتقادا راسخا بان الاحلام تعني شيئا : لقد تعودوا ان يؤمنوا — وما زال الكثيرون منهم حتى الان يؤمنون — بانّ الاحلام تنبيء باسرار الغيب ، او على الاقل بالمريع من اسرار الامس !

من البديهي ان نلاحظ انغلاق المعنى في بعض الشعر، ولكنه ليس من البديهي ان ندرك بان معنى الشعر قد يكون ارحب من المعنى الذي اراده الشاعر ، وقد يكون شيئا بعيدا عن المنابع الاولى التي سلسلته . لقد كان « ملارميه » من اكثر الشعراء المحدثين غموضا حتى قال فيه الفرنسيون : ان له خصوصية تعبير لا يفهمها غير الاجانب .

وقد نشر « ر. فراي » و « ش. مورون » ترجمة لشعره بالانكليزية ملحقة بشروح الغامض من معانيه . الحق انه عندما يقال ، احيانا بان الغموض في مقطوعة شعرية هو من الهام منظر احدى الصور المعلقة ، في انعكاسه على سطح طاولة صقيلة ، او منظر الزبد المشعشع ، في انعكاسه على كأس من الجعة ، ... اراني مسوقا الى الاعتقاد بان هذا كله قد يكون من علوم « الامبريولوجيا » الصحيحة ، ولكنه ليس تفسيرا للمعنى على كل حال . فالشعر الذي لا يحركنا من الناحية الشعرية ، نظم اجوف لا معنى له . وقد نتأثر بايقاع قصيدة منظومة بلغة لا نفهمها على الاطلاق ، حتى اذا انتبهنا الى فراغها من المعنى ، أدركنا عندها انخداعنا بقصيدة لم تكن في الواقع قصيدة وانما كانت تقليدا لموسيقى آليّة . اما اذا كان جانب من المعنى قابلا وحده للتفسير دون الجوانب الاخرى فذلك لان الشاعر قد توصل الى حدود من الوعي ، لا يمكن التعبير بالكلمات عما وراءها من المعاني . قد تعني القصيدة معاني مختلفة لعدد من القراء ، وقد يكون كل من هذه المعاني مختلفا هو الآخر عما قصده الشاعر . فالشاعر يعبر مثلا عن بعض تجاربه الخاصة مما لا علاقة له مطلقا بشيء خارج هذه الخصوصية ، ومع هذا فقد يصبح الشعر ، بالنسبة الى القارىء تعبيرا عن موقف عام ، كما يصبح تعبيرا عن بعض تجاربه الخاصة . وقد يختلف تفسير القارىء عن مراد الشاعر ، ويظل تفسيره مقبولا ، وربما كان في بعض الاحيان خيرا منه . ثم اننا قد نجد في الشعر فوق ما قدره الشاعر او وعاه . أما التفسيرات المختلفة فقد تكون كلها تعبيرا جزئيا عن شيء واحد . وقد يكون ما نلقاه من الابهام ناتجا عن ان القصيدة تعني اكثر — لا اقل — مما يقوى الكلام العادي على نقله . وهكذا بينما يحاول الشعر ان ينقل شيئا لا تقوى لغة النثر على نقله ، فان الحقيقة فيه تظل واحدة وهي انه صوت يخاطب به انسان غيره . وحتى اذا غني الشعر تظل هذه الحقيقة قائمة ، فالغناء هو الآخر طريقة ثانية للتخاطب .

ليس من اليسير ايجاد قوانين ثابتة لتعيين الصلة المباشرة بين الشعر واللغة المحكية . فكل ثورة في الشعر عرضة لان تكون — وقد كانت بالفعل احيانا — عودا الى الكلام العامي . تلك هي الثورة التي اعلنها « وردزورث » في مقدماته وكان فيها على حق . وكان قد حمل لواءها من قبله بقرن « والر » و « دنهام » و « دريدن » كما استؤنفت بعد ذلك بأكثر من قرن ايضا . ان أتباع الثورة ينمون اللغة ويطورونها ويتجهون بها اتجاهات مختلفة — انهم يصقلونها ويبلغونها الكمال . وبينما هم منهمكون في ذلك تستمر اللغة المحكية في تغيرها ، فتمسي لغة الشعر ، بالنسبة اليها ، قديمة العهد ، ويمضي اوانها .

(قد لا ندرك الى أي حد كانت لغة « دريدن » طبيعية بالنسبة الى اشد معاصريه حساسية) . لا شك في ان الشعر لا ينظم تماما بلغة الشاعر المحكية والمسموعة . ولكن ينبغي ان يكون من الاتصال بين شعر الشاعر وبين اللغة المحكية في عصره ما قد يحمل السامع او القارىء على القول : « هكذا ينبغي ان اتكلم لو امكنني التكلم شعرا . » من اجل هذا يهزنا الشعر المعاصر ويبعث فينا شعورا بالاكتفاء يختلف عن أي شعور يثيره ، فينا الشعر القديم ، وان كان هذا في الواقع اسمى منه واروع .

ينبغي ان تكون موسيقى الشعر اذن موسيقى كامنة في الكلام المحكي الشائع في العصر . وهذا يعني كذلك ان تكون تلك الموسيقى كاملة في لغة التخاطب الشائعة في بيئة الشاعر نفسه . وليس غرضي الان ان انتقص من اللغة القياسية او اللغة الانكليزية المستعملة في محطة الاذاعة البريطانية . فلو امكننا ان نتكلم جميعا بطريقة متشابهة ، لما كان ثمة ما يمنعنا من الكتابة بطريقة متشابهة . ولكن حتى يحين ذلك الوقت ، وارجو ان يؤخر ميعاده طويلا — فان مهمة الشاعر ان يستعمل اللغة الشائعة في محيطه — اللغة التي توثقت الالفة بينه وبينها . لن انسى الاثر الذي تركه في نفسي « و . ب . ييتس » وهو يقرأ الشعر بصوت عال . فقد ايقنت وهو ينشد شعره الخاص ، الى أي حد كانت اللهجة « الارلندية » ضرورية لابراز جمالات الشعر الارلندي . ولكنني عندما سمعته ينشد شعرا « لوليم بليك » عرتني تجربة من نوع آخر ، تجربة مدهشة اكثر منها مكتفية . اننا لا نريد الشاعر ان يعطينا نسخة تامة عن لغته المحكية ، لغة اهله واصدقائه وابناء مقاطعته ، غير ان ما يجده في محيطه هذا هو المادة التي يصنع منها شعره . انه كالنحات يجب ان يظل امينا للاداة التي يشتغل بها . ثم انه من الاصوات التي وعاها يجب ان يوقع انغامه ويبعث فيها ما تكتمل به من الانسجام .

ومهما يكن فمن الخطأ الادعاء بأن كل الشعر يجب ان يكون منغما ، وبان النغم هو اكثر من جزء واحد في ذلك المركب الذي تتألف منه موسيقى الكلمات . واذا كان المراد ببعض الشعر ان يغنَّى فان اكثره في الادب الحديث ، معد ليتلى كما يتلى الكلام العادي . ثم هناك اشياء كثيرة يمكن الكلام عليها غير طنين النحل او هديل الحمام في « شجر الدردار الدهري » . هذا والتفاوت او حتى التنافر مكانه في الشعر ، ويجب ان يكون في كل مطولة من القصائد ضرب من الانتقال بين مقاطع قوية واخرى اضعف منها ليحدث بذلك تنوع في الايقاع الشعوري الضروري للتركيب الموسيقي في القصيدة كلها . هذه المقاطع الضعيفة تكون في الغالب من العناصر النثرية بالنسبة الى المستوى الذي قام عليه مجموع القصيدة . وهكذا يصح القول بانه ليس ثمة من شاعر يستطيع ان ينظم قصيدة مطولة ما لم يكن ناثرا مجيدا .

وعلى الجملة فالمهم هو مجموع القصيدة : واذا لم يكن من الضروري ان تكون القصيدة كلها منغمة ، ويجب ان لا تكون كذلك في الغالب ، فهي لا تتألف اذن من « الالفاظ الجميلة وحدها » اذ ليس ثمة تفاضل جمالي بين الكلمات من الناحية الصوتية في نطاق اللغة الواحدة . (اما امكانية التفاوت الجمالي بين اللغات المختلفة فقضية اخرى) . ان الالفاظ الرديئة هي تلك التي تتجانس مع الجماعة اللفظية في موكب القصيدة . ولكني لا اعتقد بانه يصح اعتبار لفظة اصيلة في اللغة الام ، جميلة او رديئة : فموسيقى الكلمة وليدة صلات عدة . انها تنشأ من علاقتها اولا بما سبقها وما يعقبها مباشرة من الكلمات ، ومن علاقتها بصورة مطلقة بمجموع النص الذي توجد فيه . ثم انها تنشأ من علاقة اخرى هي اتصال معناها المباشر في ذلك النص المعين ، بجميع ما كان لها من المعاني في سائر النصوص الاخرى التي استعملت فيها . وتنشأ تلك الموسيقى ايضا عما للكلمة من طاقة قوية او ضعيفة ، على الايحاء . ليست بالطبع جميع الالفاظ متساوية في غناها وتماسكها : وهكذا فان مهمة الشاعر ان يركب الاقوى من الالفاظ مع الاضعف في المواطن المناسبة ، وليس من المستطاع ان يشحن القصيدة كلها ويثقلها بالاقوى من تلك الالفاظ وحدها : — ذلك انه لا يمكن الالماع بكلمة ، الا في هنيهات ، الى تاريخ لغة كاملة ، وحضارة كاملة . انه الماع لا يتفرد به نوع معين من الشعر — ولكنه ملازم لطبيعة الالفاظ ، وهو كذلك من هم جميع الشعراء على اختلاف فنونهم . غرضي ان اؤكد هنا بان « القصيدة الموسيقية » هي قصيدة يأتلف في بنيتها نمط موسيقي من الاصوات ، ونمط موسيقي من المعاني الثانوية للالفاظ في هذه البنية ، واؤكد بأن هذين النمطين وحدة لا تتجزأ . واذا قيل بان الصفة « موسيقى » لا يمكن ان تنضاف الى غير الصوت وحده مجردا عن المعنى ، اكدت ما قلته سابقا من ان الصوت لا يختلف عن صنوه المعنى في انه يستخلص من القصيدة استخلاصا او يجرد تجريدا .

منح خوري

عام

●

لثريا ملحس

●

مثل كلّ عام
مررتَ يا عام
مثل الدود في التراب
مرّغت وجهك يا عام
مزّقت كلَّ وترٍ من صوتنا
بدّلت الاوتار بالاقصاب
انهالت مطارق
وددنا لو نجونا
فما نجونا
مثل الناس مشينا
ما أردنا أن نساق

✶

صرخنا في وجهك يا عام
يا جزّار .. يا قصّاب
أخذنا نسوّي بلادنا بالسياط
نقيسها شبراً شبراً
نلوّيها على عنقك يا عام
ما تزحزحتَ عنّا
بل تزحزحنا
صمتت كلاب الاهل والجيران
وصلنا الى حيطان آمالنا
سوداء حيطاننا
نقضم الجلود بالاسنان
نمزّقها عن صدورنا
وصلنا الى حوافي الوديان
نحدّق بالقيعان
هي منّا .. هناك .. منّا
منابع الالهام
تلفتنا .. تلفتنا حتى الديدان

من زمان عرفتنا
عرفناك تسخر منّا
من أعالي التلال
ازلقنا
فهوينا
نترك وراءنا
يا عام
مثل كلّ عام
مررت بنا
مثل السوس في الاخشاب
نخرت عظامنا
دعوت علينا
غصّ شبابنا
بحثنا عن نسمة ورقاء
في الوادي نسجنا بيوتا صفراء
من حصى من اقحوان
من الجنادب من الديدان

قســم

●

شقّ لنا لحد عميق
ويد أقوى من الحديد
مشينا في درب مديد
لا نقوى على الحياة
ربطت عقولنا السلاسل
دارت بنا لا تحيد
عن الطريق
وفي الطريق حملنا المقالع
كبونا دون أنين
نسينا قلوبنا
تحجّرت وجوهنا
تصلّب منا الوريد
عدنا نطلب كلّ مزيد
هيّا بنا . هيّا بنا
وصدى من بعيد
تلوّى عن الطريق
وفي الطريق حملنا العظام
عكاكيز
نهش بها الكلاب
ندقّ أعناق القدر
يهددنا . ثور من القبور
نقسم أن لا نعود الى السجود
دون عظام مشينا
نقسم أن لا نعود

سحابة

✳

عصفتْ بها الانواء فاصطفقتْ — في صفحة الجوزاء من ذعرِ
فكأنها والريح تزحمها — فلكٌ هوت في لجة الغمر
عاينتها خفقتْ مصفقةً — كجناح نسر حطّ من وكر
أو كالشراع يرفُّ من قلق — خوف الخضم وزحمة القعر
ورأيتها والليل معتكر — كملاءة مطوية الستر
والريح تنشرها وتقبضها — قسرا وتزجي الشطر بالشطر

***

خفقت كأعلام مفوفة — يوم الوغى من نشوة النصر
وتجيش في الآفاق صاخبة — مثل الخضم بمسلك وعر
تنساب مثل الصل أخضره — طلٌ همى من ريّق الفجر
واذا ارتمتْ في الافق تحسبها — حوتاً يزاحم لجة البحر

***

طوت الفضاء الرحب دون هدى — كمشرّدٍ في مهمَهٍ قفر
واذا حدا ركب الرياح بها — سالت مدامعها على النحر
واذا تملكها الشجا شهقت — واسترسلت عبراتها تجري
تبكي بكاء الصب أوجعه — صدّ الحبيب ولوعة الهجر
أو مثلما هتفت مطوقة — وهناً لفرط وساوس الصدر

***

آمالنا سحب مشتتة — تطوي وتنشر دون ما ندري
تجتاحنا الايام ساخرة — كالريح تزجي السحب بالزجر
لله آمال مروعة — عبثتْ بدوحتها يد الدهر
لا تستقر كأنها كرة — يوماً على حال من الذعر

دمشق — **عدنان مردم بك**

قصة قصيرة

الفيضان

بقلم سميرة عزام

الى [واحدة منهن] جمعتني بها الصدفة في سيارة عامة فكانت اكثر الركاب انسانية حين كان الفيضان حديث الطريق

o
o o

لولا تلك المصابيح الصفر المعلقة على اعمدة النور تتحدى جهامة الليل الاسود في يوم شتاء ورعونة الجو المطير يرسل على بلاط الساحة خيوطا موقعة لبدت (ساحة البرج) مدينة للاموات .

لم تكن دور السينما المنتشرة على اطراف الساحة قد لفظت بعد تلك الكتل البشرية التي ترامت فيها تحملق الى الحياة كأنما هي لا تعرفها الا على الشاشة لذا فقد بدا المكان ساكنا كئيبا لا تلون كآبته الا تلك المصابيح المعلقة ورائحة الشاورمة تدور على الاسياخ الحديدية القائمة في زوايا بعض مشارب الساحة .

ومدت رمزية عينها على مدى الزقاق الجانبي الطويل الذي تتعاطف فيه نوافذ الشقيات ، وكانت هناك رؤوس مدلاة وابتسامات تزيدها الاسنان الذهبية تعاسة توزع دعوات الشقاء .

ولم تكن رمزية قد هيأت نفسها بعد ، كانت ما تزال تحمل وجهها الاصفر ، وتدع خصلات شعرها المصبوغ تلتف على عنقها الذليل في غير احتفال ، والى جانبها نفاضة سجائر تكوم فيها عشرون عقب او يزيد .

وتقلبت في فراشها التعس وفتحت رسالة سقيمة الخط تقرأها للمرة العشرين تحمل طوابع غريبة حملها اليها البريد من رفيقتها (نظيرة) التي رمت اليها الليالي ببحار مغربي احبها فتزوجها وحملها الى قريته تعايشه وامه هناك .

« يا اختي لقد كتبت هذا المكتوب عشر مرات قبل ان ابعث به فانا لا احسن كما تعرفين الخط ... انا بخير لا ينقصني الا مشاهدتك .. آكل واشرب وانام على فراش نظيف . لا تحيا معي غير امه العجوز وهو اذا لم يكن مسافرا .

انه طيب عطوف ولو انه يضربني احيانا عندما نتشاجر ولكنه لا يطلق علي اسما قذرا وقد اشترط علي ان لا ادهن وجهي بالاصباغ وان اطيع امه واقوم عنها بكنس البيت ..

سلمي على الكل ما عدا (نينا) فانا لا انسى انها حاولت ان تفسد علي هذا الزواج .. »

وطوت رمزية الرسالة وتنهدت ، كانت هذه صديقتها الوحيدة ولما حملها البحار الغريب شجعتها هي كثيرا ولم تتمن ان تجمعها بها الايام فمثلها لا ترجو شيئا كهذا لمن تحبهم .

لقد ودت ان يدوم زواجها فاللعبة عادة غير مضمونة ما اكثر الشقيات اللواتي تزوجن ولكن ما تكاد وجوههن تغيب عن زقاق الخطيئة حتى يعدن اليه .

وهي لا ترجو لنظيرة التي تحبها ان تعود . آه لو يحملها هي ايضا بحار غريب .

وتأوهت رمزية في تعب ثم تذكرت بان شعرها ما يزال منكوشا ووجهها لم يختف تحت اصباغه الكثيرة بعد .

والقت الى الزقاق الاسود نظرة مثقلة بالهموم وكانت رؤوس الشقيات ما تزال ممدودة تتطلع بفضول الى رأس الزقاق حيث تحلقت جماعة حول حانوت الشواء كأنما هم يستمعون الى شيء غير حافلين بالمطر .

ولم تحفل رمزية بالمتجمعين لعلهم يسمعون واحدا من هؤلاء المتحذلقين الذين يلوكون كلاما لا تفهمه ولا تتلقاه عادة الا بشتيمة مقذعة .

وظل المطر يغسل بلاط الزقاق المرصوف وظلت رمزية تحاول ان تقوم لتغير من حالها فيقعد بها كسل ثقيل مغموم .

كانت تشتهي ان تدفن راسها تحت اللحاف وتنام ، وتنام طويلا او تموت فلا تستقبل خنزيرا قذرا وسخ الاظافر كالذي استقبلته امس ... ولكنها تحاملت وقامت وما كادت تشد عنها ثوبها حتى دفع الباب ودخلت صاحبة لها تقول .

ــ اعرفت ماذا قال الراديو؟ فيضان في طرابلس .. الماء اعلى من الاسطحة والمدينة كومة طين .. وعدد الموتى لا يعرفه الا الله .

وحاولت رمزية الا تكترث ولكن صاحبتها الثرثارة هزتها وقالت .. قولي شيئا الست يا تعسة بنت البلد ؟ ؟

وتركتها دون ان تغلق الباب وراءها فتسرب اليها من الباب المفتوح صوت المذيع يصف ساعة الهول بدراماتيكية ما لبث الانفعال ان اطاح بها فراح يقرأ النشرة بصوت يختنق بكاء .

وسمعت رمزية وكادت دموعها تسبق كلماته .

وسكت المذياع ليطفي صوت المطر يرسل ايقاعه الحزين .

واتكأت هي الى الباب تحاول ان تطأمن جيشان نفسها وتقتنع بانها ليست من هذا كله في شيء ، كان لا يعنيها ان تقوم البلد او تقعد يروح رئيس ويأتي اخر تمضي وزارة ويجيء غيرها ، تتواتر الاحداث وتتوالى الوجوه ، لم يكن يهمها ان تلم بشيء احسن الانباء في زقاقها ان تأتي سفينة او يزور الميناء اسطول .

وبعدها ما لها بمن يعيش او يموت يقوم او يقعد يرتفع او يخذل ، ان مطلبها ليس بابعد من زقاق الشقاء فلم اتت هذه السيول تغسل حقدها وتحسسها بانها ملزمة بان تتالم ، ملزمة بان تحس ، بل ملزمة بأن تبكي .

لم لا يتركونها في حياتها الانسلاخية .

ترى هل احست بها المدينة الغارقة حين لفظتها قبل خمسة عشر عاما ؟

هل اسف لهاأحد جيرانها، معارفها، الناس الذين خدمت في بيوتهم حين اغواها نخاس وجاء بها الى هذا الفم الاسود الذي لم تخرج منه قط ؟ والذي علمها ان تعيش بالحقد والحقد ..

فلم جاء هذا الجهاز يفتح في نفسها جروحا ويحملها رغم حقدها الى الحارة التي كان ابوها فرانها قبل ان يموت ..

وكادت تشتم في الذكرى رائحة الارغفة السخنة فتحت دموعها وهي تتلقف الصوت الباكي يقول :

(واجتاحت المياه الثائرة محلة الجسر ، باب الحديد ، التبانة ، الملاحة ، السويقة) ..

ما ابشع الطبيعة ، ما اكفر بطشها اذا ثارت ..

وظلت تبكي

لعل بيتها الذي فتحت عينيها عليه في محلة (الجسر) قد غدا كتلة طين فمسح الاثر الوحيد الذي يذكرها بالصغيرة التي كانت تلهو في (جورة) امام نار الفرن تدس الجفت من تحت ذراع ابيها ولا تخرج الا ووجهها مستدير احمر كواحد من تلك الارغفة الشهية السخنة .

ولعل اهل الحارة الان ، ام علي القابلة .. حسين البقال ، الحاج سعدي المقرىء الضرير قد باتوا الان جثثا تطفو على سطح الماء كسمكات خنقها (التوربيد) .

وكان المطر ما زال يرسل ايقاعا حزينا وهي واقفة قرب الباب تتلقف الصوت المخنوق وهو يرجو المواطنين ان يجودوا مما لديهم للمدينة العائمة.

وتلفتت في الغرفة العارية الا من صور الممثلين المقصوصة من الصحف معلقة على الجدران ومن سرير واحد واريكة تسند رجلها المكسورة ركيزة خشبية .

ان الراديو يجب الا يبلغ من نفسها ابعد من هذا لقد كانت الدموع هي كل رصيدها وقد سحتها فماذا بعد ؟

ثياب ؟ الناس لا يحفلون بملابس غانية

نقود ؟ من قال ان مثلها يعرف نعمة الدرهم ووراءها شخصية كأم نعيمة ..

اجل ليسكت هذا الصوت فهي افقر من ان تقبله ..

يكفي انه مسح كفرها .. فماذا يبغي غير هذا ..

وسمعت صوت ام نعيمة يلعلع عند جارة لها فتذكرت امرا لو... لو ... اجل مغنم الليلة الى احر قرش هبة المدينة المفجوعة فماذا تريد طرابلس اكثر ؟

ورفعت يدها تسوي شعرها المنفوش وتنثر البودرة فما تلبث ان تجرفها الدموع .. فتعيد نثرها من جديد ..

وجلست تنتظر ان يفتح الباب فالليلة كثيرة المفاجآت

ان تطل ام نعيمة ومعها زبون ..

ولكن بابها لم يقرع ..

وظلت وحيدة تبكي ..

ولم تفطن الا اخيرا الى ان المصيبة النازلة قد تشغل الناس عن غرائزهم الى حين .

تذكرت هذا حين سكت كل شيء ولم يعد هناك صوت يسمع عدا ايقاع المطر الحزين على بلاط زقاق الشقاء .

سميرة عزام

النفس والجسم

✳

طرق هذا الموضوع بصفات متعددة خلال العصور المختلفة منذ القرون الغابرة الى هذه اللحظة ، وسنرى ان هذا الموضوع لم يجد حلا نهائيا واننا لا نزال في حاجة الى تعمق اطرافه المتباعدة ، فلا بد من ان نذكر ان غايتنا جميعا هي الوصول الى القدرة على الانتاج للشعور بالوجود والتمتع به ، بعدما كنا في طي العدم وقبل ان ندخل الى ظلمات المجهول .

فأنا الان موجود اشعر بالقلق او بالاطمئنان ، بالحزن او بالفرح ، بالضعف او بالقوة ، فهل يمكنني ان أصل الى السيطرة على اعصابي والحصول على حالة شعورية ترضيني ؟ لا يجوز ذلك الا بالثبات ، وهنا نحتاج الى ابراز الصلة الوثيقة بين الحالة الشعورية والحالة العصبية والدورة الدموية . فلكي تكون النفس هادئة يجب ان تكون الاعصاب في حالتها الطبيعية ، ولا يكون هذا الشرط متوفرا الا ان كان الدم سليما لا سموم فيه ، سليما خاليا من كل السموم التي تخلفها عمليات الامتثال اي نهاية الهضم في مراحله الاخيرة عندما يتحول الاكل الى غذاء اي عندما تتفتت مواد الاكل الخشنة الى اصغر جزيئات يستخدمها الدم في دورته كغذاء للخلايا وكمواد للاحتراق وتوليد الحرارة . فهذه العمليات كلها تختلف مواد لا فائدة فيها بل مواد ضارة يحتاج الدم الى حملها في دوراتها المختلفة ليطردها عن طريق اعضاء متخصصة لذلك مثل الكبد والكلى .

وبما ان آباءنا الى بداية هذا القرن لم يكونوا على علم بالعمليات الفسيولوجية الدقيقة التي اكتشفها امثال كلود برنارد فاننا ورثنا كلنا آثار الاضطرابات الهضمية الناشئة عن الفوضى في الاكل ، وكانت هذه الفوضى هي السبب في ظهور اضطرابات جسمية ونفسية عابرة لم يكن الاطباء قادرين على القضاء عليها لعدم توصلهم الى مصادرها الحقيقية ، فكان الناس يعزونها الى الجن اي الى الاسباب الخفية ، ومن هنا جاءت كلمة « جنون » الشبيهة في الاشتقاق من كلمة « جنين » و « جنة » وكلها تفيد معنى الخفاء او الاختفاء مثلا . وذلك لان الاضطرابات الناشئة عن تسمم الجهاز العصبي تختلف اختلافا كبيرا من شخص الى آخر وان كان السبب واحدا ، وكثيرا ما نجحت في القضاء على اعقد الاضطرابات بالتجائي الى تنظيم الغذاء وتطهير الجسم من سمومه المتراكمة من الاجيال السابقة والمتزايدة بأثر الخمر والمكيفات والمشهيات .

واعتقد اعتقادا جازما انه في امكاننا تهيئة الجو الملائم لظهور نفس مطمئنة بتطهير الجسم من كل ما هو مكثر للسموم سواء كان بالاسراف في الاكل او بعدم احترام مواعيده او بالاكثار مما يصعب على الجسم امتصاصه وامتثاله مثل الدهن المطبوخ والمواد الحمضية وغيرها مما يرضي الذوق ويتعب الكبد ويثقل الدم ويؤذي الاعصاب .

ويجب ان يتعلم الانسان كيف يراقب نفسه ليعرف المواد التي لا تلائمه والتي تؤذيه ليستبدلها بمواد اخرى تعطيه اكبر فائدة باقل الاضرار .

وهذه المعرفة رأس مال كل انسان يحترم نفسه ويستعد للخلق والبناء ، واما الاسراف والاهمال مع استعمال المسكنات لاسكات الآلام الناتجة عنها فهو الطريق للوقوع في كل ما يحير الاطباء من امراض عصبية ونفسية .

ولا انكر ان هناك عقدا نفسية بحتة واضطرابات اجتماعية تحدث ثورات شعورية ولكن حالة الجسم تؤثر تأثيرا كبيرا في تطور الازمات وتجعلها ترسخ رسوخا بدلا من ان تمر مرا عابرا دون ان تترك اثرا يذكر ، بل فاننا نظن ان انتشار الاضطرابات النفسية قائم على تمسك الانسان بالمرحلة الفمية التي تجعل الاكل اهم وسيلة من وسائل الارضاء الوقتي الذي يحدث تعبا عصبيا ينقلب تدريجيا الى خلل وامراض نعرف بعضها ونجهل البعض الآخر .

واعتقد ان الاسراف في الاكل والجهل في اختيار ما يلائم الفرد منه حسب عمله وظروفه هو الذي عرض البعض للشعور بالضيق والالتجاء الى المخدرات مثل الحشيش والافيون والمكيفات مثل القهوة والشاي والسجاير . ويصعب علينا تخليص المدمنين على مادة من هذه المواد ان لم نقض على السبب الاصلي وهو الضيق والهبوط الناشئان عن تعب اعصاب الجهاز الهضمي .

ولا بد من ان يكون الشخص قادرا على فهم العمليات الحيوية التي تقوم بها الاعضاء الداخلية حتى لا يعرضها الى الارهاق والتلف ، ولهذا فاني اعتقد اننا لم نعتن العناية الكافية بتوجيه الانسان الى معرفة نفسه معرفة تامة تبدأ من معرفة العمليات الحيوية التي تتم بعد كل غذاء . فبهذه الثقافة القائمة على قوانين الفسيولوجيا يمكننا ان نحمي الفرد من مختلف الامراض ويمكننا ان نحرره من مختلف العادات السيئة التي يؤذي بها نفسه ويختصر حياته ويحرم نفسه من الراحة الضرورية للوصول الى ادراك جمال الكون والطبيعة .

وبناء على هذا نود لو ان الاطباء يحاولون اقناع المريض بمصدر دائه قبل تمكينه من اسكات الالم بالادوية ، لاننا بذلك نشجعه على التمادي في اخطائه ونساعد عاداته السيئة على الرسوب في طبعه بدلا من ان نضطره الى الاقلاع عنها حتى لا يقاسي الآلام المرة التي جعلتها الطبيعة وسيلة للتعبير عن الاضطراب الخطير الذي يهدد ركنا من اركان الحياة .

القاهرة — **ابو مدين الشافعي**

دمع الهوى

*

ألله ! في جفنيكِ هـذا البلَلْ
أم بلّلَ الفجرُ جفونَ السَّبلْ

تسألني عينـاكِ بعضَ المنى
اليـك قلبي فهو كلُّ الامل

قلب تغالى في سماح الهوى
فنال منه كلُّ جفن سأل

أحبَّ ، لا يُصغي لهمس المنى
سيان نال الاجر أو لم ينل

عفتْ مرام الوجد ، من اثمه
طهّرَ في عينيك لما اغتسل

تحتفل الدنيا بأمجادها
ولي فؤادٌ بالجمال احتفل

دينُ القلوب الحبُّ في ناره
تنصهر الدنيا وتُمحى النِحَل

ألله وهو الحبُّ شقّ السنى
عن وجنتي عدْنٍ فأغوى الازل

في مقلة الشمس أشاع الجوى
وفي جفون الشهب أفشى الغزل

داء من الفردوس أعدى الثرى
سلي به جفنيك كيف انتقل

أدنى لنا الله سماواته
مصغَّرات في مدار المقل

كم مقلة حوراء أبصرتُه
على جحيم الكون منها أطل

لا تطبقي الجفن على دمعة
عرفتُ وحي الله فيها نزل

لا اثم في الحب فقومي بنا
نفجّرُ الشوق ونسقي الخجل

جداول الجنة دمع الهوى
وزهرات الخلد حمرُ القبل

فارس سعد

بواعث التجديد في شعر المهجر

بقلم كمال نشات
ماجستير في الادب العربي



الشعر العربي في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين في حالة من الخمول وكانت الاقطار العربية في هذه الحقبة من الزمن تعاني كبتا شديدا فاستكانت الى الذلة تحت وطأة الاستعمار العثماني فماتت الحيوية وشاع الجبن والتدهور الخلقي وعاقت الرجعية ورجالها والجهل السائد الامة العربية عن انتفاضة الحياة وان كانت ارهاصات النهضة الحالية قد ابتدات تظهر في الافق.

ولذلك كان الادب العربي ميتا او شبه ميت وفي لبنان وسوريا ــ موطن شعراء المهجر ــ كان الشعراء يتابعون الدرب القديم وان اخذ الناس ينطلقون تحت تأثير البواعث القومية والاتجاهات الوطنية التي ابتدات تستيقظ في نفوسهم وفي هذه الفترة ايضا ابتدات اشعاعات جديدة تدخل البيئة الثقافية العربية فكان هناك ادباء مترجمون نقلوا كثيرا من تراث الغرب للغة العربية خصوصا في لبنان فقد كانت حركة الترجمة دائبة نشيطة فنقل مارون النقاش مؤسس التمثيل العربي مسرحية (البخيل) لموليير ونقل نجيب الحداد مسرحية (غرام وانتقام) ومسرحية (حمدان) لهرناني وقصة (غصن البان) عن قصة (رفائيل للامرتين) ونقل اديب اسحق (اندروماك) وسليم النقاش المسرحيات الغربية الراقية وانصرف طانيوس عبده الى تعريب قصص تلائم ذوق الجماهير وعرب فرح انطون (بولس وفرجيني) و (الكوخ الهندي) و (أتالا) و (تاريخ المسيح) وغيرها من المؤلفات الفرنسية (١) . وكانت مصر تعاني نفس الازمة الشعرية ــ وان ظهرت بها بوادر يقظة للاتصال بالادب الغربي عموما ــ فقد كان الشعراء المصريون كاخوانهم اللبنانيين يتابعون الدرب الشعري القديم دون ابتكار أو خلق فرجعوا الى نماذج العصر العباسي يوسعونها تقليدا وفسخا وسرقة ويعتبر البارودي ابا الشعر المصري الحديث من حيث الارتفاع به عن ركاكة شعراء عصر الخديوي اسماعيل وان ساير هذا النهج الاتباعي وجاء بعده شوقي وحافظ فحاولا شيئا من التجديد فتلونت صور الشعر ولكنها لم تخرج عن الاطار والالوان القديمة وكان الشعر في ايديهم ــ في أغلب الاحيان ــ لا توحيه الا المناسبة العارضة من موت احد الباشوات او الملوك الى التهنئة بعيد فطر وما الى ذلك من المناسبات التي قتلت روح العفوية والفن الاصيل في الشعر المصري .

وهكذا كان الشعر عندنا سجلا للاحداث العامة يسجل افتتاح المؤسسات والحرائق ونشاط جمعية الهلال الاحمر وغلاء الاسعار والزلازل وما الى ذلك فكأن الشاعر كان يكتب شعره بقلم صحافي لا يهمه الا تسجيل الخبر .

كانت هذه هي حال الشعر في مصر ولبنان في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ولكن على الرغم من هذا الجمود والتقليد ابتدات شرارة الحياة تلمع من بعيد منذرة بفن جديد وعصر ادبي زاهر قام على اكتاف المهاجرين من العرب ورب سائل يسأل : ان لبنان ومصر كانتا الدولتين المتقدمتين ثقافيا وحضاريا بين الدول العربية جميعا وكان المفروض ان تتزعم مصر حركة التجديد لانها مصدر الاشعاع الثقافي والفني في الشرق لغنى امكانياتها فكان عليها ان تقود ركب التجديد كما قادت حركة بعث الادب العربي القديم .

وجوابنا ان مصر بوضعها الاجتماعي في ذلك الوقت لم يكن في استطاعتها هذا التجديد ولذلك تلقت مصر دائما عن لبنان التيارات الادبية الغربية التي تبلورت في شعر اللبنانيين لانهم اقرب اتصالا بالاداب الغربية لانتشار المدارس الاجنبية المختلفة التي ساعدت على نشر اللغات الاجنبية في البيئات المسيحية لاطمئنانها الى الحضارة الاوروبية المسيحية ولاتصالها المباشر بالمبشرين (٢) .

ثم ان اللبنانيين والسوريين جنس معروف من قديم الزمان بالمغامرة، واستعدادهم النفسي للتحول (كاستعدادهم للهجرة من موطن الاباء والاجداد الى اي مكان في العالم) اساس لاحتضانهم فكرة التجديد الادبي على عكس المصريين المرتبطين بارضهم الراغبين عن الهجرة خارج ديارهم ولذلك كان (الروتين) ابن الحياة المصرية ومن هنا نعرف سر (الروتين الشعري) في ذلك الوقت .

والتجديد ما هو الا هجرة ادبية تنقل الادب من حال الى حال . ويجب الا ننسى ها هنا ان الهجرة بما تتيح من امتزاج بين الشعوب واحتكاك بين الافكار المختلفة تنبه القوى الفكرية وتنمي المواهب وتزود المهاجر بتجارب ما كان يحصل عليها لو بقي في موطنه . وهذا عامل مهم ساعد المهجريين على احتضان فكرة التجديد .

وهناك عوامل اخرى ساعدت على جمود الشعر المصري كوجود الازهر ممثلا في بعض شيوخه الرجعيين الذين وقفوا امام كل حركة جديدة في جميع مرافق الحياة المصرية فاصبح طابعها المميز في اوائل هذا القرن طابع الاتباع للسلف خصوصا في الناحية الادبية ، فاللغة العربية

(١) لبنان الشاعر ــ لصلاح لبكي ص ٦٨ .

(٢) القصة في الادب العربي الحديث ــ لمحمد يوسف نجم ص ٢٠ .

مربوطة بالقرآن – في نظرهم – فليس الاديب حرا ليحاول محاولاته التجديدية ولذلك كانت الدعوات التي تدعو الى التجديد خروجا على المألوف و (بدعة لم تؤثر عن السلف) و (تهجما على اللغة العربية) .

ومن هنا كانت هذه المعارك الطاحنة بينهم وبين المجددين .

ومن الغريب ان نفس هذه النظرة التي عرفت عن اشياخنا تجد صداها لدى باحث معاصر هو الدكتور عبد الوهاب حمودة الذي يقول (ان اللغة العربية لم يكن حكمها كغيرها من اللغات وانما كانت لغة دينية فالاحتفاظ باصولها وقواعدها والاحتفاظ في مبانيها من التطور البعيد واتقاء آثاره السيئة واجب ديني لا سبيل الى جحوده او التقصير فيه) (1) .

ولقد سرنا على ضوء هذه الفكرة فاوقفنا عجلة الزمن واقتصرنا على ادبنا الكلاسيكي والصور المقلدة له في ادبنا المعاصر وظللنا واقفين نمضغ تراثنا الشعري ، وقد ساعد على ابقاء هذه الحالة الراكدة ان الشعور العام كان في هذه الفترة الحرجة في حياة مصر يقف ضد كل ما هو غربي فقد كان اصحاب القديم يسمون خصومهم الداعين الى التحرر والاخذ باسباب الحياة الغربية (بالمتفرنجين) (2) . اما شعراء المهجر واكثرهم من المسيحيين فقد نظروا الى اللغة العربية على انها اداة تعبير كغيرها من اللغات لا صلة لها بالاسلام فطوعوها لافكارهم وعملوا على تطويرها لتلائم العصر ومقتضيات البيئة الجديدة التي يعيش فيها ابن القرن العشرين ولذلك كان اغلب المجددين من المسيحيين كاعضاء الرابطة القلمية .

ومن هنا سار موكب هؤلاء الرواد نحو الشمس لانهم لم يجدوا احدا يحد من حريتهم فلا نقاد يحاربون اتجاهاتهم الجديدة ولا مدارس ادبية كلاسيكية تقف امام تعاليمهم ولا بيئات تقليدية تمنع انطلاقاتهم وحينما شمت خلف المحيط هذه الاتجاهات الجديدة والادب الصادق الجريء تطلعت اليه الابصار وابتدأ الناس يناقشون بين زار عليه ومدافع عنه وكان نصيب مصر من هذا النقاش هجوما عنيفا شنه مصطفى صادق الرافعي بمجلة المقتطف عام ١٩٢٦ وكذلك محمد حسين هيكل الذي قال (يجب ان يتعاون المجدد والمقلد منا والا بقي الفوز في جانب السوريين المتأمركين وامحت الثقافة الاسلامية) (3) .

ومن هنا كان هجوم شعراء المهجر على شوقي ومدرسته لانها في نظرهم كانت تمثل الرجعية الادبية ويتضح هذا الهجوم في امثال قول نعمة قازان :

دعاة الامير سلام عليكم	من الخارجين على الدعوة
لقد طلع الفجر من غمده	وبان اللباب من القشرة
ودار الزمان .. اما من يد	تعوق الزمان عن الدورة
ومات الامير عليه السلام	فماذا لديكم من الجثة

القاهرة **كمال نشأت**

---

(1) التجديد في الادب المصري الحديث – للدكتور عبد الوهاب حموده ص ١٩ .

(2) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر – للدكتور محمد حسين ص ٢٤٢ .

(3) مجلة السياسة الاسبوعية – عدد ٤٠٢ عام ١٩٣٠

موجة الانحلال في الادب المعاصر

بقلم وديع فلسطين

*

ظاهرة مؤسفة تتجلى واضحة في الادب المعاصر على اطلاقه ، هي ظاهرة الانحلال التي تستتر تارة تحت ثوب الفن ، وتارة تحت مذهب من المذاهب الشاذة الجديدة ، وطورا تحت ذريعة التجديد . ويتخذ هذا الانحلال اشكالا شتى تنعكس على كل ما يسمى بعمل فني . فانحلال في اللغة مرجعه الى جهل قواعدها واصول مفاتيحها وادعاء استعصائها على الادراك ، وانحلال في المعاني والاخيلة حتى صارت المعاني المبدعة هي المعاني التي تختلط باللذة الحسية والشهوة العارمة ، وانحلال في التفكير حتى التوت مسارب الفكر امام حملة الاقلام ، وانحلال في الموازين والمقاييس حتى غدا العمل الفني مقيسا لا باصالته ونصاعة ديباجته وجدة معانيه ، بل بقدرته على الاثارة وقدرة الكاتب على تصوير العاطفة باخس العبارات وارخصها .

وكان الكاتب قديما يتستر على جهله ان خانته اللغة ، فيكل الى غيره مهمة المراجعة والتصحيح . اما الكتاب المعاصرون فقد استنسروا على اللغة واستأسدوا وعدوها من سقط المتاع ، واخذوا يجاهرون بان اللغة عقبة في سبيل نمو الادب ، ومن ثم وجب ان تنبذ . وحسب المرء ان يهذي كما يهذي على قارعة الطريق ، وان يتلفظ بالفاظ السوقة ، وان يتقيأ الشتائم والسخائم فاذا بهذا كله يستحيل ادبا مجلوا موموقا يدخل التاريخ من اوسع ابوابه ، وتكتب لصاحبه صفحات الخلود . فاذا وقف طه حسين في تيار عربيد كهذا ، قيل ان طه حسين عقبة في سبيل الثقافة والفكر يجب اقتلاعها ، ولا يسع طه حسين بعد ذلك الا ان ينحني للعاصفة بعد ان اشتد هياجها .

وامتدت هذه العربدة اللغوية الى كل كلام مكتوب او مقول ، حتى صار اساتذة الجامعات يحاضرون باللغة العامية باعتبارها اللغة السهلة المفهومة ، وفي هذا تنزل منهم الى مستوى العامة قد يقبل من سواد الناس ، ولكنه لا يقبل قط من اساتيذ اعلام مفروض فيهم انهم يعرفون قواعد النحو والصرف واصول الاشتقاق وعلوم البلاغة ، بل مفروض فيهم انهم يغنون اللغة بتعبيرات ومفردات جديدة تزيد حصيلتها وتتابع ركب نموها .

والمذياع يصدع الاذان كل يوم بخطأ في النطق وفي النحو ، ودع عنك الاغاليط الجوهرية في ايراد الاسماء وسرد الوقائع ، حتى كدنا نقتل الضاد ونهيل عليها التراب ارضاء لدعاة العامية من انصاف المتعلمين وارباعهم .

واصاب الانحلال المعاني المطروقة في الادب الحديث ، وصار الجنس محور الكتابة شعرا او نثرا . وكلما اوغل الكاتب في الاثارة الجنسية كلما عد من بلغاء الكتاب وفحولهم ، وكلما راجت كتاباته بين المكبوتين والمحرومين في هذا الشرق المتزمت المكلوم . وكان من جراء ذلك ان بارت تجارة الكتب الا الكتب المسلسلة المزركشة التي تحمل

عنوانات تشير الى اللذة اشارة مفضوحة مباشرة ، والتي تقرن ذلك بصورة حاسرة عارية زيادة في الاستثارة وجلبا لقروش القراء . وجريا على هذا السياق ، عدلت عنوانات الكتب حتى ما سبق طبعه ونشره ، ونفاده ، لتحمل اسماء مشتقة من عبارات مكررة مترادفة هي « المراة » و « الحب » و « المحرومة » و « اللذة » و « الفضيحة » « الغانية » و « الجسد » وغير ذلك مما يستدر اهتمام المراهقين واهل الكبت .

فاذا استقام التفكير بعض الشيء ، انصرف الادب المعاصر الى انحلال من نوع قديم جديد ، هو المدح للمثوبة العاجلة . فقد كان الشعراء الاقدمون يقفون بابواب الامراء ينشدونهم شعرا فينفحهم اولئك الامراء باكياس الذهب والدنانير ، او يصرفونهم فارغين فينقلب المديح هجاء وتستجيل المزايا مثالب .

وما اكثر كتب الملق التي عرفها الادب المعاصر ، سواء كان ملقا لسلطان قائم او لمذهب ذي اتباع او لامير مكفول الثراء . وكان اولئك المداحون يجتمعون بالامس حول موائد الطعام ومآدب العرس يستلهمون منها وحيهم شعرا ونثرا ، فلما طويت هذه المآدب ، صاروا اليوم بين مطبل ومزمر لهذا الامير الوافد ، او ذلك المتصابي ، او ذلك النجم الصاعد ، وغايتهم في الحياة ان يبعثوا سوق عكاظ من مرقدها لا حبا في الادب ، بل حبا في الفائدة المعجلة التي تجيء اثر التمدح بصدق او بكذب .

ورزىء النقد بدوره بانحلال في الصميم ، فصار النقاد من فئتين : فئة يتبادل افرادها الثناء والمجاملة ، فيرشح كل واحد زميله للمجد واتاجه للخلود ، وفئة يتراشق افرادها بالسباب المقذع ويترامون بعبارات « الخيانة » و « المروق » واشباه ذلك .

وقد بلغ من اسفاف النقد ان احدى الدوريات ارتأت أن تجري استفتاء مزعوما تسأل فيه اعلام الكتاب في المدرسة المعاصرة عن احسن الكتب التي اخرجتها المطبعة في العام الفائت . فأخذ كل علم من هؤلاء الاعلام يباهي بكتبه ، فان تواضع لله قليلا ، رشم كتاب زميل له لقاء ان يجامله الزميل بالنسق عينه . فرشحت للمجد كتب تنكرها الضاد ، ورشم للخلود ادباء لا يزالون يحبون في دوحة الادب .

واختفت من اعمدة الصحف صفحات النقد الادبي ليحل محلها كلام كثير يقال انه نقد ، اغلبه ثرثرة وجودية منطقها الوحيد هو منطق المناواة . فاذا ظهر كتاب تافه يباع على الارصفة ، حفيت الاقلام في الكتابة عنه . اما اذا كان الكتاب ذا قيمة فقل ان يلتفت اليه . والحفاوة بالكتب لا تكون على قدر قيمة الكتاب ، بل تكون على قدر قيمة مؤلفه . فكتاب « سندباد عصري » (١) ظهر من سنوات وسنوات فلم يحفل به احد على جلال قدره وجمال فكره ، وكتاب « قنديل ام هاشم » (٢) ظهر بدوره من سنوات فلم يلتفت اليه احد بنقد او تقريظ . فلما صار مؤلفا هذين الكتابين ذوي مكانة ملحوظة ، مضى النقاد يكتبون عنهما ويطرون صنيعهما .

وفي الوسع احصاء عشرات من نفائس الكتب ظهرت في خلال الاعوام الاخيرة فلم تحظ بعناية الناقدين ، وما ذلك لتقصير في التأليف ، بل لانحراف في رسالة النقد . ومن هذه الكتب مثلا كتاب « القطن في خمسين عاما » للدكتور يوسف نحاس وكتاب « ابن زيدون » لعلي عبد العظيم وكتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » للامير مصطفى الشهابي وكتاب « قرية ظالمة » للدكتور محمد كامل حسين وكتاب « محاضرات عن الصحافة العراقية » لرفائيل بطي وديوان « عنوان النشيد » لمحمود ابو الوفا وكتاب « على الطريق » لفؤاد صروف وملحمة « عيد الرياض » لبولس سلامه وديوان « وحدي مع الايام » لفدوى طوقان وكتاب « روح الشرائع » لمونتسكيو ترجمة عادل زعيتر وديوان « الشاعر القروي » لرشيد سليم الخوري وكتاب « رائد الشعر الحديث » لمحمد عبد المنعم خفاجي وديوان « من السماء » للدكتور احمد زكي ابو شادي وكتاب « لكي لا تحرثوا في البحر » لخالد محمد خالد . . . وهلم جرا .

ويلوح ان موجة الانحلال في الادب المعاصر آخذة في الاتساع لا في الانحسار ، وحسب الاديب المعاصر عدة ان يستطيع تحبير كلام عادي عامي على الورق يصور به مواقف العاطفة الجياشة ليكون اهلا للخلود المؤبد . فالخلود يصنع بين عشية وضحاها ، وهو في متناول كل من يعرف الفاظ العامة ولفاهم وكل من يتردد على مشارب القهوة الرخيصة في الازقة والمنعطفات .

القاهرة — **وديع فلسطين**

(١) تأليف الدكتور حسين فوزي وكيل وزارة الارشاد القومي المصرية

(٢) تأليف الاستاذ يحي حقي مدير ادارة الفنون بمصر .

قصة عراقية

الموظف القديم

بقلم مير بصري

دخل الفراش على السيد راسم ــ وهو جالس الى مكتبه المحاط برفوف السجلات التي تملأ جوانب الغرفة وتصل الى السقف ــ فقال: « يا سيد، ان المدير يدعوك ».

فرتب الموظف الشيخ عددا من الملفات على منضدته بحركة آلية ورفع راسه ببطء وقال: « نعم » ثم تمتم بين شفتيه: « لقد حانت الساعة ... » وخرج تشيعه انظار اربعة او خمسة من الموظفين الذين جلسوا يدخنون السكائر في غرفة الاوراق.

ووقف السيد راسم هنيهة في الدهليز فثبت السدارة التي لا تفارق راسه الاصلع ونظم ملابسه الفضفاضة من طراز سنة ١٩١٤ وشد ازرار معطفه الطويل، ثم طرق الباب ودخل رافعا يده بالتحية بادب واحتشام فقال المدير: « تفضل يا سيد راسم، اجلس. »

وجلس السيد راسم بعد تردد قليل، فهو موظف قديم يعرف الآداب الرسمية ويتمسك بها. واذا كان ابناء الجيل الجديد يستهينون بالمراسم ويغضون الطرف عن اصول اللياقة والمجاملة، فانه قد نشأ في العصر الذهبي وتأدب على قدماء الموظفين الاتراك الآتين من دار السعادة، وهو لا يقصر في فروض الاحترام الواجبة لرئيسه وان يكن هذا الرئيس في سن اصغر ابنائه.

قال المدير: يعز علي، يا سيد راسم، ان انبئك باحالتك على التقاعد ... ان لك في هذه الدائرة خدمة طويلة وسيصعب علينا حقا ان نسد الفراغ الذي تتركه وراءك. لكنك خدمت الدولة بحرص واخلاص، وانت تنال الراحة بجدارة واستحقاق. ان راتب التقاعد الذي تتقاضاه هو اقل ما نستطيع ان نقدمه اليك من الجزاء والمكافأة.

فتنحنح السيد راسم وقال: « اني انتظر هذه الساعة من امد بعيد، فقد خدمت الدولة اربعين سنة فحق لي ان استريح. وانا لا آسف الا لوجود سجلات قديمة لا يستطيع غيري ان يستخرجها عند الاقتضاء .. »

وقام السيد راسم وكأنه وجد نفسه قد تكلم كثيرا على خلاف عادته، فحيا المدير رافعا يده الى راسه باحترام، وسار متمهلا منتصب القامة، في حين قال له المدير: « مع السلامة، يا سيد راسم، لا تنس ان تزورنا بين الحين والحين، فاننا سوف نشتاق اليك. »

عاد السيد راسم الى مكتبه في شعبة الاوراق التي يرئسها منذ ربع قرن او يزيد وجلس على كرسيه العتيق الوثير ودق الجرس يطلب القهوة لآخر مرة في حياته الرسمية، ثم رفع راسه وقال لموظفيه:

« لقد بلغني باحالتي على التقاعد كما كنت اتوقع تماما. وانا انتظر هذه الساعة منذ امد بعيد، فقد خدمت الدولة اربعين سنة. التحقت بالخدمة مبيضا صغيرا وانا اتركها الان رئيس شعبة الاوراق. وهذا بلا ريب تقدم عظيم، فانا اعرف في عهدي عددا من الموظفين عديدا قضوا عشرات السنين في نفس الوظيفة التي بداوا بها ... ثم ان الوظيفة والسن خصوصا كان لهما وزنهما في ذلك العهد، فلم يكن احد يبلغ مرتبة المسود او رئيس الشعبة قبل ان يشتعل راسه شيبا. »

وسكت قليلا ثم تنفس الصعداء وقال: « ان الدائرة، والحمد لله، منتظمة، واستطيع ان اتركها بعد خدمة اربعين سنة. نعم، اربعون سنة قلما انقطعت خلالها عن العمل. انني لم أتمتع باجازة الا نادرا تغيبت ثلاثة ايام عند وفاة والدي، واسبوعا واحدا عند زواجي، واياما معدودات اقعدني فيها المرض ... في وسعي الآن ان اخلد الى الراحة التي نلتها بجدارة واستحقاق واترك الشعبة في ايديكم آمنا مطمئنا. ولكن هناك بطبيعة الحال السجلات القديمة التي لا يستطيع غيري ان يستخرجها ... »

فقال موظف شاب خبيث: « ان تلك السجلات القديمة، يا سيد راسم، لا يحتاج اليها احد. »

فتمتم رئيس الشعبة قائلا: « يا لانحطاط الاخلاق في هذا الزمن! هل كان احد في عهدي يجرؤ ان يخاطب رئيسه بمثل هذا الكلام؟ »

وخطر بباله ان احالته على التقاعد قد غضت من شانه. الم يكن يسعه تصحيح سنه رسميا كما فعل الكثيرون من زملائه ليمددوا اجل خدمتهم؟ ولعل لاولئك الموظفين عذرا في تصغير اعمارهم، فهم من العلماء الفضلاء العاملين الذين لا يصح ان تحرم الدولة خدماتهم ولا يسد الآخرون مسدهم. اما هو فيستطيع اي كان ان ينسق الحافظ والاضابير في دائرته وان يستخرجها من مكانها عند الحاجة، لولا وجود تلك السجلات القديمة التي لا يعرفها غيره. وهو بعد ذلك لو اقدم على تصغير سنه كيف يتأتى له ان يفخر بخدمته الطويلة في حاشية الولاة العظام؟

ثم استسلم الى الصمت والتأمل، ولم يكن له خلال السنين الاربعين التي تصرمت متسع من الوقت لاطلاق العنان لتخيلاته. ترى اين كانت كل هذه الذكريات التي اخذت تطوف في مخيلته ومن ذا بعثها من سباتها العميق؟ ها هوذا يرى نفسه حدثا قد تخرج في المدرسة الاعدادية، فجيء به الى الدائرة للتدرب والتمرين. اية هالة من القداسة كانت تحيط آنذاك بالوظيفة والدائرة الرسمية، فلا عجب ان دخلها بتهيب واحترام. اجلس على اريكة عتيقة واعطي ريشة وورقا، فصار يخط المراسلات متأنيا حذرا، متخذا من راحة يده المستندة الى ركبته المثنية منضدة مرتجلة. كان للخط في تلك الايام السعيدة قيمة، واية قيمة! اما اليوم فالآلات الكاتبة التي تملأ الدوائر بصخبها الراتب تهيء بديلا ممسوخا عن تلك الاقلام الناطقة بالفن الجميل.

وتذكر رئيس المسودين الاشيب الذي كان يتولى تحرير المكاتبات الخطيرة ثم يعهد بها الى معاونيه لخطها على الاوراق الكبيرة. لقد استدعاه بعد ايام فوقف بين يديه متهيبا، وسأله الرئيس:

ــ ما اسمك، يا ولدي؟

ـ راسم ، يا سيدي .

ـ اسمم جميل ... اسم جميل ، يا ولدي ، ولكنه ناقص . من الان يكون اسمك راسم رسمي .

ـ نعم ، يا سيدي .

ـ راسم رسمي افندي . ان هذا اسم يليق بشاب رزين يتوقع له مستقبل باهر ، فكن مثابرا مهذبا حسن السلوك لتصبح اهلا للقب « الافندي » . ألا تعلم ان مولانا ولي عهد السلطنة العلية وامراء البيت المالك الفخيم يحملون لقب « الافندي » الرفيع ؟

خرج راسم رسمي الشاب من غرفة رئيسه ليجد قاسما الفراش الشيخ في انتظاره عند الباب . فبادر بربت على كتفه ويهنئه على مراعاته لآداب المقابلات . كان قاسم قبل ذلك فراش الوالي الخاص ، ورث هذه المنزلة السنية عن المرحوم ابيه الكركوكي الذي خدم مدحت باشا العظيم نفسه ، فلما علت به السن اعفي من الخدمة ورتب معلما للآداب الاجتماعية والرسوم في اروقة مقر الولاية . كان قاسم يدرب الموظفين الجدد على اصول « السلام » بما يتطلبه من الانحناء ورفع اليد او اليدين الى الراس ورد اليد اليمنى مبسوطة الى الصدر في المواقف التي تستدعي الاعراب عن المودة والاخلاص . ولم تقتصر مهمته على ذلك ، بل كانت تتناول اصول اللياقة وواجبات الزيارة والاستقبال والتوديع والنطق بطائفة من الكلمات التركية بلهجة الاستانة الاصولية . وطراز اللباس ؟ كان ذلك ايضا من التبعات المهمة التي يضطلع بها مدير المراسم الفخري ، فكان يجلس بعد الظهر عند الخياط « الاستانبولي » الانيق في حي الميدان ليجود برأيه ومشورته في المعاطف الطويلة الفلقة العنق والسراويل الفضفاضة المتهدلة التي يضفيها الخياط المتفنن على زبائنه المتازين ...

ولم يتمالك راسم نفسه حين بلغ بذكرياته الى هذه المرحلة ان يتنهد اسفا على زوال تلك الدنيا الجميلة التي الفها واحبها . لكنه لم يطل التلهف ، فقد شعر بعد ان اعفي من وظيفته بالحرية والانعتاق ، لقد كبر ابناؤه واستقلوا بحياتهم ، وتزوجت ابنته الوحيدة منذ زمن طويل ، وماتت أم اولاده ، فهو حر طليق يملك وقته ونفسه وزمام امره ، وفي وسعه ان ينصرف الى تحقيق جميع الاحلام التي داعبت مخيلته وحالت قيود الوظيفة ومشاغلها دون مزاولتها من قبل .

لقد تمنى كثيرا ان يرى « دار السعادة » التي كانت في نظره المثل الاعلى للحضارة والعظمة والعمران ، تمنى لو استطاع زيارتها يوم كان السفر اليها يقتضي اسابيع حافلة بالمشاق . اما اليوم وقد اصبح من الميسور بلوغها في أيام بالقطار او ساعات بالطيارة ، فما اسهل ان يشد اليها الرحال ... بيد انه يستطيع ان يرجيء هذا المشروع حتى ينضج في فكره ، فهو شيخ يتعبه السفر مهما كان مريحا . ثم ان استانبول قد تغيرت كثيرا حتى في ذهن من لم تتح له معرفتها في ايام عزها وسلطانها ـ وهل هو واثق ان لهجته التركية فصيحة مفهومة او انه لم ينس النطق بها بعد مرور كل تلك السنين ؟

وما ذا يجذبه الان الى استانبول البعيدة ؟ لقد رغب قبل اعوام مديدة أن يحقق اسماء كبار الموظفين الذين تعاقبوا في مناصب الايالة العراقية من كتخدات ومكتوبجية ودفتردارية ويسجل تواريخهم وجداول تسلسلهم ، ولا شك ان تلك من اجل الخدمات التاريخية ولا يمكن النهوض بها على الوجه الصحيح الا بزيارة دور الكتب والسجلات في العاصمة التركية . وما الذي يمنعه الان من القيام بهذا العمل الجليل وجمع المعلومات عن طريق المراسلة ؟ ان المجامع العلمية والتاريخية لا بد ان ترحب بطلبه ولا تبخل عليه بالمعونة والارشاد ... لكن اتراها تجيب على رسائله المحررة باللغة التركية القديمة وبالخط العربي ؟ ونعل تلك المجامع لا تجد في متناول يدها السجلات والسالنامات العتيقة التي اكل الدهر عليها وشرب ...

بيد ان هناك مشروعا ضخما يستطيع تحقيقه بغير عناء ، لقد اعجب كثيرا بالشطرنج ، لعبة الملوك ، وود لو استطاع الاختصاص بها والتبريز فيها . وهو قد بدأ يتعلمها في صدر شبابه ثم تركها آملا ان يعود الى اتقانها يوما ما . أن هذا اليوم الموعود قد ازف اخيرا ، فليشمر عن ساعد الجد وليبرز الى الميدان ... ولكن اين مهرة لاعبي الشطرنج واساتذة الفن البارعون ؟ لقد صرعهم الدهر وطمس أثرهم وكاد يودي باللعبة الملوكية نفسها ...

هكذا استرسل راسم رسمي في استذكار المشاريع العظيمة التي يستطيع الان ان يتفرغ لها . وفي انتظار ما سيفعله من الامور الجليلة والاشياء الكثيرة المثيرة ، قرر المضي الى المقهى ليحتسي القهوة المنعشة ويدخن النارجيلة ويطلق لافكاره العنان .

بغداد — مير بصري

الموعد الضائع

✳

كانت الى الشباك جالسةً — والوجدُ فوق الهدب ينسكبُ
والثغر ذوبُ الجمر مؤتلقاً — يكسوه من أشواقه حُببُ
ترنو بلحظٍ غام أخضرهُ — لطريقها المرجو ... ترتقبُ
وقميصها الورديُ في ولهٍ — من ثورة النهدين يضطرب

✶ ✶ ✶

قد ملّت الشباك فانطلقت — للشرفةِ الزرقاء ... تنتظر
والشال رفافٌ على عُنقٍ — يهفو لينشقَ طيبَه الزّهر
والشعر لون التبر محترقاً — وسنابلٌ شقراءُ تنتشر
« ما باله ؟ قالت متمتمة — وعلى الشفاه تململ الفجرُ !
ـ « أتراه ينسى حلو موعدنا — بالامس فوق الشاطىء الغَردِ
حين افترقنا بعد لاهبةٍ — أفدي قصير نعيمها بغدي
لحظي يغيب بلحظه شغفاً — ويداه مطبقتان فوق يدي
مات النهار وشمسُه انطفأت — وحبيب روحي بعدُ لم يعدِ !»

✶ ✶ ✶

ومضت لغرفة نومها وهوت — فوق السرير ودمعها انهمرا
وهواجس الاحلام قد طفرت — تنداح عبر خيالها صورا
همس الظنون أقضَ مضجعها — واليأس فوق جبينها انتشرا
والصمت ساد بعمق رهبته — متلاشياً في الثغر ... محتضرا

فنزويلا — **فؤاد الخشن**

ادبنا في موكب الاجيال

بقلم نسيم نصر ومحيي الدين البواب

ο
ο ο

كان الحرف الفجر الاول(1) لحياة الانسان ، فجاء منذ بروزه اداة تعبير تلمست آفاق الاشراق بالذات البشرية جيلا بعد جيل . واذا بهذه الاداة المعبرة تحتضن حكاية آدم الخليقة وحوائه، فتبدع ، في مصانعها الخلاقة ازلا قبل آدم وابدا ممتدا بعده . وفي هذا وذاك ما فيهما من سلطان على المادة ، وانطلاق مع الروح ، وتجسيد للفكر حتى اصبح الحرف السعة التي لا تمتلىء والمجلى الذي لا ينتهي .

وتراقت مصانع الحرف في تطور التعبير ، تتناول قيم الانسان ، وما يحسه ، وما يستحضره بذهنه وخياله، مواد خاما لتخرجها مناهج ونماذج ومطارف ، حتى اصبح الحرف خلاصة الانسانية وهيولى روحها وجنات احلامها ومراد عبقرياتها .

وشاء الحرف ان توزع الاسماء المميزة على مصانعه ، فكثرت كما اراد . . . وبقي الادب المصنع الام يغذي فروعه باكسير الحياة ، ويزين احاسيسها وصورها وتجلياتها باسباب الفن وملامح الذوق . وكان لا بد للادب ، اذن ، من ان يجمع ، الى اصالة التعبير ، مؤثرات التطور وموسومات البيئة ، في مدى تفارق الزمان وتباين المكان .

وبين الاصالة والجمع ، من اقتباس وتأثر ، نشأت خزائن الآداب العالمية ، حافلة بالمذاهب المتمايزة في ما بينها : نهجية فن ، ووراء بيان ، وانطباع تأثر ، ولكنها ، على كل حال ، تتراوح في أجواء لفات تتنازع عنان قيادتها قوتان : العقل والعاطفة ، على ان يسير المغلوب في ركب الغالب ، بلفهما نسيج من الخيال . ولقد كان ما عرف بالملحمة نتاجا لانطلاقات خيال مثقف .

وعلى الاعتبار القائم مميزا بين المحسوس والمعقول، قادرا مبلغ انطلاقة الخيال وامتداده ، قامت دراسات آداب الامم ذات الآثار الجديرة بالبقاء ، فكانت العربية من ابرز اللغات القيمة المتميزة بفردية الاديب ، تتجلى فيها انانية الذات المعبرة عن نزعاتها وانفعالاتها ، او تتوثب على حروفها عصبية قبلية . كل ذلك يشيع على موجات نفسية ، تساندها آراء ونظرات في الحياة ، قل ان تماسك عليها ادباء الجيل الواحد فوق صعيد جماعي مرسخ .

ففي الجاهلية غلبت البداوة على العربية ، معزولة في بلاد صحراوية ، غالبا ، فجاء نتاجها شعرا مرهف الفطرة ، ساذج النخوة ، فطغى عليه الحس ، تزينه التجليات المتوزعة منوعة ، وتتخلله الاراء العابرة وحكمة المجرب . فلا التجليات ارتفعت الى جو ملحمة ، ولا نثار الفطنة والنباهة تبلور في غور فلسفي . حتى الغزل ، وليد العاطفة وربيبها، لم يبرأ من التقليد ولم يتناول حقيقة المرأة .

وهذه المدرسة الاوسية ، او الزهيرية ، التي صح ، بترجيح آراء الباحثين في الادب العربي ، ان تتسم بسمات المذهب الفني ، بالنسبة الى زمانها ومكانها ، قامت على الحس المادي الملتصق بحياة البادية موصولة بالخيال ،يتنزى ولا يستطيع انطلاقا . ولكن بين خصائص هذه المدرسة خاصة تخالف مألوف الشعر الجاهلي ، وهي النزوع الى الاناة والروية . ولم يكتف أعلام الاوسية بتنقية المعاني والافكار بصبر وانعام نظر ، وانما اعاروا مادة اللفظ اهتماما كبيرا يتنخلون به الكلمات تنخلا ، ويلائمون بينها وبين ما يريدون التعبير عنه ، فسماهم قدامى الباحثين ، « عبيد الشعر » ؛ لان السليقة فقدت سلطانها المسيطر .

واشهر شعراء هذه المدرسة ، بعد اوس بن حجر ، زهير ، والنابغة ، والحطيئة ، وكعب .

ولئن اعتمد المنهج الرسمي النابغة الذبياني فيدراسة تفصيلية ، فلان هذا الشاعر قد خالط شعره أشياء من البداوة وأخرى من الحضارة . ولانه ، الى جانب ذلك ، عمل بحكمة زميله الجاهلي ، زهير ، اذ قال :

ومن لم يصانع في امور كثيرة	يضرس بانياب ويوطا بمنسم

فقد صانع وافرط ، حتى لمع في الاعتذار ، وحتى قيل : ان الشعر غض من قدره » ؛ فهو امير تمسح باعتاب الملوك . . . وهذا تملق حضري ؛ فكان ، على الرغم مما اخذ عليه ، واصلا بين الطبع الجاهلي وفن المصانعة ، ان لم نقل « المنافقة » !

ويضعف النابغة عن زميله الجاهلي الاخر ، امرىء القيس ، في الغزل ، الذي نريده ان يشف عن لذة ، او يشعر بألم ، وفي بعض الوصف الذي نحب الحياة انتتحرك فيه . فليس للنابغة ، في الغزل الصادق ، مثل امرىء القيس :

افاطم مهلا بعض هذا التدلل	وانكنتقد ازمعتصرمىفاجملي
أغرك مني ان حبك قاتلي	وانك مهما تامري القلب يفعل
تسلتعماياتالرجال عن الهوى	وليس فؤادي عن هواك بمنسل

وليس له ، من حيث الحياة والحركة ، في الوصف مثل قول امرىء القيس ايضا :

مكر ، مفر ، مقبل مدبر معا	كجلمود صخرحطه السيل منعل

ولذلك اعتمد المنهج الرسمي امرأ القيس نقطة انطلاق في الوصف ، للقمة التي بلغها البحتري ، في القرن الثالث للهجرة .

ويصح القول : ان عنترة كان يجب ان يكون اوفر نصيبا من دراسة الشعر الجاهلي لانه اقرب الجاهليين الى الاعراب عن المشاعر الصادقة ، وابعدهم مدى في محاولة الانطلاقة الى اجواء الملحمة واصفاهم اصالة نفس فيالتعبير عن الغبن الاجتماعي .

وطلع نور الرسالة القرآنية ، فحامت حوله القلوب وشغلت به العقول مبهورة خاشعة ؛ فعاشت العربية ،

---

(1) تصدير كتاب في الادب العربي بعده للطبع قريبا الاستاذان نسيم نصر ومحيي الدين البواب وفقا لمنهج البكالوريا في احدث الاساليب المدرسية .

على نفح الاسلام وهديه ، عمرا من دهرها ، عرف بعهد الخلفاء الراشدين ؛ ولكنها استمرت مشددة الاواصر الى عزلة الجاهلية ومناحي ادب السليقة فيها .

ولئن كان الاسلام ، خلال عهد الراشدين ، قد اخذ يتحول بمعتنقيه من اهل جزيرة العرب ، من بداوة الى حضارة ، ومن وثنية الى توحيد ، ومن عرف عشائري الى نظام دولة ؛ فان نظرته الى الشعر (٢) اول الامر ، لم تدفع الشعراء ، او هي لم تشجعهم على مجاراة ذلك التحول المثلث . ولا ينفي قولنا هذا ان يكون فضل القرآن على اللغة العربية فضل الينبوع على مجرى النهر .

واغلب الظن ان الجانب الاكبر ، من شعر تلك الحقبة من الدهر ، قد لعبت به ايدي الضياع ، فلم يصل الى اصحاب المراجع التي نعتمدها مصادر لادب العربية . وتوشك ان تقتصر البقية الباقية على المدائح التي قيلت في الرسول الكريم ؛ وهي ، على جلالة موضوعها ، لا تغني فنون الشعر غنى يسمو بها عما كانت عليه في الجاهلية ، ان لم نقل انه ، اي الشعر ، ضاقت مجاليه ، في صدر الاسلام الاول ، عما عرفت به قبله .

وفي العهد الاموي بدأ الحرف العربي يخرج من عزلته خروجا اطل به على آفاق من الحضارة . تلك الحضارة التي نشأت مزيجا من روح الاسلام وحكمته وشرعه ، من جهة ، ومن الفنون والعلوم والعمران ، التي كانت قد اخذت بها شعوب الشام ومصر والعراق وافريقيا الشمالية واسبانيا ، من جهة اخرى . فجاءت التماعاتها الاولى ابدا لشأن الادب العربي الى جانب عظمة الدولة . فكان في شعر الاخطل وجرير ، ولا سيما عمر بن ابي ربيعه ، الشأو المبشر بسلوك الشعر العربي سبل المذاهب الادبية . وجاء التدريب الفني وليد الطباع المدمثة والنزعات المروضة ، يمهر قوافيهم بسمات مدرسية . اوليس في جرير ، مثلا ، ما يمثل لنا صراع خشونة البداوة ولين الحضارة ؟ اذ نراه مميزا بضراوة الهجاء وفحش التعبير يعدد بها مثالب الخصوم ، او يخلقها ان اعياه وجودها ، في مثل قوله لخصمه الفرزدق :

تدليت تزني من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلى والمكارم

وفي قوله ايضاً :

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ونراه ، مرة اخرى ، مميزا بارفق والين ما يبلغه فن الغزل من حلاوة التعبير عن الحالة المرة . قال :

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله اركانا

وبينا نحن ننظر في ما يضفيه فن التعبير الشعري من حلاوة اللفظ على مر المعنى ، لا بد لنا من التنويه بان عمر بن ابي ربيعة سيد من اسياد هذا الفن وفارس مجل من فرسانه ؛ فهو يخلع على شناءة الموضوع رائعا من مطارف الفن ، فتستتر وقاحة المعنى خلف استحياء اللفظ . فاسمعه يقول ، في « ليله ذي دوران » :

وكان مجني دون من كنت اتقي ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر

والموضوع ... مشهور ، لا حاجة لعرضه !

وفي سبيل هذا الخروج بالحرف العربي الى حياة جديدة ، لاقى ما لاقاه الوليد بن يزيد ، اذ ذهب ضحية فتنة سياسية ، في الظاهر ، ولكنه ، في باطن الامر «ذهب، بنوع خاص ، ضحية » لهذه الحياة الجديدة ، التي كانت دليلا على انقلاب خطير في الحياة العربية من الناحية العقلية والاجتماعية والسياسية » (٣)

وكان في نثر عبد الحميد بن يحيى ، الملقب بالكاتب ، ما وضع النثر العربي في الطريق الصالحة مسلكا لبلوغ الفكر غايته من حسن الاداء وطواعية التأليف وامتداده . وهذه هي ميزة النثر ، التي تجعله القسم الثاني من الكلام ، الى جانب الشعر .

فخاصة الشعر الاولى هي اللذة يستحضرها الفن . وقد تلهيك لذة الشعر عن المعنى ، مرة او تخفيه اخرى ، وتبقى لذة فنية ؛ ولكنها ليست كذلك في النثر .

وفي هذا قيل : بدىء النثر بعبد الحميد .. (٤) على الرغم من وجود «نثر» عرف في الجاهلية ، وفي صدر الاسلام ، قبل عبد الحميد ...

ومع الاحتفاظ باعجاز القرآن الكريم وجلالة بيانه ، وتأثيره في العقول والنفوس ، بقي نوابغ شعراء الجاهلية مثلا يقتدى بهم في الشعر ..

وعرف اللسان العربي نوعا من الكلام دعي سجعا ؛ لانه يتألف من عبارات مقفاة ، يسهل التوكؤ على اواخرها « قوافيها » في النطق ، وتتوائب الفاظها الى الذاكرة عند الرواية ، فاعتمد هذا النوع من الكلام المسجع لغة للخطابة غالبا .

لهذا يستطيع مصنف الكلام العربي ان يفرد للخطابة ناحية خاصة بها ، ولا سيما في ما كان من شأن العربية قبل عهدها بالنثر المرسل . فكثيرا ما يتفاوت قدر اللذة الفنية بين سماع الخطبة الواحدة ، تلقى باحكام خطيب وبين قراءتها همسا او بالعين . ولعل الاشارة الى هذه التوعية ، من الكلام العربي ، هي التي اقتضت ان نقرأ زيادا والحجاج ، فنحس في قراءتهما لذة فنية ، على الرغم مما تحتويه خطبهما من جفوة وشدة . وهذه اللذة قائمة في الملاءمة الرائعة بين اللفظ والمعنى .

اما العهد العباسي فقد تحولت فيه الالتماعات الادبية الى اشراق نيّر ، رقي ، الحرف العربي ، على ضوئه ، الى قمم من الابانة المعنوية والرواء اللفظي ، فاستوى على ذروات ما تزال حتى اليوم متحدى ادب رفيع وفكر جزيل القيم .

وفي بغداد ، العاصمة الام لهذا العهد ، الزاخر بالمعرفة تسترفدها من كل مصادرها ، والمتزين بالتنوع والطرافة تناولها ممن اشتهروا بها ، سما الادب العربي مدعما بالثقافة مستملحا بمذاهب الفن . وحذت عواصم الدويلات المنشقة عن بغداد ، حذوها في فتح ابوابها للنوابغ من كل

(٢) اساسها قول النبي العظيم في امرىء القيس : « هذا حامل لواء الشعراء وقائدهم الى النار ».

(٣) المثبت بين قوسين لطه حسين « من حديث النثر والشعر » ص ٨٤

(٤) « ... وختم بابن العميد » ولكنه ... لم يختم ..!

جنس ودين ولسان .
وهكذا نرى ان اول ما تنبه له الشعراء العباسيون هو حطم قيود الاتباعية والاخذ بحرية التجديد . وهي محاولة جريئة لم تسنح فرصتها الا عندما اخذت الشعوب الداخلة في دولة بني العباس والمتماسة بها ، تحاول ، هي الاخرى ، القضاء على كل ما هو عربي . ومن هنا كان فضل الشعوبية على الادب العربي والفكر العربي كبيرا ، من جهة ، وكان اذى الشعوبية على الحكم العربي عظيما من جهة اخرى .
غير ان الذين تجرأوا على الخروج على القديم كانوا قلة، ولا سيما في العصر العباسي الاول . ولعل اقدم مجاهرة بنبذ اساليب الشعر الجاهلي قول مطيع بن اياس ، اذ رد على فتى من الكوفة :

لاحسن من بيد يحاربها القطا	ومن جبلي طي ووصفكما سلعا
تلاحظ عيني عاشقين كلاهما	له مقلة في وجه صاحبه ترعى

وننوه ببشار بن برد ، راس مخضرمي الدولتين ، الذي تميز بجدة المعاني في مثل قوله :

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة	والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا بمن لا ترى تهذي؟ فقلت لهم	الاذن كالعين توفي القلب احيانا

ومن قالوا بهذيانه في ما لا يرى ، ماذا يقولون في روعة خيال هذا البيت ، وهو واحد من ابيات لوحة التحام معركة :

كان مثار النقع فوق رؤوسنا	واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وجاء ابو نواس ، في تعرضه للنهج القديم ، باجهر مما تعرض به من سبقه او عاصره من الشعراء ، ولم يفعل ذلك معتمدا على جرأته فحسب بل متأثرا بما تفشى في الحياة الاجتماعية من التمادي في السكر والخلاعة والمجون. فاسمعه يقول :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند	واشرب على الورد من حمراء كالورد

او ما هو ادل على الهزء بالقديم كقوله :

صفة الطلول بلاغة القدم	فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ولكن البلاط العباسي كان ، على تساهله في تفشي ذلك التمادي ، واشتراكه فيه احيانا ، يعود الى بعض الحشمة ، ثم يعمد الى دعوة الشعراء بالرجوع الى طريقة الجاهليين ، تسترا من ريبة او دفعا لطغيان شعوبية . وهذا ابو نواس ينشد من سجنه دليلا على ذلك :

اعر شعرك الاطلال والمنزل القفرا	فقد طالما ازرى به نعتك الخمرا
دعاني الى نعت الطلول مسلط	تضيق ذراعي ان ارد له امرا
فسمعا ، امير المؤمنين وطاعة	وان كنت قد جشمتني مركبا وعرا

وهكذا مهد السبيل للتحول عن ذلك « المركب الوعر »
وعبقت دنيا الشعر العربي بريح الخمرة تنبعث من انفاس ابي نواس ؛ لتجعل من الخمارة المرذولة قمارة من اطايب الفن والزهو الممتع الماتع . . . !
فهاكم نواسها يستطرف ويتفرد في قوله :

رفعت على كسرى سماء مدامة	مكللة حافاتها بنجوم
فلو رد في كسرى بن ساسان روحه	اذا لاصطفاني دون كل نديم

فقد سما في هذين البيتين الى رائع من الصورة والمبالغة لم يدانها الاخطل التغلبي حين قال لعبد الملك بن مروان :

اذا ما نديمي علني ثم علني	ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت اجر الذيل زهوا كانني	عليك امير المؤمنين ، امير

وكثيرا ما كانت مجالس الخمرة توحي بالغزل الوقح يقال في وصف النساء الخمارات :

وتحت زنانير شددن عقودها	زنانير اعكان معاقدها السرر(٥)

وتبرج الغزل يلوح باغراءة الفتون الفني وينزو بنبض القلب المشوق ، متراوحا بين خلع العذار والتلبس بالعفاف او الاستحياء ، بين شاعر واخر ، وبين الشاعر الواحد ونفسه احيانا .
ومثل هذا التراوح كثير في الغزل العباسي ، لا مجال لتقديم الشواهد عليه ، في كلام خاطف كهذا ؛ فهي متوفرة لكل قارىء متفهم . ولكن ما لا بد من شاهد عليه هو تأثر الثقافة البادي ، حتى على الغزل ، صرف العاطفة . من ذلك قول ابي نواس : (٦)

وذات خد مورد	قوهية المتجرد
تامل العين منها	محاسنا ليس تنفد
فبعضها قد تناهى	وبعضها يتولد
والحسن في كل عضو	منها معاد مردد

وحتى على شعر الخمرة كان للثقافة اثر بارز . فهذه نشوة الخمرة : « تتمشى في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم » .
وما حدث من التجديد في العصر العباسي الاول تزعمه ابو نواس بشكل بارز . ولا يمنع هذا القول من الاعتراف بان بشارا بن برد كان اول من اطل في الشعر العربي على البديع فزين شعره ببعض انواعه .
اما العصر العباسي الثاني فقد عقد لواء التجديد فيه لابي تمام ، الذي « انقسم الناس ، في عهده ، الى قسمين : متحزب له ومتحزب عليه » ؛ ذلك لانه « جعل من الشعر صناعة » .
وكلمة صناعة ، في هذا القول المأثور ، لا تتناول استكمال فن البديع ، كامل جمال التعبير الشعري ؛ وانما تعني تقوية بيانه بالمعاني الفلسفية وخطوط الصورة المثلة الفكرة .

---

(٥) روي هذا البيت لابي نواس ولابن المعتز ايضا .
(٦) ابو نواس خير من مثل عصره ؛ فلا عجب ان تعددت الشواهد من شعره .

ابو تمام ، احد النخبة المقدمة في العصور العباسية كلها ، وهو ، في عصره ، شاعر الفكرة ، المحلاة بالخيال ، الموشاة بالوان البديع . ولكي نتبين تقديمه الفكرة على كل عناصر الادب ، ننظر في خير ما يروى من غزله القليل ، قوله :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى ... وحنينه ابدا لاول منزل

او قوله في حبيب محتجب :

ليس الحجاب بمقص عنك لي املا ... ان السماء ترجى حين تحتجب

ولعل افضل ما فلسف من المعاني شعرا قوله ، في حساده وفضله :

واذا اراد الله نشر فضيلة ... طويت اتاح لها لسان حسود
لولا انتشار النار في ما جاورت ... ما كان يعرف فضل طيب العود

وهكذا نرى ان الثورة التجديدية المضطربة خمدت بعد موت ابي نؤاس والخليفة المأمون ؛ فأطل القرن الهجري الثالث ، مؤذنا بحركة اكثر اختمار علم وادب ، واقرب الى واقع اجتماعي أرصن . اذاً ، اصبح على المسرفين في المجون والخلاعة ان يقتصدوا او يستخفوا .

وابو تمام خير من عبر عن ذلك التحول نحو شيء من الرصانة ، كما تقدم (٧) .

ولئن كان ابو تمام اقوى فكرا من البحتري ، وعديله في الانفعال النفسي وقوة الخيال ، فالبحتري اطبع من ابي تمام على الشعر واصفى نفسا وخيالا واسلم ذوقا ، وارهف حسا . وفوق ذلك ، ابرع في دقة التفاصيل الوصفية ، واكثر تماسكا في تخير مستكملات الصورة .

واعتمادا على الطبع ورهافة الحس عد البحتري محضرا مذهب امرىء القيس ، في الشعر العربي .

وفي شعر البحتري موسيقى رائعة وملاءمة خلابة قائمة بين اللفظ والمعنى ، عليهما قامت اسباب تفوقه على معلمه ، ابي تمام ، عند من راى ان يجعله كذلك .

وبين تمثيل البحتري سجية الفطرة الجاهلية ، في قلب الثقافة العربية ، وبين تحليقه على اجنحة الحضارة لوصف العمران ، يكمن البحث الاساسي في درس خصائص شعره ، وتقدير مدى ما افاد الادب العربي من منظوم هذا الشاعر .

وافضل ما يعبر عن ارتداده الى مذهب امرىء القيس ، ارتدادا شاملا ، قصيدته في وصف الذئب . فهي في السلام على الاحباب ، وذكر « اطلال العامرية باللوى » ؛ ثم في وصف نفسه عالي الهمة ماضي العزم ، تطالعك بغزل تقليدي ، تتلوه عنجهية جاهلية ، توافرت فيها قوة البداوة تلائم سياقها الفاظ بدوية فيها الكثير من ضراوة الذئب . فاسمعه يقول :

واطلس ملء العين يحمل زوره ... واضلاعه من جانبيه شوى نهد
له ذنب مثل الرشاء يجره ، ... ومتن كمتن القوس اعوج مناد

---

(٧) اخذ عن ديك الجن اساليبه الفنية فحسنها ، ولكنه لم يأخذ عنه الامعان في الخلاعة والمجون ، ولا شدة العصبية على العرب .

عوى ، ثم اقعى ، فارتجزت فهجته ... فاقبل مثل البرق يتبعه الرعـــد
فأوجرته خرقاء ، تحسب ريشهـــا ... على كوكب ينقض ، والليل مسود

ثم أعد الى ذاكرتك قول امرىء القيس ، في جواده :

مكر مفر مقبل مدبر معــــــا ... كجلمود صخرحطه السيل من عل

وقابل بينه وبين « عوى ثم أقعى ... » وانظر الـى تماثلهما في النشاط والحركة . واحسن من هذا كله ان تقرا قصيدة البحتري « الشاعر والذئب » لتلمس فيهـا الطريقة الجاهلية واضحة المعالم ، حتى في الالفاظ البدوية.

وخير ما يعبر عن امتداد شاعرية البحتري مــــع الحضارة سينيته ، في قصر كسرى ، ووصفه بركةالمتوكل. واذا كان ، في الاولى ، قد جمع بـــين الوصف الحسي والوصف الخيالي ، وحشد بينهما الخواطر في عبر الايام ، فلقد كان ، في الثانية ، اكثر تأثرا بمستحدثات الحضارة . ولا يفيده ان وطأ لوصف البركة ، مرتـــدا الى الغـــزل التقليدي (٨) ، او الى جن سليمان ، اسطورة البنائين في دهشة الفن المعماري ، او الى بلقيس ، مثال الجمال وخرافة الثراء ... فانما المعني امتداده ، مع الذوق الحضاري ، عندما تناول البركةموصوفا مباشرا. وهاكم النفس البدوي، مسترخيا للرخاء ، لينا بلين الرفاهية ، في قوله :

تنصب فيهـا وفود الماء معجلة ... كالخيـل خارجة من حبلمجريها
كأنما الفضة البيضاء سائـــلة ... من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكا ... مثل الجواشن ، مصقولاحواشيها
فحاجب الشمس ، احيانا ، يضاحكها ، ... وريق الغيث ، احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ... ليلا ، حسبت سماء ركبتفيها!

وليس ادل على تراقي نســـج البيت ، والتصرف المتمرس بفنون الشعر ، من مثل قول البحتري :

وليـــلة القصر ، والصهباء قاصرة ... للهـو بـين اباريـق واقــداح
ارسلت شغلين: من لفظ محاسنه ... تدوي الصحيح ولحظ يسكر الصاحي
حييتخديك ، بل حييت من طرب ... وردا بورد وتفاحا بتفــــاح

وعلى الرغم مما كان لهذا العصر من ميزة قامت عـلى استكماله فنون البديع ، واشتهاره بها ، فان بين شعرائـه شاعرا فذا ارتفعت شهرته على دعائم الدقة والاستيفــاء الفنيين وعلى بث الصفات في الموصوفات حية متحركة يوليها وظيفة النطق احيانا .

وهــذا الشـــاعر هو ابن الرومي (٩) الذي فلسف الاحساس بشعوره المرهف ؛ ولكنها فلسفة لا تخلو مـــن اضطراب وتناقض . ومرد تلك القلقلة في تفكيره الى شقاء الحياة الذي حمله على التطير من الحياة ونهمه فيها في آن واحد .

وقد غلب على اسلوبه طابع الارتجال ، وان كـــان الاستقصاء المعنوي والابتكار التصويري غايته لم يحد عنهما في كل ما خلف من الشعر . فشعره مرآة لشخصيتـه يتراءى فيها انسانه المطبوع على الفن .

ولئن كان ابو تمام طليعة شعراء العرب الذين طوعوا البيت الشعري للمعنى الفلسفي ، تفكيرا وتحليلا ، فعرف بـ « شاعر المعاني المبتكرة والذهنيات البعيدة الغور » ، فان المتنبي قد روض القوافي لاستيعاب « فلسفة الامـــل الطامح المؤمن بالقوة ، والامل الخائب المثقـل بالنقمـــة والثورة والتشاؤم » (١٠)

لذلك فانت لا تمر بأزمة ولا تتعثر في سبيل غاية ، لا تقع ، في التعبير عن حالك فيهما ، على شعر للمتنبي . ولعل اشهر ما أعانه على التفوق في ذيوع قوافيه انه كان ذا شخصية قوية فرضت سلطانها على البحاث والنقاد ؛ فتساوى في اشاعتها واذاعتها المتعصبون له والمتعصبون عليه . تلك الشخصية التي مهرت شعر صاحبها بعاطفـــة مزدوجة الشدة : شدة ألم الاخفاق وشدة نزعة العروبة الخالصة ؛ ومهرته ايضا بخيال جبار مولع بالعظائم ، تستقيم له الوثبة ولا يستطيع التماسك في سماوتها . ولئناختلف المقدرون في قيم عظائم المتنبي ، بالنسبة الى تنزيهالعظمة، فانهم لا يختلفون في طاقة الشاعر على انتزاع الاعجاب بتلك العظمة ، غالبا .

وهاك ابا الطيب ، المتعثر الطموح ، ينتابه تبـــــرم الكبرياء منذ طلوعه على الحياة فيقول :

اين فضلي اذا قنعت من ... الدهر بعيش معجل التنكيد
ابــدا اقطع البلاد ونجمي في نحـوس وهمتي في سعود

ويقول في مكان اخر :

الى كـــم ذا التخلف والتواني ... وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعـالي ... ببيع الشعر في سوق الكساد؟!

ولكن حكمه على نفسه بالاشتغال عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد ، لم يبق صالحا لينطبق عليه بعد قرباه من سيف الدولة ، فقد اوشك هذا الامير ان يصبح بطلا اسطوريا ، في بعض قصائد المتنبي . فاسمعه يستل لمدوحه من الهزيمة نصرا يحلو ويروع :

وهل يضيرك وقت كنت فارسه ... وكان غيرك فيه العاجز الضرع
من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضـــع

واعجب اليه يغنيه بطولة عربية ملحمية الوثبة في قولـــه :

اذا الدولة استكفت به في ملمـة ... كفاها فكان السيف والكف والقلبـا
تهــاب سيوف الهنـد وهي حدائد ... فكيف اذا كانت نزاريـة عربـا ؟!

أما الذين قسوا على المتنبي في نقدهم فلقد أعانهم

---

(٨) الغزل ووصف الخمرة بابان جعل منهما الشاعر مدخلا الى موضـــوع قصيدة مهما كان غرضها . وما يزال بعض شعرائنا حتى اليوم يفعلون ذلك . من ذلك قول الاخطل الصغير ، في مستهل مدح الرئيس القوتلي ، في اواخر رئاسته الاولى :

فتن الجمال وثورة الاقـــداح ... صبغت اساطير الهوى بجراحي

(٩) انظر : « ابن الرومي شاعر ساءه الزمان ... فتسلى » في مكـان اخر من هذا الكتاب .

(١٠) تاريخ الادب العربي لحنا الفاخوري .

على ذلك مدحه العبد الاسود «كافورا» طمعا بمرتبة عنده. ولكنه بطن المدح بالتهكم الخفي ؛ فكان بارعا في تقليب المعاني والايهام الفني . فتمثله يقول لكافور :

وما طربي لما رايتك بدعة ... لقد كنت ارجو ان اراك فاطرب

وهكذا يستشف الناظر في شعر المتنبي ، بمعيار الصدق والكذب ، انه كان صادقا في مدح سيف الدولة وان غالى في بطولته ، وفي هجاء كافور وان افتن في مدحه ، وكان حكيما في كل ما نظم :

وقصارى القول : ان ما استقام للبحتري من تحضير الاوصاف البدوية توفر مثله للمتنبي في الباس المعاني القديمة لباسا مستحدثا من الحياة النشيطة المتحضرة ، وقواها بفيض من شخصيته العارمة . وبقي اثر المتنبي في الشعر العربي كبيرا وسيبقى ، لمرافقته وقائع الحياة مرافقة قوية التعبير ، غامرة بانسانيتها الفكر والرأي والعاطفة ، فاتحة ابواب الذاكرة بفنها وايجازها واحكامها . ويكفي ابا الطيّب فخرا ان يكون ابو العلاء المعري ، فيلسوف الشعر العربي ، قد عني بديوانه فشرحه وسماه « معجز احمد » . وان يكون الدكتور طه حسين ، متعصبا عليه ، ولكنه ، على تعصبه ذلك ، اقر له بكثير من الفضل حتى على ابي العلاء نفسه (١١) .

وفيما كان الشعر العربي يتناول حكم القدماء من اليونان والفرس نقلا او اقتباسا ، وينزل الى غور من الفلسفة يجول فيه ابو العلاء ، كان العرب ، في الاندلس ، يتخايلون بمستحدث من الشعر ، عرف بـ « الموشحات » .

وان نحن اعتمدنا تلك الموشحات ، بعد استقرار شأنها ، رأينا لها ميزات تنفرد بها عما كان عليه الشعر في الشرق العربي آنئذ . وهي ثورة على قواعد النظم المعروفة في العربية حتى ذلك العهد .

اشهر ميزاتها اللفظية: التوشيح اي التزيين والتنميق ، والتفلت من القافية الواحدة ، والسهولة في التعبير ليصبح صالحا للغناء . وفي هذه السهولة قيل : « اراد الاندلسيون ان يتغنوا فغنوا » . وبلغ من سهولة بعض الموشحات ان خرج بها ناظموها الى العامية . (١٢)

واشهر اغراضها المعنوية قائمة في نطاق التغني ، ملائمة فن الغناء ، تستمد معانيها من الغزل والطبيعة وتأثيرها والخمرة ونشوتها . وكانت تمتد تلك الاغراض الى المديح والشكوى والرثاء ، تبعا للحالات التي كان الموشح يكون لمناسبتها .

ولكن الموشحات جاءت كلها لطيفة المعاني في غير عمق ، قليلة الابتكار دون جهد .

وبقيت الطبيعة ابرز اغراضها على الاطلاق . فاسمع ابن الخطيب يقول :

اي شيء لامرىء قد خلصا ، ... فيكون الروض قد مكن فيه
تنهب الازهار منه الفرصا ، ... امنت من مكره ما تتقيه
فاذا الماء تناجى والحصى ، ... وخلا كل خليل باخيه
تبصر الورد غيورا برما ، ... يكتسي من غيظه ما يكتسي
وترى الآس لبيبا فهما ، ... يسرق السمع باذني فرس(١٢)

(١١) انظر « مع المتنبي » لطه حسين .

(١٢) كثيرا ما كان اصحاب الموشحات يخرجون بـ « الخرجة » الى العامية

وانتشرت الموشحات في المغرب والمشرق ؛ فكان لانتشارها اثر سيء في بلاغة الادب ، اذ انحدر الشعر العربي معها الى الازجال العامية .

غير ان بعض الشعراء المحدثين ، في مطلع عصر النهضة او ابان الانبعاث ، عادوا بالموشح الى مراتب البلاغة الفصحى كما فعل سليمان البستاني في ترجمة الالياذة ، او كما تصرف به شوقي في مسرحياته الشعرية القصصية .

وتبدلت حال الشعر في العصر العباسي الرابع ، حين اصبحت شؤون الدولة ، في معظمها ، بين أيدي الاعاجم والدخلاء على العربية ؛ فانصرفت قرائح الشعراء الى القصة والتصوف وسائر العلوم الدينية . فتغيرت أغراض الشاعر ؛ فاذا هو لا ينظم طمعا في جائزة ، او لبلوغ منزلة او حظوة عند ولي امر ، ولكنه ينظم تلبية لرغبة في النظم .

وكان المأمول ان يسمو قدر الشعر بعد ان تنزه عن التمسح بالاعتاب ، والزلفى الى العظماء ؛ غير ان الامر جاء على العكس . وما نظن ذلك الا لان آفاق الغايات من الشعر مالت الى النزول عن سماوة الخيال وتقيدت دون انطلاقة الابداع ، وتجمدت في سبائك الفكر .

وربما كانت مهانة قدر الشاعر وفاقته القاسية سببا اولا في كساد سوق الشعر . وهذا ابن التعاويذي يقيم الدليل على ذلك بقوله ، مخاطبا عضد الدين ، رئيس الرؤساء :

فيا مولاي هل حدثت عني ... باني من ملائكة السماء ؟
وان وظائف التسبيح قوتي ... وما احيا عليه من الدعاء ؟
واني قد غنيت عن الطعام الـ ... ـذي هو من ضرورات البقاء ؟
وهل في الناس ، لو انصفت ، خلق ... يعيش كما اعيش من الهواء ؟
فلا في جملة الاحرار ادعى ... ولا بين العبيد ولا الاماء

ولكن الاهتمام بصناعة الشعر ، التي سبق ان عني بامرها ابن رشيق ، في اواخر العصر الماضي ، وخصها بكتابه « العمدة » ابقى هذه الصناعة في حيز من الانضباط ؛ ولكنه انضباط صناعي اوشك ان ينحصر في اغراض الفخر « بالنفس » اعرابا عن المهارة في هذه الصناعة ، لا لغرض آخر .

وشاهدنا على ذلك ابن سناء الملك ، الشاعر المصري ، المعروف بمبالغاته ، الخارجة عن حد المعقول .

وقصيدته « سواي يهاب الموت ، او يرهب الردى .. » نموذج بارز في هذا النوع ، بلغ من اعتداده الاجوف فيها ، قوله :

وانك عبدي ، يا زمان ، وانني ... على الرغم مني ان ارى لك سيدا

اما النثر التأليفي المعروف في تاريخ الادب العربي بـ « الانشاء المرسل » فهو ما اشرنا الى ظهوره على يد عبد الحميد « الكاتب الاموي » (١٣) وارجأنا التنويه بقدره الى ما بعد التنويه بمواكب الاجيال الشعرية . وفي هذا الصدد نستطيع اعتماد القول المأثور :

(١٢) الفرس : الحذر العاقل او الرقيب .

(١٣) اشارة الى ان عبد الحميد بن يحيي كان كاتب الديوان الملكي الاموي ؛ فعرف بالكاتب ، وهو لقب لاهم الموضوع الذي نتكلم عنه في مؤدى كلمة كاتب .

« لم ينضج الاسلوب المرسل الا في العصر العباسي الاول ؛ لاضطرار الناس الى التاليف من عند انفسهم ، بان يدونوا افكارهم او ينقلوا افكار سواهم من اللغات الاخرى . » (١٤)

وكانت آية ذلك النضوج في الاسلوب المرسل صنيعة عبد الله بن المقفع في نقله كتاب كليلة ودمنة من الفارسية القديمة « الفهلوية » الى العربية . فتهادى النثر في مجالي من السهل الممتنع مستندا الى سلامة ذوق وقريحة منشىء قادر ؛ مما دل على ان النثر يحتاج قريحة وقادة تخلع عليه من فنها لتنشىء نماذج تصلح متحدى للمقتفين آثار البلغاء.

ولم تقف الترجمة حائلا دون افراغ المعاني في مسابكها الاصيلة النهج العربي ؛ كما انه لم يخل استكمال الكتاب المترجم من اضافة يعسر على المتبصر فيه ان يمايز بين الترجمة والتاليف . وهكذا دخل كتاب كليلة ودمنة على العربية يحمل اليها مراسا في التاليف ، يتحلى بالسهولة والرشاقة . فكان باكورة فن مروض ارتفعت بالنثر العربي، في وثبة واحدة، الى ذروة من ذرى اساليب اللغات الاخرى.

ومضى ابن المقفع في « ادبيه : الصغير والكبير » يركز الوثبة العالية بالادب الصغير ، ويحوطها ببراعة الناصح الخطيب بالادب الكبير . وهكذا اقام الدليل على انه ، وهو الفارسي الاصل ، ممسك بزمام البلاغة العربية ، يبدع السرد القصصي المتهادي فيها ، كما يجيد عبارة المنبر الفخمة منها ؛ ويحقق تادية القصد المعنوي محتفظا بالتماسك الفني التعبيري .

وقصارى القول ان عبدالله ابن المقفع طليعة المنشئين الكتاب بالحرف العربي (١٥) .

واخصب العصر العباسي الثاني بالكتاب والمنشئين ، وقد اتفق المعنيون بدراسة الادب العربي وتدريسه على اعتبار الجاحظ مثالا لتلك الكثرة من الناثرين الفنيين البارعين .

واذا كان ابن المقفع سبق فامتد بالعبارة امتداد المعاني ووصل ما بينها باحكام السياق الموضوعي ، فهذا الجاحظ جزا العبارة كأنها مجزوء من الشعر او كأنها سجع ولكن دون تقفية ، وادخل فيها الدعاء حشوا واعتراضا والتفاتا ؛ فعرف بهذا الاسلوب المعروف بـ « الجاحظي » (١٦) . والجاحظ استاذ النزوع الى التكرار مقوي البلاغة ومشدد تاثيرها في النفس ؛ ولكنه التكرار المترفع عن السعي اللفظي، يصد عن الايجاز تقريرا للمعنى المراد واستنادا الى اسلوب الجاحظ انتقد ابن قتيبة في « ادب الكاتب » قول يزيد لما كتب الى مروان حين عرف تلكؤه في بيعته : « اما بعد ، فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى ، فاعتمد على ايهما شئت »

وقال : « ان هذا لو قيل الان لم يأت بالتأثير المطلوب والصواب ان يطيل ويكرر ويعيد ويحذر وينذر . . »

وكتب الجاحظ كلها تتسم بسمات شخصية : المزاجية والادبية والعلمية . ففي كل ما خلف من الارث الفكري مركب من عقل باحث مجد وقلم بارع خصب ونفس مرحة فكهة .

ولما كان النثر المرسل لغة الفكر وجب ان نتبين وجوه الحياة في كل عصر لنستطيع ان نترسم ادب الكاتب . واذا ما علمت ان العصر العباسي الثالث تميز بحضارة مترفة كان عليك ان تنتظر نزوعا الى التأنق ، واسترسالا في التنميق ، عند خاصة الكتاب ، تلاؤما وما هم عليه من اسباب الرفاهية . ويعتبر ابن العميد امام هذا النحو النثري الذي عرف بالطريقة المدرسية « الكلاسيكية » :

ونهض التاليف والتصنيف ، في مناحي الحرف العربي ، يقيم من مصانعه مدارس ومذاهب ، نهوضا طلع به بشر بتقدم العربية الى الصف الامامي من لغات العالم الخصبة المنتاج .

وطفت على الدولة العباسية ، في عصرها الرابع، محنة سيادة الاعاجم على شؤونها ، فاذا بالادباء العرب ينزلون الى درك الزلفى للاغراب ، وينصرفون الى الاسراف في تنميق الكلام وتوشيته ، والتعمل اللفظي ، والايغال في فنون البديع .

وهكذا نرى ان زمان المدرسة الكلاسيكية لم يمتد طويلا ، نظرا لما عاجل الدولة من اسباب الانحلال ، وما اعترض طريق الادباء من عوامل النكسة الحياتية في مختلف الوجوه .

وابى سيف الغزو الغاشم المجتاح الا ان يكون مدمرا في هياكل الفكر مثله في مجالي العمران ، فهوت الدولة العباسية عند اقدام هولاكو ، مبددة القيم ، ذاهلة البقايا ، واجفة الادمغة .

وقعدت العربية مغلولة الخطو ، هزيلة النتاج الفكري اجيالا ، الى ان اطلت طلائع الانبعاث ، خلال القرن التاسع عشر للميلاد . وبعد ان حاولت طليعة هذه الطلائع ان ترمم في ما تصدع ، وان تردم الوهدة الفاصلة بين الماضي والحاضر فلم تفلح ، اذا بالفوج ، الذي صحا على فجر القرن العشرين ، يرى من الخير ان تنطلق الاقلام العربية في ميدان الحضارة الحديثة ، مستردة من الغرب دينا او بعض دين مستحق للشرق العربي .

من هنا يلتف البحث المعني على المفاهيم الحديثة لنتبين النزعات التي اخذت تتحول بالادب العربي عن جواد وشعاب كانت له ، في ما مضى ، من قريب او بعيد .

نسيم نصر ومحيي الدين البواب

---

(١٤) جرجي زيدان : المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية . ص ١٤٨

(١٥) في مفهوم الدراسات الادبية فارق بين الكاتب والمنشىء . فالكاتب اميل الى الاهتمام بالمعاني، والمنشىء اكثر عناية بالرواء البياني. لذلك قيل: المنفلوطي منشىء لا كاتب . وربما قصد بالكاتب قوة الايجاد المعنوي وبالمنشىء براعة الافراغ البياني .

(١٦) لا نعني هنا «الجاحظية» مذهب اعتزال نسب الى الجاحظ ، بعد ان التزم زمنا مذهب الاعتزال المعروف عن استاذه ابراهيم النظام ، المعتزل المشهور .

الحب...

الى التي قالت لي « بيني وبينك جبل ... »

✳

كـــان للنفس صورة فتانـــه ،
لونتهـا نفس الفتى الفنـانـه ،
مقلة تنفث السحـر ، وثغـر
يشتهي النور ان يروع جمانه !
ومعان كما يرى الشعر ، زانـت
منـك صدرا ، وقامـة ريانـه !
فاذا انت صورتي التي براهـا
فؤادي ، وأفنى عليهـا زمانـه !
واذا بي ، مذ رأيتـك نشـوان ،
ونفسي ممـا رأت نشـوانـه !

✶

انمـا الحب سكرة تسلب اللب ،
فمضنى يشكو الـى ولهـانه !
ليس للحب من زمـان وديـن ،
بل هو الحب روح كل ديـانـه !

✶

هل يلام الندى ، تهاوى على الزهر
وروى مـــن فيضـه ظمآنـه ؟
أم يلام الفراش ، تجذبه النـار ،
فيهوى مـن حرهـا احضـانه ؟

✶

سرحي الطرف في الحياة ، تريهـا
بيت حب ، شـاد الجمال كيانه !
يسكن العاشقون خضر نواحيـه ،
ويفنى فوق الهشيـم سوانـه !

رشـاد دارغوث

انـا ... ؟

✳

انـا بسمة فـوق الشفـــاه
انـا رعشـة في جوف الزمـان
انـا وتر في قيثـارة الحيـــاة
انا قطرة رطبة في افئدة الازهـار
انـا ••• وأين أنـا

انا يا الهي همسة في الخـواطر
ورعشـة حـلوة في المشـاعر
وخلجـة طفيفـة في القـلوب
وفـكرة بارقـة في العقـــول
ودمعـة حائرة في الجفـــون
انـا ••• وأين أنـا

انـا في الطبيعة كالسراب البعيد
والحب في كأسي شهد أزلـي
فأين انا •• وأيــن كأسي

انـا في مجاهـل العمـر طريدة
في قلبي نوائـب ثقيـــــلة
أنـا اجوب الدنيـا كالشريـدة
في كأسي حشـــالة الحب راسية
فأين انا •• من الدنيـا

انا يا الهي ثـورة في العـواطف
ترنـو عيناي الى غـرام جارف
فأيـن انـــا ••• وأين حبـي
اذ كنت في غفوة سادرة المبعث

دمشق منور فـوال

قصـة مصرية

خبز الحرب

بقلم رضوان ابراهيم

محاضرات المنطق ، ووجبة العدس المخلوط بالحصى والزلط هما شعار يوم الاثنين في كليتنا .

يتوه بنا الاستاذ في دروب القضايا السالبة والموجبة والصغرى والكبرى والكلية والجزئية .. فلا ينقذنا من دوار المتاهة الا صليل الجرس .

فننطلق .. ولكنه انطلاق بليد ، ليست له فرحة ، ولا فيه بشر، نبارح المدرج في تثاقل تجرجره اقدامنا المتهالكة الى قاعة المطعم ، حيث نلقي بانفسنا في ملل على مقاعد المائدة ومن حولنا كتبنا واوراقنا ، يبعثرها الاهمال ، ونذهب في صمت فاتر نصافح اطباق العدس مكرهين متأففين ، نمضغ هذا الطعام في كسل وخمول كما تأكل الخيول علفها الكريه بعد رحلة مكدودة مع عربات الرش ، وتلوك معه كلمات خافتة تتثاءب ، ثم ترقد على تجاويف الاذان .

كل حواسنا فاترة ، وكل اعصابنا مخدرة ما عدا اعصاب الاسنان ، فانها متيقظة متوترة ، تلوك الطعام في حذر مشفق ، وتمزقه في حرص يتوقع مع كل مضغة حصاة في العدس ، او قرشة من الرمل المطحون مع دقيق الخبز .

يا لاضراسنا من خبز الحرب !!

لقدكان الجوع، والتقشف المفروض، والتدريب العسكري ، تتوافق ثلاثتها في حياتنا وتتناسب طرديا مع الصحة ، فلا تدع لاطبائنا عملا في اجسامنا، ولكن حصى العدس، والرمل الناعم المخبوز ، جعلا اعمال طبيب الاسنان تتزايد في الكلية يوما بعد يوم .

وزاد من متاعب يومنا اللدود غارات رتيبة تنطلق على القاهرة امسيات الاثنين ، فتحيل بقايا الضوء المنزوي وراء الزجاج الازرق ظلاما عميقا ، تسبح على امواجه الاشباح العابثة ، وتستبدل بامن الناس خوفا مرتعدا ، واستسلاما جازعا . وقد يتمطى الرعب والجزع ، وتخيم اسباب الضيق والضجر حتى مطلع الصباح .

وامعانا في الضيق المتململ في مجتمعنا هذا الصغير ان مشرف القسم الداخلي ــ صاحب نوبة الاثنين ــ كان استاذا متزمتا يتعبد بالفاظ القوانين، ويغرم باصدار الاوامر العسكرية القاسية الحتمية التنفيذ ، ثم هو من ضعف الاعصاب ، وذبذبة الشخصية بحيث يعتقد ان اي انحراف عما رسمته « وزارة الوقاية » للناس لا يعرض حياة البلاد للخطر وحسب، ولكنه يؤدي اداء مباشرا وسريعا الى ترجيح كفة المحور ، وتدمير الحياة ، وفناء الشرق الاوسط كله في لحظة خاطفة .

لذا كان سجانا ممتازا ، لا يتسمح في انفاذ التعليمات ، فيذهب بيديه يغلق حجرات النوم ، وحجرات المذاكرة والنادي ، ودورات المياه ، ويسوقنا كالقطيع ــ لا تشرد منه شاردة ــ الى المخبأ المظلم الرطب ، نقضي فيه ما شاءت صواعق الجو ان نقضي ، بلا حس ولا حركة ، ثم ما شاء مزاج الاستاذ ان نبقى من بعد، زيادة في الحيطة ، وتوقعا لما عساه يكون من ختل المعارك الجوية ، وخديعة شياطين الليل ، كان طائرات الاعداء لا هدف لها الا البحث عنا اينما كنا ، تلتقط همساتنا ، وهواجس افئدتنا .

ولم يخف على الاستاذ ضيقنا به ، وتبرمنا بمسلكه ، ولم يأبه لسخرياتنا حينما اطلقنا عليه « سجهان قراقوش » .

غير ان عزاءنا عن كل هذه المتاعب التي يترصدنا بها يوم الاثنين ان دور السينما تبدل اشرطتها في هذا اليوم من كل اسبوع ، فتألفت شلتنا على ان نطلب من عميد الكلية منذ الصباح تصريحا بارتياد السينما هذا المساء ، فما يأتي الاستاذ المشرف حتى يجد نفسه امام توقيع العميد ، مؤذنا باعفائنا من قيود هذه الدكتاتورية الرهيبة ، ومعنى ذلك ان من حقنا البقاء خارج القسم الداخلي حتى منتصف الليل .

وحيطا لاطراف الخدعة اخذ كل منا يمثل دوره في التقدم للعميد باسمه يطلب التصريح له ولهؤلاء الزملاء ، حتى لا يكتشف العميد هذه الحيلة المتكررة ، ولا يلفته اسم بعينه .

وكثيرا ما كنا نتعجل ، فيؤذن لنا قبل ان نطلع على برامج الشاشة ، وقد تكون الرواية سخيفة او مكررة ، وقد تكون جيوبنا فارغة ، وقليلا ما كانت تمتلىء ، وحينئذ نذهب هاربين بحريتنا الى اي مكان ، نتسكع رائحين غادين بلا هدف في شوارع القاهرة ، فاي مكان خير من جحيم المشرف الذي خيل الينا انه يتمنى لو كانت كل ليالي اشرافه غارات مستمرة ، حتى يكبح جماحنا المتمرد ، ويتسلط علينا تحت ستار المحافظة على الارواح ،

وحتى لا نركبه بالعبث ، وننال من غطرسته ، ونختلق اسباب السخرية به ، التي كنا نصطنعها في الظروف الطبيعية .

وحسبنا اي مكان حر ، وحسبنا اننا فيه احرار ، قد وجدنا السبيل الذي ننفذ به من قهر الاستاذ

وجبروته المتعجرف .

واتماما للتحرر من بقايا القيود الخارجية ، والسلطات الاستثنائية المتعسفة التي خولت لرجال الامن ، ضممنا الى شلتنا هذه افرادا من الطلاب المتطوعين في اعمال الوقاية والانقاذ ، فكنا على استعداد دائما ، لا نخرج في هذه الامسيات الا وصحبتنا الملابس الخاصة والشارات والصفارات والاقنعة الواقية ، والمصابيح الكاشفة ، حتى اذا فاجأتنا الغارات في اي مكان وفي اي زمان، احتمينا بهؤلاء المتطوعين من عسف الشرطة وقيود المخابيء ، وانطلقنا احرارا وسط الظلام نأمر وننهي ، وبحسبنا كلمة « متطوعة » اجابةعلى كل نداء عسكري محنق متغطرس ، لكي تتحول الحدة والتوتر نعومة، ويوضع تحت تصرفنا كل ما نريد من تسهيلات ومواصلات ان اردنا .

هذا جواز المرور في الخارج ، اما في الداخل فالاعتذار بالغارات مرة ، وصعوبة المواصلات اخرى ـ كاف لحمايتنا من عسف الاستاذ المغيظ الذي يصر اسنانه ، ويقسم بشرفه ، ليعطلن هذه التصريحات .

الا ان فضيلة واحدة فيه كانت تنقذنا من عنته ـ بالاضافة الى سرعة حركتنا في اقتناص التصريح ـ هي فضيلة النسيان ، فما اطول ايام الاسبوع ..

واختلاف النهار والليل ينسي .. كما قال شوقي .

اما الليلة فقد طالت سهرتنا اكثر مما قدرنا ، فهل نستطيع ان نخافت مناصواتنا ومنخطواتنا فلعل المشرف يكون قد هجع فلا يدري متى عدنا ؟

* * *

في منعطف الشارع اعتدنا ان نرى الشبح الاسود يروح ويغدو ، فلا نخطىء فيه قامة الجندي المديدة التي الفنا ان نجيل عينا زائغة فيسوادها عند باب الكلية كلما عدنا من سهرتنا، فنرمي اليه تحية من بين اضراسنا ، ونتحفه بسخرية لاذعة ، لا يملك الا انيضحك لها ضحكة مغيظة ، ويعيش في ضوضائنا لحظات حتى يبتلعنا الفناء العريض ، ويسلمنا الى الدروب والمصاعد ، ثم تنقطع عنه اصواتنا ، ويطبق عليه الظلام فكيه من جديد ، وتلفه هواجسه السوداء .

لكن خطواته هذه الليلة كانت محمومة ، تطرق الرصيف في عنف وعصبية ، فيزعج كعب حذائه الحديدي الثقيل هدوء الليل ، وكأنه يهز ذبالة المصباح الملففة في ردائها الازرق المعتم ، بعد ما كادت تنعس هي الاخرى ، فتعود ترتعش في كسل وتأفف ظاهر .

لقد انصرف عنه بواب الكلية الذي كان يحادثه ويؤنس وحشته ، واغلق الباب واوى الى مضجعه بعد ما يئس من عودة الطلاب المتسكعين فيالخارج حتى هذا الوقت المتأخر ، وتركه لتهاويل الليل واشباحه ، والظلام الذي يعمق ويستطيل ، والنجوم الراعشة التي تزيفها الظلمة فلا تثبت في مكانها .

وحتى الساعة المضيئة ذات السطح الاسود التي جلبها خصيصا لنوبات الليل ، تخذله هي الاخرى ، فتبطىء الخطو ، كأنها ثابتة المقارب ، لولا دقاتها الواضحة المنتظمة ، ولولابريقها المرتعش ـ كابتسامة السخرية ـ يريه ان العقرب النطاط يتهارب في انحاء الدائرة كالفار المذعورة في المصيدة .

لقد سمر في مكانه فجأة ، وارهف اسماعه لترتشف هذه الهمهمات المريبة التي تدغدغ اذنيه ، فتضاعف مخاوفه ، وتزيد مسئوليته .

انها آتية من مصدر منعزل ، تطرق سمعه في تموجات متقطعة ، تتصاعد من المخابيء المكشوفة الخاصة بجنود الاحتلال الذين توغلوا في شوارع المدينة ودروبها ، واحتلوا معظم مساكن الاحياء (الاستراتيجية)فيها، وازاحوا المدنيين فاضطروهم الى الازقة ، او الجئوهم الى الهجرة ، او أغروهم بالاجر السمين ، وتركوا الثكنات المعرضة لخطر الغارات .

وفي حركةلا ارادية ولكنها منفعلة، انسحبت يده اليمنى من يسراه الملتفة وراء ظهره ، وراحت تبرم في عصبية طرف شاربه .

واوشك ان يرسل نداءه الراعد المصنوع يهتف : من هناك ؟

ولكن النداء خانه ، وتوقفتذبذبات الهواء في حلقه المفتوح ، وماتت على شفتيه الالفاظ ، وراحت ضربات قلبه تتلاحق وتتعالى ، حتى تصير في اذنيه صراخا عاليا ، ويغمره عرق بارد غزير ويعتريه الدوار ، وتتراقص الابنية ، وتدور حول نفسها حين ينقطع الصوت امدا ظنه طويلا لينوب عنه صفير السكون .

ولكن ضحكة خليعة تهتك حجاب الصمت ، وتتموج على صفحات السكون الرهيب ، فتملأاذنيه وترعش اعصابه ، وتشيع فيها احاسيس يتناوبها الفزع والنشوة ، وتنقلهفجأة الى حجرته الرطبة التي تنام فيها امرأته وحدها الان .

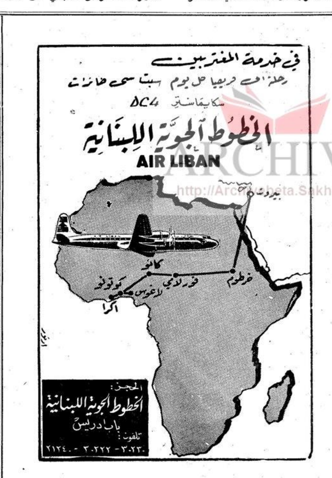
وعاد الصوت اوضح بعد ان كان غمغمات ، ويقظا بعد ان كان يغلفه فتور النعاس .

عاد صرخات نسائية مرتعشة ، تجاوبها ضحكات مخمورة ، وقهقهات مستهترة ، تتخللها رطانة اجنبية ، عرف فيها اصوات جنود الاحتلال السكارى ، التي لا تفتأ تطرق سمعه في امسياته الكثيرة ، في هذا الحي وفي غيره من الاحياء التي يتولى حراستها .

وتطورت الاصوات واختلطت ، حادة عنيفة ، وتعالت الانات النسائية، فصارت بكاء منهوكا ، وضراعةمتمنعة يعرف ما وراءها ، وما وراء الاصوات القاسية المنتهرة المتهددة .

وهناك من اقصى الشارع ، وعلى المنعطف البعيد ، يتسمع الجندي المرتبك المذعور شيئا آخر .. قهقهات شابةفارغة ، واحاديثصاخبة يعرف فيها جماعتنا العائدة من رحلة الليل في دروب الظلام ، فيشجع ويتجارأ وينادي نداءه المجلجل ، فيسود الصمت ، ثم يتقدم في خطوات عسكرية نحو المسرح ، فيتعالى البكاء النسائي ليصير نحيبا كاذبا ، واستنجادا موهوما يتصنع المقاومة ، وتنطلق اشباح ثلاثة هاربة ، يتميز من وراء الظلام انها اشباح جنود ، كانوا قابعينعلى اكياس الرمليدخنون في انتظار متململ ، ويظفر بفتاتين تنفران مع جنديين آخرين يترددان بين الهرب والمقاومة ، ويتردد هو الاخر بين الارهابالذي يعقبهمفاوضة صامتة تندس يد الجندي بعدها في يده بورقة مالية ، تترك

يدا تتخاذل ، واخرى تنسحب في سرعة ، هاربة موغلة في الظلام ، ويسرع هو الخطو خلفها ، كانه يريد ان يدركها ، تاركا الفرصة لهروب الصيد والصائد ، والطريد والمطارد .
وبين ان يستمر في تمثيل سطوة القانون، والاخلاص للواجب، والدفاع عن العرض الممزق خلف اكياس الرمل
ولكن اصواتنا تقترب ، بقدر ما تتباطأ النقود عن كفه ، فيستمر في تمثيل المعركة ، وبلهجة عسكرية آمرة يزمجر في الفتاتين ، ويهيب باشارات متوترة بالجنديين ان ينطلقا معه الى دار الشرطة ، فلا يجيبان بغير الصمت البارد المثير .
وعلى الناحية المنزوية ، المشبعة برطوبة البول الادمي ، المكتظة بمخلفات السابلة ـ رغم الاسلاك الشائكة ، والتحذير المكتوب بالخط العريض ـ وقف الركب المتعارك يرقب النجدة في جماعتنا المقبلة ـ في صمت ـ نحو الميدان ، لا ندري ماذا يجول بخاطر الجنديين اللذين دسا أيديهما في جيوبهما ، وانطلقا يعزفان بالصفير نشيدا مألوفا ..
والجندي الحارس يسلط علينا عينين زائغتين في الظلام ، تنشدان فينا نجدة مما لا بد ان يلحقه من اذى الجنود .
اما الفتاتان فدلفتا نحونا ، تقبلان اي يد ، وتتمسحان باي كتف ، ضارعتين ان ننتشلهما من شر الفضائح، ونسلهما من بين مخالب القانون .
وسال لعاب الشباب حول قصة الجندي الذي انطلقت يمناه في حركة دائرية نحو حاجبه ، ودق كعب حذائه قبل ان يجيب على سؤالنا .
وانتحيت اتامل هذا الركام الانساني، اجيل فيه مع المصباح الكاشف نظرة تحمل مع الفضول شماتة ظاهرة، فاذا مأساة تنبش بانامل السوداء قبورا جديدة للحياة في وادينا ، وتسطر معالم العار على طريق الخبز!
فتاتان.. لا تعدو كبراهما الخامسة عشرة ، تتميز فيهما براعم لهب دنس يهم ان يتأجج ، لكنهما ليست غراس أيديهما على كل حال ، ويحتضر على محاجرهما رفيف انوثة تتلوى تحت حرمان مبكر ، لتقوم على انقاضهما معالم شهوة جنسية مصطنعة ، تتدرب على مضغ الخنا الكسير ، كما تتدرب الايدي على خشونة العمل الكادح .
.. شقيقتان تدرجان على جمر الحياة ، فينطلق من مفرقيهما شواظ يلفح وجوها لم تبال بهما وهي تدعهما حافيتين تخطران على الجمر !!
وسارعت صغراهما تهرب من النور ، فدفنت وجهها في ظهر معطف اختها الاصفر الباهت ، لكنها لم تستطع اخفاء صدرها ، وفيه آثار من اظفار الجندي الذي هتك ثوبها الرقيق عن صورة صدر ، كالوردة تمردت على كأسها ولما تتفتح .
وانطلقت الاخت الكبرى تستجدي صوتها ، لتؤكد شرعية الرذيلة :
ـ استروا علينا .. الله يستر عرضكم .. من أين نأكل ؟ انموت من الجوع ؟
ـ ولمن فتحت المصانع اذن ؟
ـ وكيف نصل الى المصانع ؟
ـ رجلك التي حملتك الى العار.. الى بيع لحمك !!
ـ ومن اين نحصل على رخصة للعمل ؟ ابن المال الذي ننفقه لتتم الاجراءات المعقدة ؟ اين الرشاوي التي ندفعها حتى يفتح لنا باب العمل ؟
ـ الذي البسك هذا المعطف كان يكفي لتذليل الاجراءات المزعومة .
ـ الناس حين يحسنون الينا ، يخلعون علينا ما هم في غنى عنه ، لا ما نحن في حاجة اليه .. هل كنت مخيرة ، فافرض حاجتي على السيدة



التي خلعت علي هذا المعطف القديم ؟

ورفعت الصبية الكسيرة وجهها المنزوي ، وهتفت باختها :

قولي الحق ، فما عدنا نخشى مع الفضيحة شيئا ، العيب عيب الاب النذل ، الذي اذاق امنا الجوع والذل، حتى ماتت مسلولة ، وهو يجرع السم في امعائه ، ويبعثر قوتنا على المائدة الخضراء ، ثم هو ينعم بالدفء في هذه الآونة ، بين احضان زوجته الفنية التي اقتنصته من المرقص ، فطوقت رقبته بمالها ، فاستذلته واستذلتنا ، ثم لم ترض حتى باذلالنا، فدحرجتنا في الشارع ، كما تطرح الطعام العفن !!

وكان منتهى عطف الجار ذي المروءة المزيفة ، ان قادنا الى هنا ، لنجدعملا داخل المعسكرات، وفي ظننا ان ايدينا الخشنة ، التي غسلت الاطباق ، ومسحت البلاط في بيت الزوجة بين المذلة والعسف ، تستطيع ان تعمل في ملابس الجنود وادواتهم بلا ذل ولا عسف ، وترددنا يوما بعد يوم ، وهم يمهلوننا الى الغد ، ولم يعرف ادراكنا الصغير ، ان نتيجة التردد الحائر جوع يسخرنا لحارس باب المعسكر، يصرفنا كالاسرى ، ويضطرنا ان نرقد تحت وطأة الاحذية الثقيلة .

وتحت اغراء الريال الذي نعيش منه .. الريال الذي يمسك حياتين اصبحنا نتمنى لو كانت بجانبهما الثالثة التي بددها الجوع ، لتقاسمنا خبز العار !!

كم هربنا من هذا الجحيم ..

ولكن صراخ امعائنا ، والحاجة الى الريال ، كانت تعود بنا الى الطريق الواحد ، كما تطوف الفراشات باللهب المحرق .

اتستطيع يا سيدي ان تعطيني هذا الريال ، لاحتفظ لك بهذا الشرف الذي تريد ؟ كم طلبناه لوجه الله فلم نجده ، ولم نجده الا على وجه الشيطان ، فماذا يا ترى كنا نعمل ؟

ولم تمهلني الاحداث لاجيبها ، فقد اشتبك الجنود الذين تجمعوا في عراك حاد مع رجل الامن ، وتدخلنا نحسم النزاع ، وانوفنا الابية تزمع ان تصنع شيئا .. شيئا متهورا ، يغسل العار والاهانة ويستنقذ الاعراض البريئة من مخالب الذئاب الجائعة ..

لكن اي الذئاب ؟

تذكرنا اننا كنا يوما مصدر قلق لقيادة هذه المنطقة ، فكم تسللنا تحت الظلام ، فافسدنا السيارات المتراصة على طول الشارع المحاذي لكليتنا، وانتزعنا كثيرا من ادواتها ، حتى اضطرت القيادة الى ابعاد السيارات عن هذا المكان .

وتذكرنا اننا اشعلنا النار في سرب منها ، لان احداها صدمت سيارة احد الاساتذة فهشمت مؤخرتها .

وكم سخرنا من هؤلاء الجنود، وكم تربصنا بهم في الليل حين يعودون مخمورين ، فانتزعنا اسلحتهم وامتعتهم ، وربطناهم الى الاشجار ، او كبلناهم بالحبال حفاة عراة .

ولكننا تذكرنا في حسرة انهم — برغم هذا — جنود الاحتلال ..

وان انذارا جاءنا من القيادة باحتلال مبنى الكلية ، ان استمرت على شغبها ، حتى تعهد المسئولون بكف الاذى ، وضمان حسن الجوار ..

وان تهديدا انصب علينا من الحكومة بتجنيد طلبة الكلية ، واهداء مبناها للجنود الحليفة ، وهي يومئذ احوج الى شبر من الارض داخل المدينة ..

تذاكرنا الذي كان ، فتراجعنا ، وتخاذلت سواعدنا ، وبردت انوفنا ، وخشينا ان تعود كليتنا هدفا لحرب الحليفة، وان يتارجح مستقبلنا المرجو بين شفتي القيادة ، ومجاملة الحكومة.

وتركنا الجنود يذهبون ، ولكنهم لم يذهبوا ..

انهم مصرون على استخلاص الفتاتين من ايدينا ، فما تمت فصول المأساة بعد ، انهم لم يستكملوا بهجتهم عند هذا الحد ، ولم يعجبهم ان نلملم اطراف هزيمتنا ، وان نعود بجراحنا الى ما وراء الخطوط .. فأوغلوا .

وطرقنا باب الكلية ، نحتمي ، ونهرب بهذه الوديعة ، ومعها رجل الامن ذو الشارب المعقوص ولكن الهجوم المتقحم يريد ان يلاحقنا ، وثورة الاعصاب الجائعة تستبد بهؤلاء، فتزين لهم ان يقتحموا علينا هذا العرين .

وجاءت ثلة من رجال الامن ، بعثت بها دار الشرطة على أثر استنجادنا ، ولكنها لم تفلح حتى اعملت الحيلة ، لقد اوعزت الينا ان نهرب الفتاتين، وان نتوغل بهما في سراديب الكلية ودروبها ، حتى نصل الى الباب الخلفي .

وتلقفت القوة منا الوديعة خلسة ، لتحتفظ بها في دار الشرطة ، وفي الصباح كنا شهودا في تحقيق طويل معقد ، اجرته النيابة ولم ينته الى شيء ، الا قرارا اصدرته الكلية، يحرم علينا ان نبرحها ابدا ، والا اضطهادا انصب على الكلية من جيرانها الاكرمين ..

والا تشفيا من الاستاذ المشرف ، الذي انتصر علينا في معركة الاوامر المحتومة التنفيذ ، والاسراع الى اطفاء الانوار ، والالتجاء الى المخابيء كلما سمع نفير سيارة تعدو في الشارع.

ومرة اخرى انتصر يوم الاثنين ، واختفت منه المرفهات التي كانت تهون دروس المنطق ، واكلة العدس المخلوط بالحصى ، ومعها خبز الرمل المطحون .

وتعدو ايام في اثرها ايام ، ونبارح جدران الكلية الى زحمة الحياة ، مخلفين وراءنا حصى العدس ورمال الخبز وتزمت المشرف وجيران السوء، لنغامر في تيار الزمن المتدافع ..

والتقي على غير موعد بواحد من زملاء الكفاح والليالي السود ، ونميل الى ملهى من ملاهي القاهرة، نذيب فيه عقد الحياة واوصابها ، نستعيد في هذا الملهى ماضينا الغض ، يوم كنا نكتفي بمطالعة لوحاته ، وصور ابطاله من خارج ولا تجرؤ جيوبنا الخفيفة ان تقتحم ابهاءه .

وخفتت الاصوات، وماتت الاضواء، وتألقت سماء المسرح في غمرة من الاشعة الملونة ، والتمعت نجمتان ضجت لهما الايدي بالتصفيق، وبحت الحناجر بالهتاف .

ولم نلبث — زميلي وانا — ان تبادلنا نظرات الدهشة والعجب .

فقد اجتلينا في النجمتين اللامعتين فتاتي الامس ، تتالق في صدورهما ونحورهما اكداس من الحلى ، ونوادر من الاحجار الكريمة ، وتحف بهما قلوب المعجبين .

ولكننا ما راينا فيهما الا مأساة تقص نفسها ليضحك الناس ، وتتلوى تحت الدموع ليطرب الجمهور .

القاهرة　　**رضوان ابراهيم**

خمرة العذاب

○

اظلم الليل، فاشهقي يا جراحي، واسعدي بالعميق من اتراحي
انا سهران ، والدماء سخيات ، وصدري من الونى في وشاح
والصباح الجميل ، غاب فلم يبد لعيني ، فأين ، أين صباحي
يا جراح الهموم حسبك مني ان تقص الهموم ريش جناحي
خمرتي ، خمرة العذاب ، وليلي حشرجات قطعتها بنواحي
لا تقولي صحوت من سكرة الآلام ، لا ، لا، فانت في اقداحي

✶

قدمي يا جراح ، تنزف أوصابا ، وعظمي، محطم ، مكسور
وفراشي مبعثر ، وصراخي كالاعاصير ، ضج منه السرير
وصليل في الساق ، يهدر مسعورا ، كاني من هوله مسعور
خلته في الظلام سرا دفينا مر بالقلب ، فاحتواه الشعور
وتوهمته ، وقد هدأ الكون ، عدوا اتى به الديجور
يا عدو الرقاد ، في المقلة الوسنى ، تمهل فقد يعود العبير

✶

آه من قال ، ان غفوة عين هي عند المعذبين دواء
كذب القائلون ، كل نعيم لم يدم ، فهو في العروق، شقاء
أيها الزاعمون ، أن جراح النفس تمضي ، وللعذاب انتهاء
باطل زعمكم ، وزور ، وبهتان ، وليل تلفه الظلماء
انا واللوعة المريرة روح مزقته العواصف الهوجاء
وجراحي ، كالشك في صدر محروم ، برته المواجع الخرساء

✶

أيها المترفون ، في الليلة القمراء ، هل تسمعون رجع أنيني
هل تلمستم الجراح نديات ، تلظت في قلبي المحزون
ليلتي ، ليلة العذاب ، ودنياي حنين ، يصيح اثر حنين
كلما قلت ، يا جراحاتي الرعناء ، بعض الهدوء ، بعض السكون
انا لم اعرف الهناء ، فخليني ، لزهوي ، وُفرحتي ، وجنوني
واتركيني جراح ، يا معبد الآلام ، في هيكل الهوى والمجون

✶

واستفاق العويل، يصرخ مجنونا، جراحي، يا ذكريات استفيقي
لوحة مجها الفؤاد ، ودرب خطها الوهم في ثنايا عروقي
وطيوف من الكآبة ، لم تخطر ببال ، ولم تلح لفريق
يا طيوف العذاب ، يا صرخة الاشواق، لا تسرقي بقايا طريقي
أنا في ليلي المخضب بالآهات ، جرح لم يصح منه شهيقي
دمه كالسيول ، يدفق هدارا ، فقولي ، اليس هذا رحيقي

✶

يا سرير الآلام ، ضقت بهذا الليل ذرعا ، وطار منه صوابي
وارى عمري الندي خيالا تائها في مجاهل الاوصاب
واحس الهوى القديم صدودا واحس الصدود بعض عذابي
والشباب الرطيب ، أودى به الحزن ، وداست أزهاره اتعابي
يا سرير الآلام ، حسبك من بلواي ، اني دفنت فيك شبابي
لا تسلني ، فلن امزق هذا الصدر ، حتى يبين سر اكتئابي

✶

يا سرير الآلام ، في قلبي المجروح ، سر لم يعرف الدهر مثله
انه عالم غريب عن الدنيا ، رهيب ، يخاف كونك ظله
جاش بالمظلمات، من امسه المحموم، حينا ، وكنت أمقت فعله
ثم جاء الصباح يرفل بالنعمى ، فلم يلمح المعذب ظله
ذاك سر الوجود ، حزن مقيم ورجاء ، لم تعد عيناي ختله
وانا يا سرير ، في المهمه المهجور ، اقتأت حلمه اليوم كله

✶

يا سرير الآلام ، سري طاغ كالبراكين يجرف الاعصارا
يا لسر ، أحسه في الفضاء الرحب ، نسرا ، محلقا ، جبارا
انفه في السماء ، يقتحم الهول ، ويضفي على المجرة نارا
وتراه وقد الح عليه عاصف الكبر ، يزحم الاقدارا
جهل الناس كنهه ، واستحال الليل نورا ، فروع الابصارا
يا سرير الآلام، دعه ، ففي لجة نفسي اصارع التيارا

✶

يا سرير الآلام ، لست جبانا لن ترى يا سرير ، دمعة يأس
انا فوق الدموع، فوق العذابات، اغني، فيذهل الكون جرسي
ابدا يسخر الزمان من الضعف، وعار علي، ضعفك ، نفسي
لن تذل الآلام جبهة مغوار ، ولن تخفض النوائبُ راسي
ايها الدهر ، ايها الالم العاتي ، تمهل فانت بغية حسي
لا تقل فل مضربي ، وجنون الحب ، ما زال في جوانب أمسي

✶

يا سرير الآلام ، لست بباك ولهيب العذاب ، يغسل قلبي
ملأت نفسي الحياة ذنوبا واراني شفيت من كل ذنبي
والخمور التي انتشيت بها حينا ، تولت كأنها طيف حبي
بيد اني ، وقد تمرست بالاشواق ، اشكو اليك ظلمة دربي
يا سرير الآلام ، يا جنة الاوهام ، حسبي من الكآبة ، حسبي
خلني يا سرير ، خل صباباتي ، فقد اثقلت ظلالك هدبي

السلمية ـ سوريا • انور الجندي

شعراء خالدون : ادجار الن بو

بقلم هنري ودانا توماس

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

كتب ادجار الن بو [١٨٠٩ — ١٨٤٩] ذات مرة قائلا : « في نظرنا الى الوراء خلال التاريخ ، ينبغي ان نمر سراعا بسير (العظماء والصالحين) في حين يجب علينا ان نبحث بكل عناية عن سجلات التعساء الذين قضوا نحبهم في السجون ، وفي مستشفيات المجاذيب ، او على المشانق . » ذلك بان بو اتصف بشعور اخوي رقيق تجاه سكان الزنزانات .

بدات حياة بو الخاصة في بوسطن — وهي اكثر المدن الامريكية « تقدما وازدهارا » . فالرجل الذي يولد هنا لا يمكن ان تقدر له كومة النفايات موضعا ، ان اعطي نصف فرصة . ولكن بو سنحت له اقل من هذا المقدار .

ولد من ابوين ممثلين جوالين ، وفقدهما معا في باكورة سنيه . وتعويضا عن هذه الخسارة ، قدمت له الاقدار والدين جديدين تبنياه ، وهما من اسرة ثرية ارستقراطية ، تدعى اسرة (الن) كانت تقطن في فرجينيا . فخلعا عليه لقبهما وعطفهما ، من غير ان يشملاه بسعة فهمهما . فلم يطيقا قط اصلاح شأن هذا البوهيمي العنيد الصغير ، الذي هبط عليهما من عالم غريب . حاولا جهدهما ليعداه لعالمهما الانيق الضيق بما فيه من ثقافة تقليدية — الا انهما اخفقا في ذلك . لان دمه كان لا ينبض بنبضات هذا العالم . وفي اول خطوة في مجهودهما لتحويله الى سيد ماجد من سادة الجنوب ، ارسلاه الى مدرسة داخلية انكليزية . فعاد الى (الولايات) مصقول الهيأة عنيف الطباع ، حسن المجاملة . ولكنه التقط في الوقت نفسه رذيلة الارستقراطي الانكليزي . واعني بها حبه للعب الورق وشغفه بالشراب . ومع هذا ، لم تكن له البنية الملائمة للادمان على هذه الرذيلة ، ولا المال الكافي لسد نفقاتها . أضف الى ذلك خياله الناري المعتل ، وقلبه الشديد الحساسية ، وارادته الضعيفة ، ولسانه اللاذع ، ومن هذه الصفات يتألف الشاعر الشاب ، الذي لن يمر خلال معارك الحياة ، من غير ان يصاب بأذاها ولظاها .

وعلى التأكيد ، فقد بدأت مشاغله المكدرة بصورة مبكرة . فبعد التحاقه بجامعة (فرجينيا) بمدة وجيزة ، واجه اباه بالتبني ، بمبلغ من الدين ، كان قد خسره في المقامرة ، وهذا ما اثار غضب الرجل العجوز . سحب بو من الكلية ، ووضع في دائرة المحاسبة . اما عمله بين الصيارفة ، فقد كان قصير الامد ، ومزعجا . اذ فر يوما من مكتبه ، وانخرط في الجيش ، مبدلا اسمه باسم ادجار اي . بري . وفي غضون سنتين ترقى الى رتبة رئيس عرفاء ، ثم لاذ بأذيال الهرب . تعقب كفيله آثاره في هزيمته ، فاصيب باخفاق مرير « في هذا الولد الذي لا يصلح لشيء ابن هؤلاء الممثلين غير الصالين . » ولكنه ، قرر ان يعطيه فرصة اخرى . فحصل له على تزكية من مجلس (الامة) للدخول في الكلية العسكرية في (ويست بوينت) .

دخل بو في الاكاديمية العسكرية في العشرين من عمره . وسريعا ما ظهر بجلاء بانه لم يكن اهلا لحياة الضباط النظاميين اذ انه لم يعرف معنى للضبط ، بعد ان غدا لا يدري معنى للقانون . وهذا ما جعله يظهر اكبر الاستخفاف بواجباته . فطرد من المدرسة بعار وشنار . اذ ليس من احد في قدرته فهمه حق الفهم . نفض المستر الن يديه منه بيأس ، لانه اقترف خطأ مرعبا بوضعه شخصية غير طبيعية تحت جناح رعايته . ومما اشار اليه بألم ، ان حكام العالم ، في عيشهم ، قدموا اليه طفلا هو اشد اشكالا من اطفال الجيل كافة . فتبناه من بين جميع الاطفال المحبوبين الاخرين .

★ ★ ★

والحق ، ان شخصية بو ، كانت بعيدة عن ادراك المستر الن ، الذي كان ، مع غناه وارستقراطيته ، انسانا ساذج العقل . فلم يحلم قط بان ابنه بالتبني ، وهب العبقرية الشاعرية . ولم يفطن حتى زملاء بو الى الفعالية المحمومة التي كانت تدور في رأسه . ومع اتصالات بو اللطيفة ، فهو لم يشارك احدا في قلبه . والواقع ، انه قيل الكثير في هذا الامر ، ومن ذلك ما ذهب اليه البعض من انه كانت تعوزه القوة لصنع اصدقاء حميمين . وتكتمه الغريب مما أثار تساؤل الناس . وحتى في الجامعة ، حيث كان كثيرا يمثل دور رئيس العصابة في الالعاب « لم يعرفه احد قط . » فما سبب هذه الرفعة الباطنية ؟ هذا ما بحث عنه زملاؤه جادين . وقليلون من هؤلاء عزوا الامر الى وحدته الفطرية . ذلك بانه عاش خارج بيئته ، كالسمكة اذ تحيا خارج الماء . كان ممثلا خائبا ، تعيس الحظ ، وطفلا ولد بين حثالة الناس ، فحمل على اتخاذ دور الارستقراطي .

وكيفما كانت الحالة فان زملاءه ، كانوا على حق فيما ذهبوا اليه . اذ انه لم يجد حرارة في بيئته المقوتة ، ولم يعثر على عطف بين جماعته ، ولم يعرف للمحبة الابوية

أثرا . والواقع، وفي ذات مرة ، لما كان صبيا في المدرسة ، احس برقة امراة فهمته حق الفهم . كانت هذه والدة احد اترابه في المدرسة . وقد تحدثت اليه بكلمات المحبة بصوت لم يسمعه من قبل قط ! ولكن هذه المراة توفيت بعد حين ، فلم تبق هذه الكلمات القلائل التي عرفها في صباه غير اصداء وذكريات . عاش فريدا في ذكرياته واحلامه ، ثم مرر هذه وتلك من خلال تصوره المريض ، محولا اياها الى شعر لم يسمع له ما يماثله من قبل في امريكا .

ولما طرد من (ويست بونيت) ارسل هذه الاشعار الحالمة الى صحف بالتيمور . ثم واجهه المحررون فنظروا اليه نظرة ازدراء . اذ ظنوا انه لم يكتب غير السخف ، ولكن هذا السخف كان على اعظم جانب من الجمال . ومع ان بو، كان معدما ، غريبا عن انغام العالم ، فقد ساير شعره الرائع. فنظم قصيدة بعنوان (تيمورلنك) وهي قصة الرجل الذي قهر العالم من اجل محبوبته ، فعاد ليضعه تحت قدميها ، غير انه لم يجدها اذ فارقت الحياة في غيبته ، من جراء ما اصاب قلبها من ألم البعاد .

ثم كتب (الاعراف) وهي قصة غريبة عن عالم آخر ، تضم قصائد وقصصا ليس فيها من الحكايات غير رؤى خيالية وضعت في قالب الموسيقى الجديدة . وطبيعي الا يفهم اي كان هذه القصائد . ومع هذا ، فكل من قراها تمكن من سماع هذه الموسيقى ، في صداها العجيب ، الساحر . نشر مجموعة صغيرة من شعره قد كان كتبها يوم كان تلميذا بين تلامذة المدرسة العسكرية . فقابلت الصحافة هذا الكتاب باستحسان . فهذه بداية حسنة . اذ للمؤلف مجال لكتابة شيء جميل ، وان لم يكن من رائع الشعر ، لو تمكن من السيطرة على موضوعه . وهذا ما حمله على القول « بقينا اني لم انظم قصيدة رائعة ولا جميلة ـ الا اني سأفعل ذلك ـ وانا اقسم على تحقيق ذلك ـ ان وهبوني الوقت الكافي ! »

* * *

وفي الوقت نفسه التفت بعنايته الى النثر : ذلك انه اعتمد على انتهاج الادب سبيلا له ، فادرك ان طريق الشهرة والمال يساير مراقي (الرواية) الخطرة . سلم ذات مرة للمحكمين قصة سحرية عن حطام احدى السفن ، في مباراة عن احسن القصص فنجح في نيل الجائزة الاولى . ولما عبر محررو (بالتيمور ساتردي فزتور) عن رغبتهم في العشاء مع من قدموا اليه الجائزة ، ارسل بو لهم الرد الاتي ذكره « لقد جرحتني دعوتكم لي لتناول العشاء . اذ ليس لي القدرة على المجيء ، لاسباب هي اشد ما تكون زراية ، فانا لا املك بدلة لائقة بهذه المناسبة . »

ثم قطع ، ابوه بالتبني ، صلته به . وفي ذات يوم سمع بو بأن المستر الن مريض مرضا خطرا . فهرع الى فراشه يعوده . ولكن اباه استجمع آخر قوته ونهض من الفراش ، وامسك بعصاه ، وحركها متهددا ، طالبا من بو ان يترك البيت حالا . وبعد ذلك بوقت قصير توفي الن . ولم يذكر في بنود الوصية ترك اي فلس لبو . ومع هذا ، كان في سبيله الى النجاح . لان النخبة الادبية في بالتيمور، كانت تتحدث عنه بالسنتها المهذارة . ومن ذلك انتشار شائعات مؤداها انه على وشك نشر مجلد من الحكايات الغريبة « فهذا الشاب واسع الخيال ، رفيع التصور ، مع جنوحه بعض الشيء الى الاشياء المرعبة . » .

والزمرة الادبية هذه ، كانت تريد مساعدته للبدء في العمل . ويعود الفضل الى تزكيتها فيما قدم له من وظيفة في تحرير مجلة (الرسول الادبي الجنوبي) في رجموند ، بفرجينيا . فقبل هذا الطلب راضيا مسرورا ، املا منه بدخله الثابت ـ عشرة دولارات اسبوعيا ـ شعر بو بشجاعة بقدرته على كشف النقاب عن زواجه الذي ظل سرا من مدة . لقد تزوج قريبته ، فرجينيا كليم ، وهي بنت ثلاثة عشر عاما ، على الرغم من محاولات اقاربها لتأخير عقد القران حتى يتقدم سن الفتاة قليلا . انهما تحديا آراء الشعب التقليدية ، لان هذه الاراء ما هي الا ظلال العالم العابرة ، هذا العالم الضعيف الخيال ، الذي يعيش فيه معظم الناس . فماذا تهم بو الذي واكب الحياة في وحدته المريحة بعالمه الزاهي الخاص ؟ كان منشقا عن مجتمعه تمام الانشقاق ، وهذا ما جعل سبر غوره من الصعوبة بمكان .

ولم يمض طويل وقت حتى وجد نفسه مستقرا في الحياة ، مع شهرة نامية ومستقبل نير ، ولكن ادمانه على الخمر ابعده عما كان فيه من طمأنينة وأمن . كان شعوره بالفكاهة غريبا ، فيه كثير من السخرية والجفاف ، لان الضحك لم يكن ليتقرب اليه . ثم ان المستر وايت عندما عزله من وظيفته في التحرير ، كتب اليه رسالة لطيفة بعض الشيء ، جاء فيها : « لا يسعني مخاطبتك بلغة تقتضيها هذه المناسبة ، وتتطلبها مشاعري . . . فانا اخشى ان تطرق هذه الشوارع مرة اخرى . . لانك ستشرب الى ان تفقد احساسك . وما لم تطلب مساعدة خالقك فانك لن تسلم على نفسك . اما اذا اقنعت نفسك وسكنت في بيتي ، او في اي دار تختارها ، حيث لا خمر ، فحينئذ اظن بوجود بعض الامل لك . ولكنك لن تسلم على نفسك ، ان انت بقيت تتردد على الحانة . او اي مكان يتعاطى فيه الناس الخمر . »

ترك بالتيمور بحثا عن نصيبه في الثراء في فلادلفيا. غير انه وجد هناك كثيرا من سوء الطالع . ذلك بانه حيثما انتقل حمل معه احساسه المرهف وضعفه الشديد . ومع هذا ، فان ضعفه ، على ما اصر عليه ، كان نتيجة مباشرة لحساسيته . لم يكن ليشرب كثيرا ، غير انه لم يسعه الشرب قط . فهو يختلف عقليا وجسميا عن الناس الاختلاف كله ، لان اعصابه كانت على اشد ما تكون من الارهاف ، فابسط منبه يحركه الى ابعد حد من الاثارة . ومع قوله « اتعهد امام الله ، باني سأكون حليما صبورا حتى تجاه ما هو عنيف ، صارم ، من هذه الامور (التي تنتاب حياتي) وكلمتي هذه كلمة مهيبة ، صادرة من رجل شريف . » ومع هذا ، فهو اذا تناول كأسا من الشراب او البيرة ، انتهت به هذه الكأس الى مرض شديد .

فما كان يعد غلوا لديه هو عند الناس الاعتياديين حالة طبيعية لا غبار عليها . هكذا ناقش قضيته امام العالم . لم يكن في استطاعته شرب مقدار كبير ، ولكنه اجبر على شرب القليل . ثم طلب النجدة من « جميع اطباء العالم » ذاهبا الى انه من غير الممكن ترجمة خواطره اللاهبة، الى كلمات حية ، اعتمادا على الماء القراح . ولم تسنح له الا ايسر الفرص للانغماس في خياله . وفي احيان كثيرة قدم له المحررون وظيفة نقد الكتب ، وهي وصفة كان يمقتها اعنف المقت . فقال بهذا الشأن : « يريدونني ان اجعل

نفسي غربال الساعة ، فانحني واتمسكن من سماعي صوت المجد ، في الدرجة الثالثة من القابلية ، وبيدي طبل يتحدث بلغة الفلوس ! وعندئذ سيكون في قدرتي البقاء على قيد الحياة . ثم اني ربما سامدح حين الممات . »

لم يكن في ميسوره الارتباط بصورة دائمية بأي منشورات ليستخاصة به . وقد تعذر عليه كتابة التعليقات في مجلات اناس آخرين ، في حين يضطر الى التعبير عن افكار سندها المال ، ويجبر على قول « آمين » على طول الخط مع الجمهور « لمحاولات ادبية تافهة ، قام بها مئةمن الحيوانات اطلقت على انفسها اسم المؤلفين . » انه سيشرع في اصدار مجلة خاصة به ، ذات يوم . وعندئذ سيطلق العنان لخيالاته . وهذا كان موضع امله ويأسه . لانه شك في بعض الاثناء ، في امكانية وجود وسيلة ، لنقل الصور التي كانت توحي اليه في فترات معينة بين الصحو وساعات الرقاد ، لنقلها الى جماهير الانسانية . ربما لم يكن هناك احد وصل الى تخوم تجاربه العقلية العجيبة . وربما لم تكن ثمة كلمات انسانية في طاقتها الافصاح عن مثل هذه التجارب .

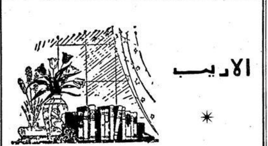
يقول بهذا الصدد « ان ما في ذهني ليست افكارا ولا احلاما . انما هن ما يترشح من الروح في هدوئها التام . وهن لا يلدن من حالة اليقظة ، ولا يقبلن الى اي في المنام . فهن يتخذن اشكالهن في تلك اللحظات اللواتي يمتزج فيهن عالم اليقظة بعالم الرقاد . في تلك الثانية من الزمن حين يحوم ذهني بين الاحلام والشعور — ومن في قدرته ان يقول عما اذا كان الوجود الانساني يقظا او هاجعا في تلك اللحظة النفسانية المطلقة ؟ »

وهذه الحالة الشفافة اللطيفة ، يتعذر تجربتها من قبل الحواس الخمس الاعتيادية . لانها تكمن في منطقة اللانهاية من المشاعر ، تلك المنطقة التي هي ابعد شيء عن الوجود الحسي . يقول بو بهذا الخصوص « اليست لحظة مثل هذه ، هي اصل حياتي ، وجوهر عبقريتي ؟ واذا كان الامر كذلك ، فهل مثل هذه التجربة عامة لدى كل انسان ، أم هي مختصة بذاتي وحدها ؟ »

ضاع الشاعر في هذه التخوم المسحورة ، فحاول البحث عن جواب لهذه الاسئلة . ومن هنا ، عليه ان يحول هذه اللحظة الذائبة ويجمدها في خزانة ذاكرته ، ويستقصي احلامه بباصرة عملية . لا بد له من الايمان بقوة الكلمات . ولا بد له ان يبرهن على ان الخيالات والافكار يسعها البقاء في قيد الحياة ضمن اطار اللغة المحدودة . والا فهو خاسر نفسه ، كشبح يتردد الى بيت الحياة ، مجربا عبثا ان يتخذ له مكانا في واقع اخوانه البشر . وهذا ما حمله على القول « يجب علي ان اجعل خيالاتي اهلا للاعتقاد . »

انه سيرفع قراءه الى اعلى مراقي تصوراته غير المحتملة ، في قيادته لهم لقبول الشبح بدلا من المادة ، والاسطورة عوضا عن الحقيقة ، من غير أن يجعلهم يدركون ما يفعلون ، ومن غير ان يعوا ما هم فيه ، عند النقطة التي يجتازونها بين العالم الهيولي ، وارض الالوان والمناظر التي لا يعرف اسرارها غير واحد من البشر . هكذا اراد اصطياد هذه اللحظات وترجمتها الى رؤى واقعية مزيفة ، بدت اكثر واقعية من الحقيقة نفسها .

نشر كتابا يضم هذه القصص — ليجيا ، سقوط بيت



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها او ٦٠ دولارا كحد اعلى

✶

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

✶

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

✶

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير اديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

اوشر ، وليم ولسون ... فقراها الجمهور وفهمها . والان تمكن من التمتع بكل الاشياء التي يصلح لها رجل عبقري ـ فمن الحب ، والشهرة ، وسيطرة العقل ، والشعور بالقوة ، والاحساس المرهف بالجمال ، الى هواء السماء الطلق .
فظن ان مشاغله ومتاعبه قد انجلت اخيرا !

* * *

غير ان الامر كان خلاف ذلك ، ففي هذا الوقت بدات مشاغله تفعل فعلها للنيل منه . اساء اليه اصحاب حرفته ـ هؤلاء النقاد الذين حسدوه على نجاحه في فن الكتابة . ثم جاء الكتاب فزادوا الطين بلة ، لانهم اغتاظوا من نزاهته كناقد . وفي اوج هذه المصاعب جميعا جاءته الرسائل المفعمة بالرياء والتصنع ، بصورة متواصلة ، وفيها يطلب المحررون اعفاءه من خدماته . انهم ، مع هذا ، سيكونون مسرورين لاعادته لو انه ينبذ الشرب فقط كأنهم يعنون بذلك لو انه يترك الكتابة أيضا !

ثم وقع له عارض سيء اكثر شرا مما لقيه من قبل . ذلك بان فرجينيا ، زوجته الشابة التي « احبها حبا لا يدانيه حب » انفجر شريانها حين كانت تغني ذات مرة . كانت حياتها ميؤسا منها . وهذا ما دعاه يقول : « ودعتها الى الابد ، وتحملت آلام موتها . ثم استعادت صحتها بعض الشيء . وفي نهاية السنة انفجر الشريان من جديد . ثم اصبحت مجنونا بين فترات طوال من الرزانة المرعبة . وفي غضون هذه النوبات من اللاشعور التام ، شربت والله وحده يعرف متى وكيف وكم » وبعدئذ وجد دواء لنفسه ـ وجده في قرار الاطباء الذي جاء فيه ان زوجته على وشك الموت . وهذه المأساة مما يتحمل كأي رجل . اما ما لم يسعه الاصطبار عليه فهو التأرجح المريع بين الامل واليأس . ولكن مضت ست سنوات قبل ان يوافيها اجلها . وهكذا كان موتا بطيئا مؤلما لكليهما . كان يحوم حول فراشها ، يساوره القلق وتتملكه الهزة كأن به رجفة من ابسط سعال يصيبها . فكانت هناك ليال لم يتجرأ احد على الكلام معه . وفي ذات مرة ، لما اعتدل المناخ ، اخذها معه في صبيحة احد الايام ، فامتطيا جواديهما ، فرقبها بعينيه بشغف ، باحثا في وجهها الشاحب عن ايسر دليل ينبيء عن تغيير في سحنتها .

وفي الختام اجبر رجل الكبرياء على ان يكتب الى احد اصدقائه قائلا : « عزيزي غريزولد هل يسعك ان ترسل لي خمسة دولارات ؟ انا مريض وفرجينيا على وشك الذهاب » ومرة اخرى فقد وظيفته في تحرير مجلة « غراهام ماكازين » . ومع زوجته المريضة ترك فيلادلفيا ليجرب حظه في نيويورك ، ولم يكن عنده غير عشرة دولارات . وحال وصوله « مدينة الامل الجديد » كتب رسالة الى ام فرجينيا ، جاء فيها :
« عزيزتي الوالدة وصلنا سالمين ، ونحن الان في شارع (ولنوت وارف) ... اخذت سس الى (دبوت اوتيل) . وقد تناولنا الليلة البارحة احسن انواع الشاي ، في قوته وحرارته ، علاوة على خبز الحنطة وخبز الذرة والجبن والكعك ، وانائين من لحم الضأن ولحم المعز ، كان كل شيء على غناه وثرائه ، اما سس ففرحة مسرورة .. لم يعتورها السعال قط ، ولم تعرق مطلقا . وهي الان ترقع سراويلي التي خرقها مسمار . لقد حصلنا على اربعة دولارات ونصف .. انا اشعر بمرح وانشراح تامين ، لم اتجرع قطرة واحدة ـ ومن اجل ذلك آمل التخلص من هذه المعضلة سريعا . »

كان هذا شعلعا من السعادة في اليقظة السوداء في بأسها . جاء الشتاء عاجلا ، ومعه السعال والحمى والعرق . اضطجعت فرجينيا على فراش ليس فيه غير القش وغير لحاف من الخام الابيض . تدثرت بسترة زوجها ، وحملت قطة ذات فرو على صدرها لتدفئها . حرك زوجها يديها وفركت والدتها قدميها كيلا تجمدا . مضت الى الخلود في يوم الرب ، بينا كانت نواقيس الكنائس تدق والمؤمنون يتعبدون . سار معها الى القبر ، وجثمانها الصغير المسكين ملتف بسترة عسكرية سوداء ، وقتها البرد في الشتاء ، في ساعاتها الاخيرة .

ولما انزلوها الى راحتها تذكر الكلمات التي كتبها في بأسه : « ان الازهار النجمية الشكل تقلصت في براعم الاشجار ولم تظهر بعد ... لقد غادرت الحياة دروبنا ، لان النحام(1) الطويل لم يعد ينشر ريشه القرمزي امامنا ، ولكنه طار بأسى من الوادي الى التلال ... اما السمك الفضي الذهبي فقد سبح في الوادي العميق في نهاية صقعنا ، ولم يزين النهر العذب مرة اخرى ... والنغمة الناعسة ... ماتت قليلا قليلا ، في التأوهات التي تتضاءل تدريجا ... »

* * *

وفي الختام غدا بو كاتبا شهيرا من كتاب الامور العجيبة ، شهيرا بغير ان يجد حظا من النجاح . فالعالم الادبي برمته ، دهش للاعتراف بعبقريته حين احرز الجائزة من اجل كتابه The Gold Bug وهي قصة قصيرة تبحث عن الاسرار والاحاجي . لم تقدم له هذه الجائزة غير مائة دولار وعدد لا يحصى من المتاعب . لان في القصة عددا من الحكايات الغريبة . فارسل كثير من المعجبين به « بشفرات » وطالبوه بحلها . وهذا ما حدا به الى القول « خسرت في حل المسائل السرّية كثيرا من الوقت ، وهو ما اتشبث به ، لانه يعدل عندي الف دولار . »

ولم يكن قصده من ذلك غير البرهنة على قواه التحليلية امام عدد من المشاهدين عظيم . وقد ازداد اولئك لما ادهش العالم بكتابه The Raven ومع شهرته تلك ظل فقيرا اذ باع هذا الكتاب بعشرة دولارات . وهكذا جال خلال العالم ، حزينا ، وحيدا ، جائعا ، رجلا معروفا يلفه السواد ، فلقي الناس بابتسامة ساخرة على شفتيه « في وسط احلام لم تخطر على بال بشر من قبل . » ومع حزنه وجوعه ، ظل يبدع رؤاه الغريبة ، ونحن ولو اعترفنا باسفافه ، فان ناره خبت تدريجا .

وحين انقض غيره من الكتاب على هذا الضرب من الدين المحرم ، دعاهم لصوصا سرا وجهرة . ولما قام بالعمل ذاته غفر لنفسه فعلتها . لانه عاش في عالم قوانينه ، وعاداته ، ورغائبه فوق ما يدركه الذهن الاعتيادي في مشاعره العاطفية . فاحاجيه ، واسراره ، وما حصله من تقارير علمية مزيفة عن سفراته في المنطاد ، وسجلاته غير الطبيعية عن محادثاته مع الموتى ، كل هذه انتفضت بالحياة ،

(1) نوع من الطيور ، الحمر الريش ، الزاهية المنظر .

لانها كانت جزءا لا يتجزأ من الخيال الذي عاشت فيه روحه . او ليست الحياة نفسها سرا غريبا ، ورؤيا عجيبة، يسر أمرها شاعر الهي من كابوس ملحمة لذهن شيطاني ؟ واذن فماذا عليه ، كشاعر انساني ، ان يسر رؤى غيره من الاذهان الانسانية ؟ وهذا ما جعله لا يشعر بتبكيت الضمير، حين اشير الى ان قصته البحريـــة (ارثر غوردون بيم) منسوخة من (سفرات) موريل ، وان مقالته المعجبة عـــن (المحار) ـ وهو موضوع لم يكن له به أي المام ـ نسخةطبق الاصل عن الكتاب الذي سطره الكابتن توماس براون .

كان دائما يتظاهر بالمعرفة التي حرم منها ، ملونـــا تظاهره هذا بصبغة الحق ، وهذا ما يحمله على ان يحيا في عالم من خيالاته الذاتية وقوانينه التي يشرعها بنفسه . ومن حين الى آخر ، اشار في قصصه ومقالاته الى كتب غريبة أثبت التحقيق عدم وجودها اصلا . وكغيره مـــن الكتاب الذين لم يتثقفوا ثقافة وافية ، احب ان يظهـــر تضلعه المزيف بالعلوم ، من خلال « الشواهد » التي يعزوها الى لغات لم يعرف شيئا منها . ولكنه لم يعد هذه الشواهد كأشياء مختلقة ، لانه كان فنانا . ومن أجل هذا لم يبحث عن الحقائق ، وانما سعى وراء التأثيرات حسب .

انه رسام بارع عمل ريشته لابداع ما هو رائع جميل من هذه الصور الزاهية اللامعة . وقد انغمر في الجمال على حساب الواقع الى حد قوله « ان حاسة الجمال هي غريزة خالدة تمتد جذورها العميقة في دخيلة روح الانسان . » ومن هنا فان الجمال الساري خلال الكلمات هو الهـدف الوحيد لفنه .

دعا الموسيقى « اكثر النوبات الشاعرية المخـدرة تأثيرا . » ولـكي يخلق مثل هذه النوبات المذهلة ، وهي هذه الرسوم المثيرة العجيبة ، استخدم خزانة الادب السحري ، بما فيها من حيل والاعيب ـ « فكانت الجدة ، والشواهد والاعادة ، والعبارات غير المتوقفة ، والطرافة ... وبعض الجمل ذوات الاصوات العذبة الجرس » وهذه جميعـــــا « تجاوزت نطاق التحليل . » وقد ذهب الى حد القــول بان الذين يصرون على « الملاءمة بين الواقع والحق » مجانــين لا خلاص لهم . فليس من عمل فني يمكن ان يتضمن قاعدة اخلاقية او حقيقة موضوعية .

واذن ما جربه لم يكن الحقيقة العلمية بل الفن ، اي ما هو ظاهر الواقع وليس جوهره ، وهذا ما شرحه لتبرير ما اصطنعه من وسائل آليـة وشعوذات و « اكتشافـات » مزيفة . كان ، في شعره ونثره ، كاتبا من كتاب الرواية . ولكنه كان كاتبا مبدعا بدت روايته في بعض الاحيان على جانب من الواقع يفوق الحقيقة في نصيبه من الحياة .

* * *

وبعد وفاة زوجته ظل يعيش في بيته المؤجر فـــي فوردهام . وقد الم به مرض شديد في غضون « السنين الوحيدة الاخيرة . » ثم عادت اليه عافيته ببطء بين طيوره الاستوائية الاليفة ، والدوالي واشجار عباد الشمس ، وهناك تلبد ذهنه بغيوم الصوفية . فشرع في القاء المحاضرات عن الـكون ووضع خطة لنموذج من الفلسفة اذا قيست « الى اكتشاف نيوتن للجاذبية عد الاخير مجرد حادثة عابرة . » ثم سطر كتابا تحت عنوان (وجدتها !) فحسبه مـــن اعظم مؤلفاته . ولذا ليس يكفي ان يأخذ محله بين اساطين الشعر والرواية ، وانما يريد أن يكون فيلسوف العصر . ولكن النقاد ، خالفوه في ظنه . لانهم عدوا الكتاب تدفـق سيل محزن من الكلمات من شخص نكرة مزهوة بذاتهـا ، او هي محاولة شجية جربها خذلان فان لايجاد روح خالدة. ولكن بو لم يكن متهيئا للاعتراف بخيبته ، اذ لم يزل متشبثا بامل الشروع في اصدار مجلته الخاصة ، « لاثبات مركزه في العالم الادبي . »

ثم قام بسفرة في نيوانكلند تحدث في اثنائها كثيرا . يكتب احد المعقبين على محاضراته هذه قائلا : « هاتان العينان الصافيتان الحزينتان تبدوان كانهما تنظران من عل ... ابتسم كثيرا ، وقلما ضحك ، ولم يقل شيئا لاثارة المرح لدى الاخرين . » وفي اثناء محاضرة عن الشعر القاها في (بروفيدنس) صادف السيدة وتمان ، وهي شاعرة تعلق بها اعمق التعلق . فكانت الخطوبة بينهما . غير ان سلوكه نفرها منه . وغالبا ما كان يعثر عليه في الشوارع وهو فاقد الوعي ، ضحية المخدر او الكحول . كانت حاله مما تستدعي الرأفة حين انكبابه على كؤوسه . وقد طالما تمايل في السبل الآسنة ، يغشى عينيه الضباب ، وثيابه قطع ممزقة ملطخة بالوحل ، وحينئذ يفقد نفسه في « الحان سامية تتحدث عن تطور الكون » وتتكلم من منصة خيالية مع حشد مـن المستمعين عظيم ، وزوار متلهفين ، وكل ذلك في حلم من هذه الاحلام .

وفي النهاية قطعت السيدة وتمان علاقتها به ، وذلك حين عاد عليه الشرب والتخدير باشمئزاز الناس ومقتهم له. ومع هذا ، فقد ظل متمسكا بحلم تلك المجـلة التي اراد اصدارها . وفي ١٨٤٩ ترك فوردهام متجها الى رجموند لانجاز خطط مشروعه . ثم تحطم هذا الامل ايضا ـ ليس بمعارضة خارجية ، بل بسبب وهن ارادته . اصبح ذهنه معذبا بشك ساوره عن مؤامرة مرعبة ضد حياته . وهذا ما جعله يطلب موسى من احد معارفه كي يحلق شاربه، وبذا يبدل شكله خوفا من مطارديه .

خشي اصدقاؤه على سلامة عقله ما لم يجدوا رفيقا له يرقب حركاته وقد ارتاحوا كثيرا لما جدد خطوبته مـع حبيبة من حبيبات طفولتـــه ، هي الان امرأة ايم ثرية . فاعلنت الخطوبة على مشهد من الناس ، وهذا ما حدا ببو الى تصفية شؤونه ومن ثم ترك مكانه لحضور حفلة العرس في الجنوب . ولكنه لم يدرك هدفه قط . اذ وجدوه في بالتيمور ـ في احد مراكز الانتخاب ـ وجدوه فاقـــد الرشد ، وحقيبة سفره ضائعة ، وكل دراهمه مفقودة . والمظنون انه سقط ، تحت تأثير الكحول ، بين ايدي عصابة من اوباش الحملة الانتخابية ، فخدرته واسرته حتى يوم الانتخاب ، ثم قادته من مركز للاقتراع الى آخر ليعطـي صوته تحت اسماء مختلفة . وبعدئذ حملوه الى المستشفى. كان العرق يتصبب من وجهه ، ثم تكلم بغير وعي عـــدة ساعات . وبعدها غدا ذهنه صافيا بعض الشيء . وقـــد نطق عبارات قليلة منسجمة قبل وفاته ، ومنها : « يا الهي.. هل كل ما نرى او يبدو غير حلم في حلم ؟ »

العراق ـ بعقوبة — **يوسف عبد المسيح ثروة**

من اغاني الرحيل

الى التي قالت : يا ليتنا نمضي بحبنا عن عالم الارض

O

حبيبي.. قم
بنا نمضي
بجو الحب ، طيرين ..
هجرن الدنيا بالناس ..
وهذا العالم القاسي
بعيدين ،
بعيدين ..

هناك.. وفي رياض الحب لا اثم ولا جهل
ولا شر ولا كفر ولا حرب ولا قتل
لقد قامت بدنيانا مآس ملهيا الكل
فلم يصف لها جو ولم يسم بها عقل
فهيا قبل ان ينمو بأرض الشر قلبانا
لقد عافت امانينا رغاب الذل أزمانا
.. أتمتم ..
آية الطهر ..
وأتلوها ، على صدرك
بايماني ، وتحناني
أرتلها .. بوجداني
فالقى الله
في سحرك ..

حبيبي هيا لا تجزع ولا تأسف لاحزانك
ستذبل زهرة الوادي ويفنى طيب اغصانك
ويبكي البلبل المحزون في الغاب لفقدانك
ويسكب دمعه الحران مغمورا باشجانك

ولكن عندما نمضي بعيدين عن الارض
ستنسى الكل يا قلبي وتنسى عالم البغض
.. وتشدو
بين أقمار
أناشيد الهوى الفاني
بأن الروح للحب
وأن الصب .. للصب
لدى فردوسنا
الثاني ...

وفي فردوسنا الثاني فراش الحب مطروح
تناغينا به الاحلام وتروي سرنا الريح
فننعم في ظلال الحب لا هم ولا نوح
ولا واش يعذبنا ولا يأس ولا بوح
ونحيا مثلما يحيا « حباب الخمر في الكاس»
غريبين عن الدنيا وهذا العالم القاسي
نرفرف
في سما الخلد
وتدعوني الى خلوه
وراء سياجه العطري
وفوق فراشك السحري
نغيب بعالم..
النشوه

دمشق — **اسماعيل عامود**

قصة لارسكن كالدويل

ترجمة علي الحلي

الشتاء القارس

°°°

بعد ان مكثت في المدينة اسبوعا ، بدأت اذهب مبكرا كل مساء الى غرفتي التي استأجرتها ، كي اضطجع على فراشي ، تحت دفء الغطاء ...

وهناك ، في الطرقات ، عندما يغشى الليل المدينة ، يكون الجو باردا بصورة مستمرة فقد اعتادت الريح الرطبة الباردة ، الهابة من النهر ان تبعث القشعريرة ، وعبر تلك النجود العارية .. بدأ شتاء فبراير يتسلل رويدا .. رويدا مع الصقيع والبرد والرطوبة وحتى الناس الذين ارتدوا معاطفهم ، كانوا يهرولون خلال المنعطفات المكللة بالثلج محنيي الرؤوس يجالدون البرد ، مسرعين صوب المنازل الدافئة ..

وفي الليلة الثالثة من الاسبوع ، اعتدت البقاء في البيت من غير تدفئة وفي البدء ، لم استطع النوم ، ولكني في تلك الامسية خلعت حذائي حال بلوغي الغرفة ، وتسللت توا الى سريري ، وبعد خمس ساعات او ست ، استيقظت دافئا تحت غطائي .. بينما كان الصقيع يغطي زجاج النافذة ببطء واحكام ، على اشكال متكسرة صاغها جمال البرد .

وخارج باحة الدار ، كنت اسمع الناس يمرون عجالى من غرفة الى اخرى مسرعين خلال الدهليز البارد في الوقت الذي كانت الالواح الخشبية المتراصة تصر تحت اقدامهم .. ومرت لحظة شعرت فيها بالهواء الدافيء يتدفق خلال الشقوق في الجدار ..

وكانت هناك امرأة شابة مع طفلة صغيرة تسكنان في الغرفة المجاورة لغرفتي من جهة اليمين ، فكانت الحرارة تتسرب الى غرفتي ، وكنت بطبيعة الحال استنشق رائحة الهواء اللافح ، والغاز المحترق من المدفئة . واستلقيت ثانية ، مصغيا الى الحركات المنبعثة من الغرفة القريبة مني ، بينما كانت صورتاهما اللتان تأملتهما بامعان قد ذابتا في مخيلتي .

وعندما انتصف الليل ، استرخيت نائما ، متذكرا ان هناك في الغرفة المجاورة ، في الغرفة القريبة مني فقط .. امرأة شابة تترنح بخفة حينما تتمشى وان طفلة غضة تتحدث الى أمها برقة وتدلل ..

وبعد تلك الليلة كنت اعود الى منزلي اكثر مبكرا في كل امسية لاغطي جسدي بدفء الغطاء ، واستلقي على فراشي في الظلام .. مصيخا مسمعي الى كل ما سيحدث في الغرفة المجاورة .

وكانت المرأة الشابة قد احضرت وجبة العشاء ، لها ولابنتها ، ومن ثم جلستا الى المائدة الصغيرة .. قرب النافذة ، وراحتا تأكلان على مهل وتضحكان وتتحدثان .. كان عمر الطفلة الصغيرة ثماني سنوات ، وكانت امها تبدو صغيرة اكثر مما هي عليه ، عندما كانتا تضحكان وتتحدثان معا :

كان برد غرفتي ، الخالية من التدفئة قارسا لا يطاق ، قبل ان آتي واتعرف عليهما .. وعرفت في نهاية الاسبوع الثاني ، كيف ان كلا منهما قد بدت ، كما لو كنت لم ار اية واحدة منهما ، من قبل !

وعبر الجدار الجبسي ، القليل السمك ، كنت استطيع ان اسمع كل شيء يقولانه ، ويعملانه ، ورحت اتابع حركات ايديهما ، والتعبيرات المرتسمة على وجهيهما ، من الواحدة الى الثانية ، من وقت لاخر .



وكانت الام لا تشتغل .. كانت تقضي وقتها بين البقاء في الغرفة اغلب اليوم ، او بين الخروج في الصباح مع ابنتها لمدة نصف ساعة ، تسير واياها الى المدرسة .. وطوال النهار تتنزه مع ابنتها في البيت ، وما تبقى من اليوم فانها تقضيه بالجلوس في غرفتها ، قريبا من النافذة ، تتطلع عبر الطريق الى سقف من القصدير ، مصبوغ بالطلاء الاحمر ، مترقبة الظهر كيما تذهب الى المدرسة من اجل ابنتها .. كالعادة .

كان هناك ناس كثيرون آخرون في البيت ، وكانت الطوابق الثلاثة من العمارة مؤجرة .. غرفة .. غرفة ، الى رجال ونساء تقاطروا عليها بعد ان عملوا خلال ساعات طويلة .. كان بعضهم يشتغل اثناء النهار ، والبعض الاخر يعمل اثناء الليل ، وكثير منهم بلا عمل بالمرة .. ومع ذلك كان كثير غيرهم في المنزل ، لم يدخل احد منهم الى غرفتي ، كما لم يدخل آخر الى غرفة المرأة الشابة التي تجاور غرفتي .

وفي بعض احايين ، كنت اسمع صوت رجل يمشي بتثاقل نازلا من القاعة باستعجال ، واسمع المرأة الشابة تقفز من كرسيها القريب من النافذة وتجري بجنون الى الباب منحنية عليها ، بينما تضغط اصابعها المفتاح على القفل وتصغي الى خطوته العريضة ، وبعد ان يمرق .. تعود ببطء ، وتجلس على كرسيها لتحدق لحظة الى السقف المصبوغ بالطلاء الاحمر عبر الشارع .

وخلال شهر فبراير ، اصبح الجو ابرد كثيرا مما كان ، ولكني كنت احس بالدفء عندما استرخي تحت غطائي ، واستمع الى الاصوات التي تنبعث من خلال الجدار الجبسي ، القليل

السمك .
وبمضي الايام اصبحت اعرف، بسبب عدوها السريع الى الباب في كل حين .. وقع خطوات اقدام الرجل ، مما جعلني ادرك تماما ، ان ثمة اموراً لا بد ان تحدث ، ولكني لم اكن على علم يقين بمجريات ما حدث ، او متى حدث على وجه الدقة ، الا انني كنت في كل صباح وقبل ان اغادر غرفتي انتظر واصغي بضع لحظات ، لاستمع ما اذا كانت واقفة تلقاء بابها ، او جالسة على كرسيها .

وعندما اعود في المساء ، اضع اذني مقابل الجدار البارد ، لاستمع من جديد وذات مساء ، بعد ان اصغيت مدة نصف ساعة تقريبا ، شعرت بان ثمة اشياء على وشك ان تحصل ، ولاول مرة في حياتي حينما وقفت هناك وبي ارتعاش من البرد ، تملكتني رغبة جامحة لاكون ابا لطفل! ، ولم احاول الوقوف حتى احول المصباح عني ، ولكني تمددت لتوي على الفراش دون ان اخلع حذائي ، واستلقيت متوترا على فراشي لمدة طويلة ، مصغيا الى الحركات على الجانب الاخر من الجدار .

كانت المراة الشابة حساسة ، متهيجة ، وكان وجهها ابيض مرفوعا رقد وضعت الطفلة الصغيرة على الفراش حالما فرغنا من اكلة العشاء ، وبدون ان تنبس المراة الشابة ببنت شفت خطت الى كرسيها قرب النافذة لتجلس ، وتنتظر .

جلست صامتة ، حتى انها لم تتراوح على كرسيها برهة من الزمن. اما انا فقد رفعت رأسي عن الوسادة، وكانت رقبتي متيبسة ، محنطة ، باردة بعد ان كان التوتر وحده ممسكا براسي افقيا ، دونما متكأ !!

ان الرغبة التي ساورتني لاكون ابا لطفل تركتني في شبه فقدان وعي ! فلم تكن هناك امراة استطاعت ان تكون اما ، حتى اكون انا الاب ، فادركت اني وحدي .. كنت ذلك الاب ، ليس الا !

كانت الساعة الحادية عشرة ، قبل ان اسمع صوتا ما في الغرفة المجاورة لي ، وخلال الساعات الثلاث التي انصرمت .. كنت مضطجعا على الفراش ، مترقبا ، وقد لاحظتها تنهض وتشرب كوبا من الماء ، وتلقي على الطفلة غطاء آخر ، وعندما انتهت من ذلك .. اتجهت صوب كرسيها لحظة .. ثم حملته الى الباب وجلست عليه ...

هكذا جلست .. تنتظر ، وقبل ان يمضي ربع ساعة ، دخل رجل باحة الدار ، ينقل خطواته بتثاقل على الواحها الخشبية الضيقة .

وكنا ، كلانا ، قد سمعناه آتيا .. وقفزنا معا في لحظة واحدة ، اما انا فقد عدوت باتجاه الجدار الابيض الجبسي ، ووضعت اذني تلقاءه ، وانتظرت .. بينما مالت المراة الشابة على الباب وراحت تضغط باستدارة حول المفتاح واصغت ، وهي تتنفس بخفوت . اما الصبية الصغيرة فقد كانت نائمة في سريرها .

وبعد ان وقفت بضع ثوان ؛ شعرت بالبرد يخدشني في غرفتي الخالية من التدفئة ، وبعصر يدي وقدمي ، وحينما عدت ادراجي الى الدفء تحت الغطاء نسيت كيف كان البرد ، بعد ان بدا الدم يجري في عروقي ، بينما كنت لا ازال متوترا اصغي الى الاصوات في العمارة ، غير ان وقوفي في غرفة باردة ، معرضا وجهي واذني صوب الجدار الابيض الجبسي البارد جعلني ارتجف من القشعريرة .

واتى الرجل الى الباب المجاور لي ، ووقف ، وكان باستطاعتي ان اسمع ارتعاش المراة ، والزفير الذي يهز جسدها ، وفي كل لحظة كنت اتوقع ان اسمع صراخها .

وطرق الباب مرة واحدة .. وانتظر ولكنها لم تفتحه له ، فادار كرة الباب وهزها ، بينما ضغطت المراة الشابة بكل قواها صوب الباب ، وامسكت بالمفتاح في مكانه باصابع من حديد .

ـ انا اعرف انك داخلها ، يا الويز ! افتحي الباب .. ودعيني ادخل ! فلم تجب ، وكنت احس خلال الجدار الواهي ضغط جسدها على الباب الواهن ..

ـ سوف ادخل !

وكان الرجل قد انهى كل شيء على ما يرام ، فقبل ان تزيح الدفعة المفاجئة من كتفه باتجاه الباب المغلاق عنها ، كان هو في داخل الغرفة !

وحتى ذلك الحين لم تحرك شفتيها .. بل ركضت الى فراشها ، والقت نفسها عليه ، وضمت بين ذراعيها بياس الطفلة التي كانت نائمة مطمئنة .

ـ انا الذي ساكون الاب الذي ارتعد ، وانتظر ، ولم أقدم اليك لكي نتجادل ، انني اتيت الى هنا لاضع حدا لهذه الورطة .. انهضي من الفراش !

وكانت هي المرة الاولى ، في ذلك المساء الذي سمعت صوت المراة الشابة ولهجتها ، ثم وثبت على قدميها ، وكانت بالقرب منه ، وجها لوجه ...

فعاودتني في تلك اللحظات رغبتي ورحت احدث نفسي: انا الذي سيكون الاب ، الذي عصر وجهه واذنه صوب الجبس الابيض البارد ، وانتظر طويلا.

ـ انها لي ، اكثر مما تعود لك ! ، انك لن تقدر على انتزاعها مني بعيدا !

ـ انت التي اخذتها مني بعيدا ، اليس كذلك ؟... حسنا .. والان جاء دوري ... وانا ابوها ..

ـ هنري !... هنري !.. ارجوك، لا تفعل ذلك ، قالتها بتوسل !

ـ اسكتي !

ثم اوسع الخطى الى السرير ، وحمل الطفلة بين ذراعيه .

ـ سوف اقتلك يا هنري ، اذا اخذتها خارج هذه الغرفة .. قالت ذلك بصوت خافت ، واردفت : انني اعني ما اقول يا هنري !

ثم خطا الرجل مع الطفلة ، باتجاه الباب ، ووقفت ، ولم يكن منظره يبعث على الاستفزاز ، كما ان شهيقه لم يكن مسموعا خلال الحائط الخفيف السمك ، بيد ان المراة كانت في حالة هوس وجنون ... انها الام !!

ورحت احدث نفسي : انا الاب الذي ، لا معين له ، وهذه يداي وقدماي قد عضهما البرد ، ولن استطيع ان احرك عضلات شفتي !

وسكتت المراة الشابة عن الصراخ ، ولكني كنت اسمع خلال الحائط الجبسي تنفسها . وكنت اشعر بالحركات السريعة التي تنبعث من جسدها .

ـ ماذا ستفعلين ؟

ـ ساقتلك يا هنري !

وسادت برهة من الصمت ، والسكون المطبق ، وكان الرجل واقفا قرب الباب، والطفلة بين ذراعيه، وقد بدأت تستيقظ شيئا فشيئا من نومها وانتظر مليا ، وكانت كل لحظة تمر، كأنها ربع ساعة !

استغراق الفنان

لشارل بودلير

O

كم هي نفاذة ايام الخريف ! نفاذة حتى الالم !..

هناك بعض الاحساسات اللذة .. التي لا يحد الابهام من قساوتها !.. وليس من حد أقطع من اللانهاية !..

متعة كبرى ان نغرق الحاظنا في سعة السماء والمحيط !..

الوحدة والسكون .. نقاوة اللازورد التي لا تضاهى !..

شراع صغير يرتعش في الافق .. يحاكي في محدوديته وغربته وجودي المعذب !

انغام التماوج المتساوق .. كل هذه الاشياء ، تفكر بي ، او افكر بها ، (لانه في انفساح الحلم تضيع الانا في الفراغ !..)

ـ قلت انها تفكر ـ ولكن بموسقة وجمالية في غير رهافة ولا اتساق !.. جمالية لا تحمل معها مبرراتها !!

هذه الافكار ، سواء انبعت من صميمي ، او انبعثت من الاشياء ، تستحيل فجأة، شديدة الوقع علي !..

ان طاقة الابداع تخلق حال تذوقها ضيقا والما ايجابيا !..

فاعصابي المتمططة لا تهب من معطياتها شيئا سوى اهتزازات صارخة معذبة !..

وحينئذ يشدهني عمق السماء ، ويذهلني صفاؤها .. وهدوء البحر ، وجمود المشهد يجعلاني أتمرد !..

آه ! هل قضي علينا ان نتعذب الى الابد .. او يهرب الجمال منا الى الابد !؟..

ايتها الطبيعة ! ايتها السعادة الضارية ! ايتها العدوة المنتصرة دائما !.. دعيني كفي عن هدهدة رغائبي وكبريائي !..

ان تملي الجمال ، نزال يصرخ اثناءه الفنان من الرعب قبل ان ينهزم !..

القيروان ـ تونس **الطيب الشريف**

ـ لا ! انك لن تفعلي ذلك ، قال الرجل بعد هنيهة ، وبالنسبة لي اني ماض في تصفية كل شيء ، يا الويز !

وخلال الجدار ، القليل السمك ، كنت استطيع ان اسمع حركة يده تدخل في جيب معطفه وتخرج تارة اخرى .. اجل كنت اسمع صوت شهيق المراة ولهاثها يتحدر من حنجرتها وكل شيء سيحدث عبر الحائط الابيض !

وعندما سدد المسدس نحوها ، زعقت .. اما هو ، فقد انتظر حتى استغاثت ، ثم سحب محرك المسدس، دون ان يهتم بالهدف ولو انه اطبق عينا واحدة ، وراحت نظراته تستقر عليها .

كان دوي الانفجار قد كتم انفاس صوت جريانه وصرير الارض تحت قدميه ، وهو ينزل الى باحة الدار .

ومرت لحظات عديدة ، وقبل ان يخمد الرنين في اذني ، كان في ذلك الوقت ضجيج الناس الذين راحوا يتراكضون خلال البيت من السطح حتى ارض الطابق الاولى ، يتعالى وكانوا يتدافعون على فتح ابواب الغرف ، ذوات التدفئة ، خلال عدوهم للامام ، باتجاهنا في الطابق الثاني .

وطفقت برهة وحدي ، متكئا على الجدار الجبسي الابيض ، اهتز وارتعش ، لانني كنت ذلك الاب الذي سمح لذلك الرجل ان يأخذ الطفلة بعيدا دون ان يبدي احتجاجا ... ورحت ارتجف ، لانني كنت اعاني البرد في غرفة ، لادفء فيها !!

بغداد **علي الحلي**

جلال الدين الرومي

بقلم عارف تــامر

*



ولد « جلال الدين الرومي » في بلدة « بلخ » الفارسية سنة ٦٠٤هـ الموافق سنة ١٢٠٧م ويضيفون كلمة « مولانا » الى اسمه تعظيما واجلالا له ، اما « رومي » فنسبة الى ــ بلاد الروم ــ او اسيا الصغرى ــ التي قضى فيها الشطر الاكبر من حياته ، ومن الواضح انه لم يكد يمضي على ولادته مدة اربع سنوات حتى اضطر والده (محمد بن الحسين الخطيبي البكري) المعروف باسم (بهاء الدين ولد) وكان من اكابر رجال الصوفية الى الرحيل عن موطنه « بلخ » والهجرة الى المناطق الغربية من فارس نتيجة للاضطهاد الذي لقيه من (علاء الدين محمد خوارزمشاه ١) ، وفي سنة ٦٠٨هـ الموافق سنة ١٢١١م وصل مع ولده جلال الدين الى بلدة « نيسابور » فزار فيها المتصوف الكبير « فريد الدين العطار » ويقال ان هذا الشيخ توسم بجلال الدين الخير والذكاء وبشره بمستقبل حافل ثم باركه واهداه نسخة من منظومته (الهي نامه) . وبعد ذلك انصرفا عن نيسابور قاصدين بغداد ومنها الى مكة ثم الى مدينة ملطية حيث اقاما اربع سنوات ، ثم انهما غادراها بعد ذلك الى مدينة «لارنده» التي تعرف الان باسم « قرمان » فاقاما سبع سنوات وفيها تزوج جلال الدين وكان عمره ٢١ عاما من فتاة تسمى جوهر خاتون ابنة (لالاشرف الدين السمرقندي) ٢ وقد انجبت له فيما بعد ولدين هما علاء الدين وبهاء الدين وبعد ذلك غادراها الى «قونية» وكانت في ذلك الوقت عاصمة للحاكم السلجوقي (علاء الدين كيقباد) وهنا وفي هذا العام اي سنة ٦٢٨هـ الموافق سنة ١٢٣١م يموت والده فيتخذ من ذلك فرصة له للذهاب الى حلب ودمشق طلبا للعلم وسعيا وراء التزود بالمعارف وهناك يتلاقى مع (الشيخ برهان الدين الترمزي) وهو من اصدقاء والده وكبار رجال الصوفية ومع (صلاح الدين زركوب) و (حسام الدين جلبي) فياخذ عنهم بعض الدروس والتوجيهات ، ومن دمشق يتوجه الى قلاع الدعوة الاسماعيلية النزارية فيجتمع في حصن «الكهف» (٣) الى الامام النزاري الفاطمي « شمس الدين محمد » الملقب (بتبريزي) وهذه الشخصية الكبرى الفذة لعبت كما سياتي دورا هاما في حياة جلال الدين واثرت بمجرى تفكيره ونقلته الى عالم جديد يمور بالفلسفة والحب والشعر، ومهما يكن من شيء فانه بعد عودته الى قونيه يصاب بفقد زوجته الاولى ثم يتزوج اخرى فتجنب له ولدا وبنتا آخرين ، واخيرا مات « جلال الدين » في قونيه يوم الاحد ٥ جمادى الاخر سنة ٦٧٢هـ الموافق ١٦ ديسمبر سنة ١٢٧٣م ودفن في نفس ضريح والده الذي اشاده له سلطان قونيه « علاء الدين كيقباد السلجوقي » (٤).

صفاته ومواهبه :

شغل جلال الدين بالرياضة والعبادة العملية ومحاربة الشهوات واماتة الجسد والعمل على ايقاظ الفضائل العقلية بدل الفضائل الجسمانية ، وشغف باستماع الموسيقى والغناء ونظم الاشعار والاستغراق وانشادها والانقطاع والحرمان من اللذات الفانية وقطع المألوفات والمستحسنات المؤدية للاتحاد بالله والاتصال بالشخص الكامل المجهول من اكثر الناس ، ويوصف بانه كان معتدل القامة ليس بالبادن ولا بالنحيف مشرب بحمرة ثم انه نحف في اواخر سني حياته ومال لونه الى الصفرة بسبب الاجهاد الفكري والعمل المتواصل والتعبد ، والحقيقة انه يعتبر بنظر الادباء من اشهر الشعراء الذين اخرجتهم ايران ومن اكثرهم انتاجا واغزرهم مادة واعمقهم تفكيرا ، ويعتبر ايضا كتابه « المثنوي » من الملاحم الكبرى التي قلما يجود بها الزمان الا نادرا وبالواقع انها منظومة فلسفية قيمة تحوي على خمسة وعشرين الف وسبعمائة بيت في ستة اجزاء وقد اضيف اليها جزء سابع ولكنه عرف بانه ليس من نظمه ويظهر فيها جلال الدين قوي البيان فياض الخيال عميق التفكير بارع التصوير بعيد النظر يوضح المعنى الواحد في صور مختلفة ويسوق المثل اثر المثل وتاتيه المعاني ارسالا وتواتيه الالفاظ اتيانا ويطاوعه الشعر حتى ياتي مزهوا مسترسلا وبين هذا او ذاك يظل قلبه يطفح بالحب والشوق والاستغراق فكل شيء يذكر فيه وكل فكر يؤدي اليه مرتكزا على الفلسفة الالهية والغناء الالهي (٥)

اما ديوانه (شمس تبريزي) الذي سماه باسم مرشده وامامه وقائده الروحي او باسم الشخص الكامل الذي كان رسمه مطبوعا بقلبه واسمه عالقا بفكره، ففن آخر من النظام، انه قصائد متفرقة كل واحدة مستقلة عن الاخريات ، اعني انها نظمت للابانة عما جال في ضمير الشاعر وقد اختار لها وزنا خاصا وقافية جديدة ولم يشأ ان يجعل منها مقدمة لمنظومة اخرى او مكملة لها وان كانت المعاني متشابهة متقاربة او متماثلة وهو فيض من الحب والغناء وغيرهما من المطالب الالهية العالية ويقع الديوان في (ستة واربعين الف بيت) (٦) .

اجل يبدو جلال الدين في (المثنوي) استاذ معلم مختلف الاساليب يخاطب وينصح ويعظ وينتقل من فن الى آخر ، وفي الديوان تظهر القصائد القصيرة التي فيها فورة الشعر الوجداني والخيال الخصيب فهي اعلى من (المثنوي) وارقى منه ويكثر فيهما الرمز والتصوير والصناعة اللفظية وقد نشاهده يتحدث كثيرا كما تتحدث كبار

١ ــ في تاريخ الشعوب الاسلامية « لبروكلمن » يجيء اسمه (قطب الدين)
٢ ــ تاريخ الادب في ايران ــ من الفردوسي الى السعدي ــ (ادوارد جرانفيل براون) صفحة ــ ٦٦٣ .
٣ ــ فصول واخبار مخطوط تاريخي اسماعيلي صفحة ٣١٧
٤ ــ Cl. Huart. La ville des Derwiches Tourneurs - PARIS-1897
٥ ــ فصول من المثنوي ــ عبد الوهاب عزام ــ القاهرة ١٩٤٦
٦ ــ فصول من المثنوي ــ عبد الوهاب عزام ــ القاهرة ١٩٤٦

الصوفية عن فناء الانسانية ونراه يردد الزوال وامحاء انا وانت وفناء العالم في الله سبحانه وتعالى ، ويرى ان العالم يرقى الى الله حائلا من جماد الى نبات الى حيوان فانسان فملك ثم يفنى اخيرا في الله .

صرت اذ مت جماداناميا   مت نبتا صرت حيا ساعيا
مت حيوانا اذا بي بشر   كيف اخشى الموت ماذا احذر
ثم اغدو مائتا بين البشر   طائرا في ملك لا استقر
ليس لي الا مسير نحوه   كل شيء هالك الا وجهه
ثم اسمو طائرا فوق الملك   ذاك فوق الوهم لا يخطر لك
ثم افنى والفنا كالارغون   منشدي انا اليه راجعون

وقد تتجلى عظمة جلال الدين في المناداة بالاختيار وحفز الناس الى العمل والمسير قدما بل هو يرى ان الحياة جهاد مستمر لا ينبغي ان يسكن المجاهد فيها ساعة والالم عنده وسيلة اللذة والبكاء سبب الضحك ، فكيف يضحك المرج اذا لم يبك الربيع ؟ وكيف ينال الطفل اللبن بغير بكاء ؟ والعناء احرى والكد انفع ، ورجل الطريق او رجل الله يلقى الخير والشر واللذة والالم راضيا مقدما موقنا انه بالالم يكمل ويرقى متى يبلغ غايته .

منتخبات من قصائده : (٧)

غن لي يا منيتي لحن النشور   ابركي يا ناقتي تم السرور
ابلعي يا ارض دمعي قد كفى   اشربي يا نفس وردا قد صفا
عدت يا عيدي الينا مرحبا   نعم ما روقت يا ريح الصبا

استمع للناي غني وحكى   شفه البين طويلا فشكا
مذ ناى الغاب وكان الوطنا   ملا الناس انيني شجنا
اين صدر من فراق مزقا   كي ابث الوجد فيه حرقا
من تشرده النوى عن اصله   يبتغ الرجعى لمغنى وصله
ليس بين الروح والجسم حجب   غير ان الروح عنا تحتجب
اقطع القيد تحرر يا فتى   يا اسيرا للهوى حتى متى ؟
ان تصب البحر في كوز فهل   فيه الا شرب يوم او اقل
من يمزق ثوبه العشق صفا   وزكا كالدر خلى الصدفا
مر حبا يا عشق يا خير امل   يا طبيب النفس من كل العلل
صمت البلبل عن الحانه   حين غاب الورد عن بستانه

وقد ورد في الاخبار بان (امير شيراز) ارسل الى الشاعر الكبير (سعدي) ان ينتقي له أطيب غزلية في الشعر الفارسي وان يراعي في اختيارها الجودة وان تكون ممتازة بأسمى الافكار واعلى المعاني ، فاختار (سعدي) غزلية من ديوان (شمس تبريزي) لجلال الدين الرومي وقدمها اليه قائلا ان جمال الكلمات التي صيغت فيها هذه الغزلية جعلتها بحيث لم يستطع احد في الماضي ان يقول مثلها ولن يستطيع احد في المستقبل ان يبلغ مبلغها وياليتني استطيع ان اذهب الى بلاد الروم لامسح وجهي بتراب اقدام من قالها (٨) .

٧ ـ فصول من المثنوي ـ عبد الوهاب عزام ـ القاهرة ١٩٤٦

٨ ـ مناقب العارفين « شمس الدين احمد الافلاكي »

ايها العشاق ... هذا هو وقت الرحيل عن هذا العالم ...
وها هي طبول الرحيل تدق في السماء وتصل الى مسامع روحي ..
فتنبه ... فقد نهض الجمال .. وهيأ القافلة ، وشد الرحال ...
وطلب منا كل ما هو حلال . فلماذا تظل في غفلة ...؟ ايها المسافر .
وهذه الاصوات التي تحيط بك من خلف ومن قدام انما هي اصوات الرحيل .

وفي كل لحظة من اللحظات .. تسري نفس ويسري نفس الى الامكان .
ومن هذه الشموع المقلوبة (اي النجوم) ومن هذه الحجب الزرقاء (اي السماء)

خرجت المخلوقات العجيبة حتى تجعل ما في الغيب عيانا ...!!
وقد اصابك نوم ثقيل في هذه العجلة الدائرة .. (الافلاك)
فيا لوعتاه على هذا العمر الخفيف..ويا حذرا من هذا النوم الثقيل!
ويا قلبي..عليك بالحبيب..ويا ايها الحبيب..سر الى لقاء الحبيب.
ويا ايها الرقيب.. تيقظ.. فلا يجوز لصاحب النوبة ان يغفل ..]

معلم جلال الدين :

يعتبر (شمس تبريزي) معلم جلال الدين ومرشده وملهمه وموجهه والمنعم عليه بالعلوم الفلسفية والالهية بل هو الذي نقله من مدرس يعلم العلوم الدينية الى داع منقطع للرياضة الالهية والفلسفية العميقة ونظم الشعر الوجداني العاطفي ويقول (دولتشاه) ان شمس الدين كان في صباه جميلا رائعا حتى انه ربي بين النساء غيرة عليه ، ثم كثرت سياحاته وتنقلاته حتى لقب « بروانه » اي الفراشة ، ومما يؤكد انه كان قوي النفس جريئا مؤثرا في سامعيه شديدا عليهم يلقب من يعظهم احيانا بالثيران والحمير ، وكان قليل الدرس فيما يظهر ولكن ثورة نفسه واعتقاده انه ملهم وانه ينحدر من اعظم اسرة انسانية كانا يسحران من يلقاه ، وقد وضعه المستشرق البريطاني (نيكلسون) (٩) في مقدمة كتابه (قصائد مختارة) من ديوان (شمس تبريزي) وبين مشابهته سقراط في ثورته وقوته وان كلا منهما وجد من يعبر عن ارائه بكلام بليغ رقيق .

ومن الراجح ان (شمس تبريزي) عندما حل (بقونيه) انس اليه جلال الدين ولازمه وسار معه في المنتزهات ، فراى تلامذته ان هذا الضيف العجيب اخذ يستبد باستاذهم ويصرفه عن سبيلهم فثاروا به واضطروه لترك قونيه الى (تبريز) ولكن جلال الدين لم يصبر عنه فذهب اليه وارجعه وهناك مصادر تقول انه جاء الى الشام فلحقه نجل جلال الدين وارجعه ايضا ، ويضيف (نيكلسون) (١٠) بانه شخصية غامضة تتدثر بلباس اسود خشن تظهر لحظة قصيرة على مسرح الحياة ثم تختفي فجاة وفي سرعة فائقة.

ويقول عنه (ردهاوس Redhouse) بانه شخصية قاسية مسيطرة (١١) ويقول عنه (سبرنجر Sprenger) بانه شديد غليظ القلب قاسي الطباع (١٢) ويعود (نيكلسون

٩ R.A. NICHOLSON - SELECTED orders from the Diwan - Shams - Tabriz

١٠ R.A. NICHOLSON - SELECTED orders from the Diwan - Shams - Tabriz.

١١ ـ المقدمة التي الحقها بترجمته الانجليزية للكتاب الاول من المثنوي (Acts of the adapts)

١٢ (Sprenger) Catalogue of the outh mss - P. 490

Nicholson) لاجمال صفاته في عبارات يقول فيها :

« انه كان الى حد ما اميا ولكنه امتاز بحماس روحي شديد مصدره الفكرة التي استولت عليه فجعلته يتخيل انه مبعوث العناية الالهية وقد استطاع بواسطة ذلك ان يسيطر على كل من قدم عليه او دخل في مجلسه وهو من هذه الناحية ومن نواح اخرى يظهر ان حبه المتقد وزهده في الدنيا وصورة حياته شبيه كل المشابهة بالفيلسوف الكبير « سقراط » فكلاهما استطاع ان يفرض نفسه على اذكياء الناس بقدرته على تصوير افكارهم البسيطة في تعبير فني رائع وكلاهما استطاع ان يكشف لنا عن خطل العلوم الظاهرة وعن شدة حاجتنا الى التثقيف والتنور وعن قيمة الحب في حياتنا ، وان الانفعالات الشاردة والتحديات الجاهلة للقوانين الانسانية انما تؤدي الى فقدان (الاتزان العقلي) والسمو الاخلاقي الذين هما مقياس التمييز بين الحكيم والمريد ، وجاء في كتاب (مناقب العارفين) (لشمس الدين احمد الافلاكي) ان جلال الدين تعرف الى هذه الشخصية الغامضة في مدينة (قونية) ثم انه رآه في (دمشق) فلم يكلمه .

من هو شمس تبريزي ؟

جاء هولاكو من (كيش) في يناير سنة ٦٥٤هـ الموافق سنة ١٢٥٦م الى فارس وكان هدفه معاقل الاسماعيلية في ولاية (قهستان) فاستخلص اهمها وهما (تون) و (خواف) ثم استولى بعد ذلك على بقية المعاقل فاخذ (كمسر) وبعد ذلك (كردكوه) ثم انه تمكن فاخذ امام الاسماعيلية النزارية (محمود ركن الدين خيرشاه) من (الموت) الى (همذان) فوضعه فيها واحسن معاملته ، وفي سنة ٦٥٥هـ الموافقة سنة ١٢٥٧م ارسله الى (قراقورم) ليمثل امام الامبراطور المغولي (منكوقان) ولما وصل ركابه الى (بخارى) اساء الحراس معاملته ووشوا به الى الامبراطور الذي امر بقتله بعد ذلك (١٣).

وجاء ايضا ان الامام النزاري (ركن الدين خيرشاه) نجح قبل موته بان هرب ولده وولي عهده (شمس الدين) الوريث الشرعي للامامة الاسماعيلية وكان له من العمر سبع سنوات الى (انجدان) وهي على الطريق بين اصفهان وهمذان (١٤) .

وجاء ايضا ان (شمس تبريزي) ينتهي نسبه الى (كيا بزرك اميد) خليفة حسن الصباح شيخ الاسماعيلية(١٥).

وجاء ايضا انه من ابناء (جلال الدين حسن) الذي كان زعيما للاسماعيلية في (الموت) (١٦).

وجاء بالمصادر التاريخية الاسماعيلية ما يلي : (١٧)

« بعد ان اصاب حصون الدعوة الاسماعيلية الهادية في العجم الدمار والخراب ، ظن اعداء الله وانبيائه واوليائه انهم قادرون ان يطفئوا نور الله بافواههم ، ولم يعلموا ان الله متم نوره ولو كره الكافرون ... فبعد ان جرى على ولي الله المولى (محمود ركن الدين) لذكره السجود ما جرى ، ونفذت قدرة الله التي ليس منها مهرب جاء وريث عهد الامامة وصاحب الوصية والاشارة حجة الله في ارضه ووليه على عباده « شمس الشموس » الى حلب وكانت الدعوة الاسماعيلية الهادية معقودة للداعي الاجل « موسى بن حسن القصار » فاقام فيها مدة قصيرة متسترا عن العيون غائبا عن الانظار ، وبعد ذلك انتقل الى حصن (الكهف) فوافاه اليه الداعي المبجل المكرم المجتهد « جلال الدين القوني » فاقام عنده مدة ثم رجع الى بلاد الروم ، اما الامام (شمس الدين) فقد خرج من (الكهف) متسترا لما هاجم «الظاهر المملوكي» قلاع الدعوة الاسماعيلية السورية ثم عاد اليها بعد ان تم الصلح معه سنة ٦٩٧ هـ .

كان مضرب الامثال في الحسن والجمال لا يمكن لاي انسان ان يطيل التحديق فيه او التكلم امامه ، فصيح اللسان تجري الحكمة على لسانه ويشع من عينيه نور غريب يصل الى القلب . مات سنة ٧٠٧ في بلدة قونية ودفن فيها . (١٨)

الخلاصة :

يتبين من جميع هذه المصادر التي اوردناها ان (شمس تبريزي) الذي تكلمنا عنه يحتل بحياة (جلال الدين الرومي) ابرز الصفحات ، ومهما يكن من امر فهذا المعلم هو الوريث الشرعي للامامة الاسماعيلية النزارية التي انتهت الى (الموت) بفارس بعد وفاة الامام الفاطمي (المستنصر بالله) سنة ٤٨٧ هـ ، والحقيقة ان هذا المصدر جديد على الدراسات الاسلامية لانه يظهر لنا صلة الفلسفة الاسماعيلية بالتعاليم الصوفية واثر الفلسفة المذكورة بحياة كبار المتصوفة ، ويؤكد ان كلتا الفلسفتين او المدرستين كانتا في اكثر الاوقات على اتصال دائم يستمدان من بعضهما البعض ويتبادلان الاراء والمعلومات والنظريات ، وليس ادل على ذلك من تعلق (جلال الدين) بشمس تبريزي واعتباره مثله الاعلى وحجة وقته وامامه والموحي اليه وهذه النواحي تشكل امورا هامة جديرة بالدراسة على ضوء التجرد والمنطق وبراي ان هذه الفلسفة لا تزال غامضة ومجهولة في عالمنا الاسلامي فلم يكتب عنها للان الا النظريات السطحية الظاهرة الجامدة التي جاءت خالية من اي عمق او تفكير .

عارف تامر — سلمية ـ سوريا

---

١٣ ـ تاريخ الادب في ايران ـ من الفردوسي الى السعدي ـ ادوارد جرانفيل براون ـ صفحة ٦٦٤

١٤ ـ جامع الحكمتين ـ هنري كوربان ومحمد معين ـ المقدمة صفحة ٢٤ ـ طهران .

١٥ ـ فصول من المثنوي ـ عبد الوهاب عزام ـ القاهرة ١٩٤٦

١٦ ـ تاريخ الادب في طهران ـ من الفردوسي الى السعدي ـ ادوارد جرانفيل براون ـ صفحة ٦٦٥

١٧ ـ مخطوط « فصول واخبار » اخبار الاسماعيلية في فارس صفحة ٣١٢

١٨ ـ يلاحظ ان تاريخ وفاته يختلف عما اورده بعض المؤرخين ، ولكننا نرجح ان ما جاء بالمصادر الاسماعيلية ينطبق على الواقع وان كتاب « فصول واخبار » هو اقدم مصدر تاريخي موثوق .



المملكة العربية السعودية

تاليف كارل تويتشل ومساهمة دوارد جورجي – ترجمة شكيب الاموي – ٣١٦ صفحة – حجم كبير مع رسوم وخرائط – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين – دار احياء الكتب العربية بالقاهرة

نشرت اخيرا ترجمة عربية (١) اخرجها الاستاذ شكيب الاموي للكتاب الذي الفه المستر كارل تويتشل عن المملكة العربية السعودية. والكتب التي الفت في السنوات العشر الاخيرة عن السعوديين ومملكتهم ليست قليلة ، ولكن كتاب مستر تويتشل يختلف عنها جميعا وهو لذلك جدير بتقدير خاص .

فالكتب التي الفت اخيرا عن السعوديين ومملكتهم يتحدث معظمها عن اسرة آل سعود وكيف استطاعت واستطاع الملك عبد العزيز آل سعود بنوع خاص ان يتغلبوا على آل الرشيد وان يستردوا منهم سلطانهم في نجد ليمتد هذا السلطان من بعد الى الاحجاز فتصبح المملكة العربية السعودية التي يتحدث عنها الناس اليوم ذات مركز عالمي لم تحلم قط بمثله منذ عهد النبي العربي . وكتاب مستر تويتشل لا يغفل هذا الجانب التاريخي للاسرة السعودية لكنه لا يفرد له في كتابه غير خمسين صفحة او ما دونها من صفحاته الثلاثمائة . اما سائر صفحات الكتاب فتتحدث عن البلاد العربية من نواحي امكانياتها الطبيعية ، وتطورها الاقتصادي ، ومركزها في الحياة العالمية وترسم بذلك صورة ما احوج الناس جميعا لمعرفتها بالدقة والبساطة التي عرضها بها مؤلف هذا الكتاب.

وحاجة الناس لهذه المعرفة اشد في الوقت الحاضر . فقد بقيت البلاد العربية مجهولة او تكاد تكون كذلك الى ان نشات المملكة العربية السعودية ، فكان الناس ينظرون اليها قبل ذلك على انها البلاد الاسلامية المقدسة ، وكانوا يحسبونها فيما وراء ذلك صحراء جرداء لا تثير عناية ولا تستدعي اهتماما . لذلك لم يكن ما الف عنها من الكتب يتناول اية ناحية اخرى غير هذه الناحية ، سواء من هذه الكتب ما وضعه المسلمون الذين يتكلمون اللغة العربية ، او ما وضعه الغربيون الذين اعتنقوا الاسلام وجابوا اقطار شبه الجزيرة العربية . اما كتاب مستر تويتشل فلا يعنى هذه الناحية الدينية من اعتباره الا القدر الذي يحتاج اليه من يريد الالمام بشؤون هذه البلاد على انها جزء من العالم له اثره في حياة العالم الاقتصادية وفي نشاطه العام . وهو الى ذلك يتطور تطورا سريعا يتفق والتطور العالمي الاخر الذي انشاه العلم الحديث ودفع اليه دفعا قويا .

واتجاه مستر تويتشل على هذا النحو طبيعي . فالرجل ليس رحالة كمستر بورخارث السويسري الذي اسلم وزار البلاد الاسلامية المقدسة في منتصف القرن الماضي وكتب عنها مؤلفه القيم ، بل هو – مستر تويتشل – مهندس جيولوجي امريكي ندب للتنقيب عن المياه في البلاد العربية السعودية فسافر اليها منذ ربع قرن – أي سنة ١٩٣١ – فلم يسفر تنقيبه عن النجاح المطلوب كله في امر المياه ، ولكنه اسفر عن نجاح اكبر واعظم . فقد ادت مباحثه الى الكشف عن الذهب والبترول ، وادت بذلك الى ان تبرز البلاد العربية السعودية الى العالم الحديث في صورة جديدة فهي لم تبق مهد البلاد الاسلامية المقدسة وكفى ، بل اصبحت مهد الذهب ومهد البترول ، واصبحت بذلك مهدا اقتصاديا يتطلع اليه الناس وتتطلع اليه الدول من ارجاء الارض جميعا ، وكل منهم يحاول ان يصور لنفسه ما عسى ان يكون القدر قد خباه لهذه البلاد التي ظهر فيها نبي الاسلام من اربعة عشر قرنامضت فوجه مصائر العالم الروحية وجهة جديدة .

ومن بعد سنة ١٩٣١ زار مستر تويتشل بلاد العرب مرات عدة جاب ارجاءها المختلفة باحثا منقبا مستعينا بالعلم وما هدى اليه وبالعلماء والاخصائيين ليحقق الاغراض التي ندب اليها . وكتابه الذي أتحدث الان عنه ثمرة هذه الرحلات . وهذا التجوال وهذا البحث والتنقيب العلمي الدقيق . ومع ان المؤلف مهندس جيولوجي كما قدمت ، ومع انه بحكم تكوينه الفني رجل علم وسياسة عملية ، فقد استطاع ان يرسم في كتابه صورة البلاد العربية من نواحي حياتها المختلفة ، واستطاع ان يرسم هذه الصورة في بساطة ووضوح يقفان القارىء العادي على شؤونها المختلفة ويطوعان له معرفة هذه البلاد ادق المعرفة .

قدمت ان ما كتبه عن الاسرة السعودية لا يتجاوز خمسين صفحة من ثلاثمائة صفحة . مع ذلك كانت الصورة التي رسمها لقيام الملك الراحل عبد العزيز آل سعود ليسترد نفوذ آبائه في نجد ، وما حدث بعد ذلك ، ومقدرته على افساد الخطط التي وضعها الايطاليون حينا ، وغيرهم من الدول الاستعمارية حينا اخر ، لبسط نفوذ هذه الدول في البلاد العربية – كان ذلك واضحا وضوحا قل ان تجد مثله في المؤلفات التي اقتصرت عن ذكر الاسرة السعودية وجهادها ومجهودها ، وكانت المعلومات التي احتواها الكتاب في هذا الشان قيمة حقا ، ثم كانت الروح التي كتب بها هذا القسم من الكتاب كلها الانصاف للعرب ونهضتهم في شبه الجزيرة وما وراء شبه الجزيرة . وقد افرد المؤلف الباب الثالث والاخير من كتابه للكلام عن مركز البلاد العربية السعودية في الاقتصاد العالمي ، وبحث فيه صلات تلك البلاد مع الغرب ومسالة الزيت والتعدين، ومستقبل الزراعة والتجارة فيها . يستغرق هذا الباب اكثر من مائة صفحة من صفحاته الثلاثمائة والمؤلف يقص فيه قصة استكشاف الزيت والاطوار التي مر بها هذا الاستكشاف الى ان تالفت شركة ارامكو فقامت بمجهودات ضخمة في اقامة مستعمرة الزيت في الظهران والمنطقة المجاورة لها ثم قامت بمنشآت كثيرة وبمشورة صالحة للحكومة العربية السعودية. والمؤلف يقص هذا كله في تفصيل واسهاب يصف هذه الجهود وصفا دقيقا ، وينسب كل عمل الى من قام به ويصور معاونة الحكومة العربية السعودية لهذا كله معاونة فعالة مرضية الثمرة .

وكنت أؤثر ان يوضع هذا الفصل في اول الكتاب لان ما افاءه الزيت على البلاد العربية من ثروة ضخمة قد كان سبب تطورها السريع في العصر الحاضر تطورا يصوره المؤلف في الباب الاول وفي الفصل الاخير من الكتاب . وليس عجيبا ان ينقل الكشف عن الزيت وعن المعادن بلادا كانت مجهولة من العالم لتصبح محط الانظار في اقل من عشرين سنة ، كما اصبحت محط الانظار من الناحية السياسية منذ قام الملك عبد العزيز آل سعود بفتحها وتوطيد ملكه فيها واقامة العدل والنظام في ربوعها . وانك اذ تنتهي من قراءة هذا الكتاب لتسائل نفسك : اي دور القى القدر على هذه المملكة الجديدة ذات التاريخ المجيد في حياة العالم القديم لتنهض في هذا العصر الحاضر بعد ان كشف العلم والفن من مكنون امكانياتها الزيتية والمعدنية ، وبعد ان فجر الماء فيها تفجيرا جعل الامل

(١) حديث اذيع من راديو صوت امريكا

في ثروتها الزراعية بتضاعف عما كان عليه منذ اكثر من عشرين سنة .

وقد أضاف مترجم الكتاب الاستاذ شكيب الاموي بابا اخيرا صور فيه النظام الحكومي للدولة وتطوره السريع ونقل اليه كثيرا من الاوامر الملكية التي اصدرها الملك ابن سعود تثبيتا لهذا النظام ومعاونة على تطوره ليصبح فيما بعد نظاما عربيا اسلاميا يجاري التفكير الحديث في نظم الحكم .

وتبرز الصور الفتوغرافية الكثيرة الجميلة التي يشتمل عليها الكتاب كثيرا من مظاهر التطور الذي اشير اليه ، وتجعل من قراءته متعة لا يقلل منها بل قد يزيد فيها ، الاسلوب السلس الذي يكتب الكتاب به .

هذه لمحة سريعة عن هذا الكتاب الذي يسر لمن يريدون الوقوف على تطور هذا الجزء من العالم ان يبلغوا من ذلك ما يريدون والذي يفتح امام الذهن بابا واسعا للتفكير والتامل .

القاهرة — **محمد حسين هيكل**

١ ـ كنت معهم ... في السجن !

لجعفر الخليلي ـ ٢٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف بغداد

هذا كتاب ، صدر في العراق بقلم الاديب الكبير الاستاذ جعفر الخليلي ولعل القارىء سيحسب ما اورده المؤلف فيه من بنات الخيال او من انواع الحوادث الجارية ، شان اكثر ما ترويه الصحف عن الجرائم والمجرمين . وقد عرفت انا صحفيا يخلق الحادثة خلقا ، ويرتجل التفاصيل ارتجالا ، كما عرفت صحفيا اخر باتت صحيفته سجلا للحوادث والفواجع اليومية . الا ان ما جاء في هذا الكتاب ، يختلف عن هذا وذاك اختلافا بينا .

انه مجموعة دراسات ، تتفاوت في عمقها ، ولكنها جميعها تستهدف هدفا واحدا ، هو ايقاظ الوعي لدى الحاكم والمحكوم ، وتفتيح العيون على واقع مرير ، ابتغاء الاصلاح .

ومن هنا كان عمل الاستاذ جعفر الخليلي ، الصحفي الكبير ، وان احتجبت جريدته ، والاديب الكبير كما عرفناه في آثاره ، عملا بناء .

وفي اعتقادي ان هذا الكتاب سيكون نواة لعدة كتب ، يؤلفها صديقنا الخليلي ، او يضعها سواه استنادا الى دراساته هذه بالذات ، تتناول بواعث الجريمة ، واسبابها ، ونتائجها ، وانواع العقوبات المطبقة في العراق وسواه من اقطار الشرق ، وجدواها في قمع الجرائم ، وما الى ذلك ، من قضايا حقوقية ونفسية واجتماعية وتربوية .

ولقد وضع الاستاذ الخليلي ، في كتابه هذا امام عيون القراء سلسلة من الالواح الناطقة ، الحية النابضة بالانسانية وروح المحبة . فكيف به لو عاد فعمد الى تقصي البواعث الكامنة وراء الوعي ، في اللاوعي ، عند المجرمين ، والعوامل المادية الدافعة الى الاجرام في المجتمع ، من جهل وفقر وظلم وبطء في العدالة ، من ثواب وعقاب ، وحرمان من مقومات البقاء والتطور ، وفي طليعتها الحرية ؟ كيف به لو غاص على جميع هذه الدوافع والبواعث ، واخرج لنا ((فيلما)) آخر ، ناطقا بالحاجة الملحة ـ في كل بلد عربي ـ الى تدارك تلك البواعث والدوافع .

وان تداركها قد بات من السهولة بحيث لا يكلف اكثر من أن نريد ، حكاما وشعوبا ، بعد ان توفر لنا المال والرجال .

وعسى ان كتاب الاستاذ الخليلي سيجد طريقه الى المكاتب الخاصة ، في البيوت وفي الدواوين ، فيقراه الناس جميعا ... ويعملون بما يوحيه ... من عزم على تطهير المجتمع ، وارادة في قطع دابر الشقاء ، ومحبة تشمل حتى المجرمين ، وهم بعض ضحايا الظلم والفقر والجهل .

٢ ـ في زحام المدينة

لانور شاءول ـ مجموعة قصص ـ ١١٠ صفحات ـ شركة التجارة والطباعة ببغداد

تلقيت نسخة من هذه المجموعة ، فعكفت على مطالعتها منذ تسنى لي ذلك ، أي على الفور .

وكنت مدفوعا بعاملين قويين : اولهما الاستمتاع الفني بنتاج اديب عرفته منذ سنوات ، في ما اعطى ، وثانيهما الرغبة في معرفة ذلك ((الاول)) الذي كان الاستاذ شاءول له ثانيا ، بين رواد القصة العراقية كما يقول احد النقاد فيه .

والحقيقة التي لا جدال فيها هو ان المؤلف اديب موهوب ، وكفى .

وما استمراره على الانتاج ، والانتاج يسمو كل يوم على نفسه ، الا دليلا على تلك الموهبة التي لم تخمد ، في مدى ربع قرن ـ برغم عقم الادب وشح القراء !!

ولو ان هذا الاديب كان في وسط غير امتنا ((العربية)) ـ التي تعلم الكثيرون من ابنائها ثم ظلوا ((اميين)) ـ لا يقراون ولا يكتبون الا لتجارة او لمصلحة اخرى ـ لكان بامكانه اليوم بعد ربع قرن ـ ان ينصرف الى الادب عن كل عمل سواه . فيكون بين قومه ((اناطول فرانس)) او برنارد شو !

ولم اورد هذين الاسمين عبثا . فانني وجدت في ملامح ادبه بعض ميزات ذلك الاديب الفرنسي وبعض خصائص هذا الساخر العالمي !

ولست ادري من بعد كيف يقول احدهم بان ((حكايات شاءول)) غير مؤثرة ولا تحمل معنى قويا او تدل على اتجاه هام . فان اجمل ما في اسلوبه هو هذا الاقتضاب الذي يبلغ حد الاعجاز في كثير من قصصه الجميلة .

فانه لا يقول كل ما ينبغي للكاتب ان يقوله ، ولا يكشف عن جميع ما ينبغي له ان يكشف للقارىء عنه ... لانه يؤثر ان يحمل القارىء على اكمال القول وان يحثه على اتمام الصورة . وفي هذا تطهير للادب من ادران التقليد والمحاكاة ، وسمو بالاديب الى مرتبة الرسالة .

والاديب الموهوب هو عندي رسول امته ، في هذا الزمان ، وفي كل زمان !.

انني اكرر للاديب شاءول شكري على هذه الهدية النفيسة ، التي اكدت لي مرة جديدة ان المعين الثر لا ينقطع مهما تباعد ما بين دفقاته ، وان الاديب الاصيل هو الذي يحدث لنفسه اسلوبا خاصا يعرف به .

رشاد دارغوث

الظل الكبير

لسميرة عزام ـ مجموعة قصص ـ ١١٤ صفحة ـ دار الشرق الجديد بيروت

سميرة عزام ، قاصة معروفة قدمت لنا منذ اكثر من سنة كتابا من تاليفها بعنوان (اشياء صغيرة) ، واليوم تقدم كتابها الجديد (الظل الكبير) ..

والانسة عزام قاصة اصيلة ، وقد اجمع اكثر من ناقد على ان قصصها تمتاز ببنائها المحكم ولفتاتها الواعية على التفاصيل الدقيقة المنتزعة من وهج الواقع .. وهذا ما يزيد البناء تماسكا وغنى ، والمأساة تكاملا وتكونا حيين !..

على ان هنالك ملاحظة هامة على ادب الانسة عزام ، وهي انها

تلتزم ما يشبه الاختصاص في قصصها ، اذ نجدها متمسكة الى حد المبالغة بكتابة قصة (المرأة) ، فهي دوما تستقطبها لتجعل باقي الابطال يحومون في المدار المحيط بها ، ويلمس القارىء ذلك في اكثر قصص الكتاب مثل : « الظل الكبير » و « العزيمة » و « دموع للبيع » و «عام آخر » و « نصيب » و « حلم من حرير » و « ستائر وردية » و «زغاريد» وغيرها ...

قد تكون طبيعة الانوثة عند المؤلفة هي التي دفعتها لهذا الاختصاص الذي أجادت وبرزت فيه ، ولكن هذا لا يكفي ، لان الاديب يجب ان يكتب للناس عن كافة المرافق الحياتية والاجتماعية ، بابطالها المختلفين فيالجنس والاوضاع والتفكير ..

وقد كتب الدكتور علي سعد فقال :

« ان قصص سميرة عزام تحمل طابعا واقعيا اصيلا ، لانها تصور بصدق وفهم لوحة من حياة القرية ومن عاداتها الشعبية عندنا ، هذه العادات التي كانت تعطي قرانا رونقها ونكهتها ، والتي اخذت بالتضاؤل امام موجة المدنية الطاغية ..»

وانا اوافق الدكتور سعد رأيه في الاصالة التي في قصص الانسة سميرة ، ولكنني ارى واقعيتها ناقصة ما لم تسخرها لكتابة وعينا الجديد ، وانتفاضتنا المباركة ، في سبيل الحياة الحرة الكريمة ، وعدم الاكتفاء بوصف الجانب المظلم من الحياة في بلادنا الطيبة التي اثبتت للعالم انها البلاد الخيرة ، الابية ، الجاهدة بايمان من اجل حريتها وعزها .. لان الادب بمثابة آلة تسجيل لسير الامم والشعوب ، والتراث الادبي هو الذي يروي لنا حكاياتها في نشأتها وسيرها ، وتطورها .. وكثيرة هي « القصص الجديدة » في مجتمعنا .. وهي طبعا تفوق في اهميتها حكاية زوجة « ابي خليل » تاجر العطارة العتيد الذي تفوح من دكانه روائح القرنفل والحبهان والحنة .. او غيرها من قصص محليتنا الضيقة المغلوطة التي تصورنا وكاننا في عزلة عن ركب التطور العالمي، مع ان علينا ان نراعي ـ عندما نكتب عن محليتنا الصحيحة ـ النظر اليها من افق اوسع ، فيه مقارنة بينها وبين ما يحيط بها ، ويحتك معها ، لنستطيع ان نصور مجتمعنا تصويرا صحيحا . نرى اخطاءه فنتلافاها ، ونلمس تقدمه ، فيحدونا اكثر الى الامام .. وعندها ، يعرف العالم كيف نعيش ، وكيف نفكر ، وكيف نعمل ، من ابناء الامة التي صنعت الحضارة والتاريخ ، لانه ، لا زالت بعض شعوب العالم آخذة عنا تلك الصورة الخالدة لصحراء قاحلة حبلى بسائل ثمين لا نعرف قيمته ، وخيام فقيرة ممزقة ، واناس بسطاء يمكن التلاعب بمقدراتهم واراضيهم كما يتلاعب الماهرون باحجار الشطرنج ..

ولعل اهم ما يمتاز به ادب سميرة عزام ، بعث المأساة الحية ، في حوادث قصصها بتركيز كثير بدات تتقنه جيدا بعد ان استكملت عدتها الثقافية والفنية ، ونجد ذلك واضحا في قصة « دموع للبيع » التي تحكي لنا فيها قصة « خزنة » ، التي جمعت بين عملين متناقضين ، فهي نادبة في المآتم وماشطة في الاعراس .. كانت تبكي للناس بالاجرة بدموع غزيرة .. اما عندما ماتت ابنتها فلم تستطع ان تذرف دمعة واحدة ، ولهذا قال عنها الناس اشياء واشياء ، فبعضهم يزعم انها جنت حتى بدت كالعقلاء وآخرون قالوا : (لم يعد لديها دموع تبكي بها بعد ان استنفدتها في المآتم) .. وقالوا ايضا (لم تبك لانها لم تقبض) . وقليلون .. قليلون جدا هم الذين آثروا ألا يقولوا شيئا ، وتركوا لخزنة في صمتها ان تقول كل شيء !..

على ان المؤلفة قد بلغت درجة طيبة من الكمال الكتابي والفني في قصتها (الظل الكبير) التي جعلتها عنوان كتابها ، فدرست لنا فيها حياة فتاة واعية لا تؤمن بالاشياء الزائفة ، فهي (لا تربط غاياتها بالصدف ، ولا تقيم الانسان الا بعمق ما يحس ويفكر ويعيش) .. والواقع ان المرأة عندنا ، بصورة عامة ، لم تستكمل بعد الوعي الحياتي بالرغم من انها بدات تنال قسطا لا باس به من الثقافة .. ثم ان قضيتها بمشاركتها للرجل في حياته العامة والخاصة ، مشكلة من اعقد المشاكل الاجتماعية ، لان منطق التطور ، وظروف حياة مجتمعنا ، وفكرة العدالة العامة ، تريدها على الانبعاث .. ومجموعة الاعراف والتقاليد تريدها على الركود والانزواء، ولذلك نرى المأساة تظهر دوما في مرافق حياتها ، وتضيع منها الثقة في مجالات كثيرة ، فتنسب الى نفسها الغرور عندما تصر ـ مثلا ـ على (جبار) من الرجال !..

اخيرا .. اطلب من اديبتنا صاحبة « الظل الكبير » ألا تكتفي بما وصلت اليه ، لانني اعرفها طلاعة الى الاكمل .. وهي قمينة بان تقدم لنا شيئا يكتب له الخلود !

دمشق — جان الكسان

ابن زيدون

عصره وحياته وادبه لعلي عبد العظيم ـ ٥٨٨ صفحة ـ مكتبةالانجلوبالقاهرة

الاندلس قطعة من التاريخ عزيزة علينا نحن العرب ، فالدولة العربية قد قضت فيها اسعد ايامها واحفلها بالعز والرخاء ، واملاها بالخصب الفكري والادبي الذي لا يزال يمد مده في حياتنا الفكرية ، ويملأ جوانحنا بالعزة والفخار ، وهو يفادينا كذلك بالحسرة والالم ، لضياع مجد تتلمذت عليه اوربا ، واتكات على سواعده وهي تنهض ، ولكن الزمن استدار بهم وبنا ، فاذا نحن .. واذا هم !!

وهذه الفترة الخصبة الزهراء من تاريخ امتنا ووطننا ظلت بكرا لم تلمسها يد الدراسة العميقة على ما فيها من امتاع وتجديد وتوجيه ، وعلى من فيها من اساتذة عظام ، جددو العربية وادابها ، واستحدثوا في الشعر والفن والفكر موازين عالمية ، دفعت ادبنا يوما الى الميدان الانساني الصاخب ، فغامر وزامل ، وترك آثاره ، وسرى من العالم سريان النور في اوصال الظلام ، وكان للناس هديا وقبسا ، الهم زمرة من كبار الفنانين والكتاب والشعراء والقصاصين روائعهم الانسانية الكبرى وما زال معينا للفن والتاريخ .

ولكن اشعة الدراسات الجامعية عندنا لم تنفذ اليها الا اخيرا ، وفي تسلل وحذر ، حين لم تستطع ان تغفل هذه البقعة العبقرية المتفجرة من كيان العروبة وتاريخها . وكان لا بد للنهضة الادبية في العالم العربي وهي تتلمس طريقها الى المجد الطريف المستحدث ألا تنسى هذه العناصر المشعة الغالية من ماضي تراثها العبقري .

ولقد كانت النبضات الاولى خافتة ، وهي تضرب في مجاهل التاريخ وراء المجد الراقد في احضان الزمان فبدات في المامات سريعة يخطفها دارسو العصور الادبية ثم في فصول قصار كالتي كتبها الاساتذة احمد منيف والسكندري ، وعبدالله عنان ، وشكيب ارسلان وكرد علي ، بالاضافة الى ما كتبه المستشرقون .

ولكنها كانت معالم استهواها شباب الدارسين ، فرأينا الاستاذ الشاعر علي عبد العظيم يكتب هذه الرسالة الضخمة المستوعبة ، وكانه يقتص بها من نسيان القرون ، وينفض بها غبار الاجيال عن ادب الاندلس ، وقد تقدم بها الى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة فنال درجة الماجستير بامتياز ، وما اسرع ما تلقفتها دور النشر ، وما اسرع ما اثرت ووجهت الدارسين لما خلفته العروبة من كنوز في هذا الوطن العزيز .

وابن زيدون الشاعر الكاتب الوزير يمثل انسان العيش في ادب هذه الجنة الفينانة التي احتلت اخصب الازمنة والامكنة من الفكر العربي.

وقد ولد في اواخر القرن الرابع الهجري في ضاحية من ضواحي

قرطبة ، ونشىء بين اليتم والثراء ، وشب بين متناقضات من ترف العصر المرفه الناعم ، واستفحال الثورات السياسية الصاخبة التي هزت كيانه .

وقد وهب الى جمال الخلق ورقة الطبع ، جمال الوجه وفراهة البدن وخفة الظل ، كما رزق من مواهب الفن رقة الشاعرية ، وعمق الاحساس ، والذكاء الفطري الذي مكن له من دولتي الادب والسياسة ، وشدت أزر هذه المواهب والملكات نهضة ثقافية وحياة ادبية كانت تمد مدها بالاندلس في ذلك الحين ، وصقلت حواشيه تلك الطبيعة الفزيرة الجمال التي افتنت فيها يد القدرة الصناع ، وحبتها بلاد الاندلس الجميلة .

وكان ذا صوت جهير في الثورة الشعبية التي اسقطت الاستبداد الاموي ، وشكلت جمهورية شعبية تزعمها ابن جهور ، وتولى هو وزارتها ، غير ان طموحه واعتزازه وحبه افسدت ما بينه وبين الزعيم ، فادت به الى السجن متهما بالتآمر على الدولة التي اقام بسواعده اركانها ، وفي السجن ابدع آثاره نظما ونثرا .

وقد اشتهر بحبه للاميرة الشاعرة ولادة شهرة الحقتهما باعلام العشق الانساني ، وجعلتهما في تاريخ العاطفة المشبوبة ندا لجميل وبثينة ، وكثير وعزة وقيس وليلى وروميو وجولييت .

كما ترك حبهما في الشعر الغزلي آثار ملتهبة ، عرف بها ابن زيدون شاعرا عاشقا اكثر مما عرف كاتبا او سفيرا او وزيرا .

وقد صنعت الاقدار من حبه محورا ادارت حوله حياته العامة كلها ، فكان امله في ولادة او ياسه منها يحركه حركات لا ارادية ، يدنيه او يقصيه ، فيجعله يغامر او يتراجع .

والحب هو الذي جعله يبدأ ثائرا زعيما ، وينتهي شاعرا مداحا يجوب البلاد والامارات حتى ينتهي به المطاف الى جوار الامير الشاعر المعتضد بن عباد امير اشبيلية حيث ينعم في ظله بالتكريم وسامي المناصب الى جانب امارة الشعر ، وان تعرضت حياته بين الاونة والاخرى لهبوب الرياح الغضبي من نزوات المعتضد الذي لم تكن بوادره مامونة بعد ان ارسل ولي عهده ورجال حاشيته الى الموت واحدا اثر الاخر .

وحبه هو الذي جعله اخر الامر يحرض امير اشبيلية هذا على اغتصاب قرطبة لينعم بها الى جوار ولادة ، ولكن القدر لم يدعه ينعم طويلا ، فقد الحت عليه السنون والامراض والمحن والسعايات ، فاسكتت ذلك الصوت المجلجل والقرن الخامس يشرف على ثلثه الاخير .

وكما كان ابن زيدون علما مرفرفا في سماء الادب الاندلسي حتى اليوم وفي السياسة الاندلسية لفترة محدودة من الزمن فانه كان محور هذه الدراسة القيمة .

ولم تكن شخصية ابن زيدون وحدها هي التي اجتذبت المؤلف ، ولكن هناك صلات مباشرة زكت هذه الدراسة ، وهونت هذا الجهد ، فالمؤلف شاعر عذب النغمات ، تنتمي الحانه الى اصداء من الينابيع الاندلسية ، وقد اتخذ الاندلس من قبل موطنا لمسرحيته الرائعة المجازة عن « ولادة » حبة قلب شاعرنا ، كما شغل شغلا متواصلا بتحقيق ديوان ابن زيدون ، واخيرا فان لابن زيدون رنة عذبة في قلوب الشعراء ، وله لماعية خاطفة تشع من جوانبه المتعددة كاتبا وشاعرا ومؤرخا وسياسيا لعب ادوارا خطيرة على مسرح السياسة الاندلسية ، وكل هذه الالوان في حياته معجب ومثير وجدير بالدراسة .

ووفاء المؤلف لهذه الفترة العزيزة من تاريخ العروبة لا يعدله الا وفاؤه لامه البارة التي اهدى الى روحها هذا المجهود الموفق الذي بذله ليصل بهذه الدراسة الى ابعد آمادها ، وما كان باليسير ان يستوعب عصر ابن زيدون على اتساعه وخصبه وتشتت مراجعه ، لولا ان المؤلف لم يضن بالجهد ولا بالوقت ولا بالداب المتواصل حتى اخرج لنا في موضوعه الجليل سفرا جليلا يخطو عدد صفحاته نحو الستمائة ، لم تخل احداها من فكرة او استنباط او تحقيق ، فكلها اوصال متلاحمة لا تزيد فيها ولا فضول .

ومن الزوايا العديدة التي برزت بها شخصية ابن زيدون ، تناوله المؤلف في ابواب ثلاثة تضم سبعة عشر فصلا عدا المقدمات والخاتمة .

وقد قصر الباب الاول على عصر ابن زيدون فتحدث عن الشعب الاندلسي كيف تماسكت عناصره ثم تحللت ، وكيف نشرت الحضارة العربية ظلالها فانتجت ثقافة نامية خلقت طابعها العربي فينا حتى اليوم ، ثم خبت . وعندما تصل الى الباب الثاني يكون فكرك قد تهيأ لاستقبال حياة ابن زيدون فيحدثك عن اسرته ونشأته وثقافته ، وعن عنصر الثورة في شبابه ، وعن دور ولادة السحري في حياته ، ثم يخرج به وبك الى الحياة العامة ، فيدور به بين الثورة والمستشارية والسفارة والوزارة والسجن والفرار والاصدقاء والاعداء والمغامرات . وحينما ينتهي الى الهدف من الدراسة في الباب الثالث يدرس ادبه دراسة عميقة منسقة تتمثل فيها اطواره الفنية وفنون شعره ، ثم يصاحبه ناثرا مبدعا في رسائله ونقده وتاريخه ، ويخصص فصلا لدراسة ادائه الفني وعناصر هذا الاداء ونصيب كل منها من اهتمامه ، ويتبعه بفصل اخر عن مكانته الادبية فيدرسه دراسة مقارنة بالقياس الى الشعراء المبدعين امثال ابن ابي ربيعة ، وجميل ، وابن الاحنف ، والبحتري وابن خفاجة ، ثم بالقياس الى الكتاب المتازين امثال سهل ابن هارون والجاحظ .

وقد لا تثقل هذه الدراسة في الميزان العلمي حينما نقول انها استفرغت من جهد المؤلف سنوات طوالا ، ومن الورق مساحة ضخمة ، ولكننا قد نقربها الى تقدير الدارسين حينما نذكر ان المؤلف استوعب في سبيل اخراجها اثنين واربعين مخطوطا ومصورا ، واستعرض من المطبوعات مائتين وثلاثة ، عدا اثنين وعشرين اخرى بالانجليزية والفرنسية والالمانية واللاتينية والتركية فاذا تيسرت له هذه المراجع التي تقارب المائتين والسبعين فلا نعجب ان تصبح رسالته هذه منهلا فياضا ، ومصدرا مستوفى للادب العربي في هذه البقعة من الارض وفي هذه الفترة الكريمة العزيزة .

ولا نعجب كذلك ان تنال تقدير الدارسين ، واحترام الهيئات الادبية ، وتلقى من اساتذة الجامعات ما هي جديرة به من المكانة ، وقد عبر عن تقديره الاستاذ عمر الدسوقي بما كتبه تصديرا لهذا البحث .

وقد اضفى المؤلف الشاعر على هذه الدراسة من روحه اسلوبا رقيقا نقيا مشوقا خفف الى حد كبير من جفاف البحث العلمي ، وخرج به الى دائرة مشرقة جمعت بين الدقة والصفاء ، ونلمح ذلك حتى في عناوين فصوله التي تمثل مراحل حياة ابن زيدون مثل : في غمار الاحداث ـ حب عاصف ـ عواصف وانواء ـ اضواء وظلال ..

كما نستمتع بهذا الروح الجذاب ونحن نرتاد معه جوانب هذه الحياة الزاهرة المرعة التي انبتها خصب الارض وخصب الزمن ، ونقاء البذرة العربية ، وثمارها اليانعة .

وبعد فاذا لم نستطع تقويم هذه الرسالة في دراستنا الصغيرة تلك ، والحديث عما سدته من فراغ كبير كنا نحس به في هذه الناحية ، فلا ننسى لصاحبها انه نفض الغبار عن فترة مجيدة من حياتنا ، وصحح اوهاما كثيرة دارت حولها ، وحقق الكثير من التواريخ والحقائق ، ونقد الكثير من المصادر التي تحدث عنها احاديث غامضة او خاطئة او مبتورة ، ورد الحملات التي شنت على العقلية العربية . وانتاجها العبقري ، وقامت بدور الرائد في النهضة الاوروبية .

واهتم ـ ان عامدا وان عابرا ـ بابراز الشخصية الشعبية التي نضجت في البيئة العربية في الاندلس ، والتي لم تكن تظهر الا اشباحا باهتة في المؤلفات القديمة .

وبوعي الشاعر تناول اشعار ابن زيدون واشعار معاصريه تناولا صحح كثيرا من التواريخ والحقائق التي قامت على اساس خاطىء ، فاجاد وامتع وادى حق الفن والتاريخ .

القاهرة — رضوان ابراهيم



● في الادب والحياة ـ تاليف فاضل خلف ـ تقديم الدكتور ابراهيم عبده ـ ١٢٧ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الاداب بالقاهرة ـ المطبعة النموذجية بالقاهرة .

● بنجامين فرنكلين ـ عالم . كاتب . سياسي . فيلسوف . انسان ـ صورة قلمية ـ تاليف عباس محمود العقاد ـ ٢٣٤ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● كتاب الفلاحة لابن بصال ـ نشره وترجمه وعلق عليه خوسي مارية مياس بييكروسا الاستاذ بجامعة برشلونة ومحمد عزيمان السكرتير العام لوزارة التربية والثقافة للمنطقة الخليفية بالمغرب ـ ١٨٢ صفحة باللغة العربية و٢٢١ صفحة باللغة الاسبانية ـ حجم كبير ـ منشورات معهد مولاي الحسن بتطوان ـ مطبعة كريماديس بتطوان المغرب .

● جريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني الكاتب ـ قسم شعراء الشام ـ الجزء الاول ـ عني بتحقيقه الدكتور شكري فيصل ـ ٦٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ المطبعة الهاشمية بدمشق .

● امراء دمشق في الاسلام ـ وهو يتضمن « ذكر من ولي امرة دمشق في الاسلام او دخلها من الخلفاء مرتبين على حروف المعجم » ، وارجوزة « تحفة ذوي الالباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب » ـ تاليف صلاح الدين الصفدي ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ٢٢١ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ مطبعة الترقي بدمشق .

● محاضرات المجمع العلمي العربي ـ الجزء الثالث ـ ٥٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ مطبعة الترقي بدمشق .

● سيكولوجية الرؤية العلمية عند الطلبة ـ رسالة للفام الدراسي ـ تاليف محمد حيدر كلية التربية بالجامعة السورية ـ باشراف عبد الله عبد الدائم ـ ٥٨ صفحة ـ حجم كبير ـ طبعت على آلة الرونيو الناسخة ـ دمشق .

● ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية ـ اشرف على تاليفه ج. ب. جيلفورد استاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا الجنوبية ـ اشرف على ترجمته الدكتور يوسف مراد استاذ علم النفس بجامعة القاهرة ـ المجلد الاول : الميادين النظرية ـ ٥١٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات جماعة علم النفس التكاملي ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ دار المعارف بمصر .

● الاساس الاقتصادي للحضارة الامريكية ـ تاليف شيبارد كلاو ـ ترجمة احمد حلمي حجاج ـ اشراف وتقديم الدكتور محمد علي رفعت ـ ٢٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

● ملحمة عيد الرياض ـ لبولس سلامة ـ ٦٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة البولسية بحريصا لبنان .

● لايس ـ مسرحية ـ قصة الصراع لتحرير اللذة من الالم ـ تاليف عبد الرحمن ابو قوس ـ ٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف نجيب كنيدر بحلب سوريا .

● كلمة سلام ـ قصائد شعبية ـ لصلاح جاهين ـ تقديم محمد كمال عبد الحليم ـ ٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مزين بالرسوم بريشة هبة عنايت ـ منشورات دار الفكر بالقاهرة .

● صوت الغائب ـ تاليف خليل رامز سركيس ـ ٤٥ صفحة ـ مطابع دار الاحد ببيروت .

● الاراء الصريحة لبناء قومية صحيحة ـ تاليف محمود الملاح ـ ١٠٤ صفحة ـ مطبعة دار السلام ببغداد .

● من روائع الادب الكردي ـ الجزء الاول ـ تاليف محمد توفيق وردي ـ ٣٧ صفحة ـ مطبعة دار المعرفة ببغداد .

● في رواق زينون او ثورة الفكر السياسي ـ تاليف هنري ابو فاضل ـ ٥٩ صفحة ـ منشورات دار المكشوف ببيروت .

● يوم اللقاء ـ رواية ـ تاليف ميشال اسعد يونس ـ ٩٤ صفحة ـ منشورات دار المكشوف ببيروت .

● ارجوحة القمر ـ شعر ـ الطبعة الثانية ـ لصلاح لبكي ـ ٩٢ صفحة ـ دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● فصول في الدين والادب ـ تاليف محمد عبد المنعم خفاجي ـ ١٢٥ صفحة ـ مطبعة المعهد الجديد بالقاهرة .

● ايمان ـ شعر باللغة العامية ـ لحنينة ضاهر ـ تقديم وليم صعب ـ ١٣٦ صفحة ـ مطابع لبنان بيروت .

● رباعيات الرياشي في ظلال الفردوس ـ شعر ـ لقبلان الرياشي ـ تقديم كرم ملحم كرم ـ ١٣٧ صفحة ـ منشورات مجلة الورود ـ مطبعة صفير وعون ببيروت .

● خطرات ـ شعر منثور ـ لارسلان رعد ـ ٤٠ صفحة ـ حجم صغير ـ مطبعة دار الفنون بطرابلس لبنان .

● عقلك مفتاح الفرص ـ تاليف و. ج. انيفر ـ ترجمة شفيق اسعد فريد ـ ٢٤٨ صفحة ـ منشورات مكتبة المعارف ببيروت ـ مطابع دار الكشاف بيروت .

● نداء للعمل ـ تاليف ابو القاسم محمد كرو ـ ١١٤ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات سلسلة كتاب البعث رقم ١ ـ مطبعة الترقي بتونس .

● مع الشابي ـ تاليف محمد الحليوي ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات كتاب البعث رقم ٢ ـ مطبعة الترقي بتونس .

● نماذج بشرية ـ تاليف احمد رضا حوحو ـ ١٣٠ صفحة ـ منشورات كتاب البعث رقم ٣ ـ مطبعة الترقي بتونس .

● تحريك السواكن ـ تاليف محجوب بن ميلاد ـ ١٦٢ صفحة ـ منشورات كتاب البعث رقم ٤ ـ مطبعة الترقي بتونس .

● جارتي الحسناء ـ لرابندانات طاغور ـ ترجمة يعقوب حوراني ـ ١١٧ صفحة ـ منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ببيروت .

● اولاد الخليلي ـ مجموعة قصص مستمدة من صميم الحياة ـ تاليف جعفر الخليلي ـ ٢٠٨ صفحة . حجم كبير ـ مطبعة المعارف بغداد .



من بولس سلامه الى البير اديب

●

اخي البير : سامحك الله فلقد ابطات في اتحافي بديوانك (لمن ؟) ، على انك الصديق المفضل . وتشاء المصادفة ان تطالعني هذه الزمردة بعد ظهور ملحمتي (عيد الرياض) ، ولقد بسطت ، في مقدمتها ، رأيي في الشعر المنثور ، فازريت عليه لان معظمه ضرب من السجع المتوازن المتوازي – على ان مقامات الحريري البالية اصح منه لغة وابعد غاية – او هو نثر مخلع رصف على شكل عمود او هرم . وما استثنيت الا نفرا تفرغوا له فاجادوا . وكنت احسبك واحدا من المجيدين لما اعتلق في ذاكرتي من نثرك الشعري السالف .

اما وقد طالعت ديوانك اليوم ، فعفوك عن حدسي الخاطىء ، فانما ديوانك هذا يند عن المنظوم والمنثور كليهما وهو اشبه ما يكون بالشهاب الثاقب ينفصل عن الكواكب السيارة والنجوم ويلتزم سمتا فذا بيد انه لا يتدنى فما للثرى منه نصيب .

ولقد اصبت اذ دعوته شعرا رمزيا فليس اجدر من هذا الاسم بذلك المسمى ، فانه الكلم الانيقة توحي وتومىء ولا تعبر بالقلم العريض ، وتبعث اللحن فيستيقظ الاحساس على مثل العبير يحمله النسيم المتناوح فتبتهج به الصدور بدون ان تفتقد الازهار واحدة واحدة بحثا عن مطلع الشذا .

بيد ان رمزيتك شفيفة لا تستغلق على البصائر النافذة الى ما وراء الحرف . فان نفسك السمحة بارزة في مستهل الديوان حيث تجعل « من ندى القلوب ريا لرمال الصحراء » . و « ترف المنى حول المنى في رقصة الحوالك » .

ولقد هزتني منك انفة العزيز في مقطع : انغام والحان حيث تقول : « ورايت العاشق الذي يشكو هواه ، وفي نفسه اباء وفي روحه شمم ، لا لين المخنثين ولا ذل العبيد ، ولاضعف الجبناء » .

وينمو ذلك الاباء ، بل الكبرياء المقدسة – وهي في غير هذا المقام جناح عظيم – في قصيدتك (انا) فبينا انت « اسير تهالك من جراحه ، يلف امانيه بمطرفه الانيق » اذا « بفرائص الغاب ترتعد وتجلجل بنواحك ، وتمسح جبين المجد بجناحك » ويستمر هذا الاباء في قصيدتك (سهرة) حيث تقول :

ولم اسحب اطراف مباذلي على الدرجات العلى
كما تعودت مني التعالي وجر الذيل
وسلكت طريق الشاة فكان صعبا وعر المسلك .

وانك لجبراني النزعة في (عروس الليل) على انك اعلم بتخير الالفاظ ، والافتنان في التركيب والجرس حيث تقول :

سوف يشيخ هذا الجسد ، وترتوي منك الدجنة ، ونفسك بعد فتية تطلب الليل .

وكذلك القول في (متمردة) اذ تقول :

ايماني اقوى من الوله ... وانا صخرة تتكسر على اقدامها كبرياء اللهب .

وفي قصيدتك (الذوق الفني) – على بساطتها الظاهرة التي تماثل سهولة بول جيرالدي ، في ديوانه (انت وانا) – عمق وتفلسف وتاليه للعادة التي قيل فيها انها طبيعة ثانية . وفي راي بعض المفكرين ان الطبيعة عادة اولى .

اما قصيدة (عبيد) ففي غورها مشابه من وجودية يسبرس في بحثه عن الالوهة ووقوفه على حدود اللانهاية اذ تقول « ما سرك ، تملأ الدنيا وتغيب عن ناظري ، في النور تضيء ولا اراك وفي الليل تنداح مع العتمة » ولقد وقفت كثيرا في هذا الانداح ، ووقفت الى اكثر من هذا في ختام القصيدة حيث قلت : « ليتني مت قبل حريتي » فكانت الحرية احب شيء اليك ، ولا غروى فهي احب شيء الى الله واعظم منته على البشر ، وانما بها كان الانسان انسانا ، وان ذهب بالتفاحة وضيع الفردوس .

[الشعلة] بولس سلامة

حقوق وواجبات واخطاء

●

« كل متهم يعتبر بريئا حتى يثبت القانون جريمته في محاكمة علنية تتوفر فيها كل الضمانات اللازمة للدفاع عنه » [المادة الحادية عشرة من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي اقر في العاشر من شهر ديسمبر ١٩٤٨] .

★ ★ ★

من ذا الذي لا يعجب ولو في باطن نفسه لقراءته في صحيفة يومية خبرا عن خطأ في الاجراءات القانونية دفع متهما الى الاعتراف بجرم لم يرتكبه ؟ قد نعتقد ان العهد الذي كان يعذب المتهم فيه حتى يعترف بذنب ما قد مضى الى غير عودة ، ولكن ذلك للاسف الشديد وهم خطير ، فالتعذيب ما يزال من ظواهر العصر الحديث .

لقد تساءل هيلير بيللوك منذ سنوات قائلا : « هل سنعود مرة اخرى الى استخدام وسيلة التعذيب ؟ » وازاء الواقع ، اعترف باحتمال وقوعه ، وهو اعتراف مؤلم وان يكن على حق .

ويحتفل العالم في هذه الايام بالعيد السابع للاعلان العالمي لحقوق الانسان . ويجب ان نقول ان الاعلان هو قبل كل شيء اعلان عن امل ورجاء ، ونحن لا نامل ولا نرجو الا اشياء لا نملكها . ويؤكد الاعلان في مادته الخامسة بانه « لن يكون اي فرد موضع تعذيب اوعقاب اومعاملة قاسية لا انسانية او مهينة » . ولكن الصحف تطالعنا كل يوم بكثير من الامثلة عن آباء يعذبون اولادهم او يستغلونهم اشد الاستغلال .

وقد يقال جزافا ان الامر يتعلق بشواذ او مجرمين ، ولكن ما القول في حالات كثير من المتهمين الذين يرجعون في جلسات محاكمة علنية على الاعترافات التي ادلوا بها اثناء تحقيق قاضي الاحالة معهم ؟ وماذا يقال ازاء هؤلاء الذين يدللون على انهم اعترفوا تحت الضغط وانهاك قواهم لا لغرض الا لانهاء تحقيق منهك لا يقف عنه رجال البوليس الا بثمن توقيعهم في ذيل اعتراف « رسمي » ؟ ولكن ما الذي يحدث حينما لا يستطيع المتهم الاتيان بدليل على التعذيب الذي لقاه ؟ هنا يكمن الخطا القانوني ، وهو مما لا يمكن اصلاحه في كثير من الاحايين .

وقد نقول ونحن متكؤون في مقاعدنا « اذا كنت في ذلك الموضع فانني لا اذعن للضغط بالاعتراف » . ولكن ذلك لا يعبر الا عن مظهر اناني لفرد لا يريد او لا يستطيع ان يضع نفسه موضع ذلك الانسان الذي يضحي بكل مستقبله ليوقف الما لا يحتمله . ومثل هذه الاجراءات التعسفية تطيل امد الظلم وتسيء الى الحقوق والحريات المكفولة في الاعلان العالمي .

ومثال ذلك ، ان فتاة متهمة بالقتل اعترفت بجرمها خلال التحقيق معها ، ثم سحبت اعترافها حينما قدمت القضية امام المحكمة . وقد اثبت الاطباء الشرعيين ان موت الضحية كان بالخنق ، بل واظهرت الصور التي اخذها

رجال البوليس علامات واضحة في رقبتها . ولم ينظر القضاة الى انكار المتهمة لاعترافاتها نظرة جدية الا بعد ان تقدم شاهد شرح للمحكمة كيف انه اضطر الى الادلاء باعترافات كاذبة عقب تحقيق شديد عنيف اجري معه .

ووردت الى طبيب الدفاع فكرة تصوير اجزاء اخرى من جسم المجنى عليها ، اظهرت بدورها علامات عند الوسط . وبذلك اتضح انه حدث لجسم الضحية خنق ، ولكنه كان بفعل تضخم الجسم بدرجة كبيرة عقب حدوث ازمة صرع شديدة اصيبت بها .

وبذلك افرج عن المتهمة ، ولكن ما الذي كان يحدث اذا لم تات تلك الفكرة الى طبيب الدفاع لاجراء فحص اخر لجسم الضحية ؟ او اذا كان من المستحيل الحصول على تلك الصور الاضافية .

ان الخطا انساني ، ولا شك انه يمكن للعدالة المنظمة ان تقع في الخطأ . ولكن يجدر بنا ، كي نعين العدالة ، ان نقدم كل الضمانات اللازمة خلال التحقيق او المحاكمة . حقيقة ان رجال البوليس يزاولون مهنة شاقة ، ولكن لا يجب ان تكون تلك المشقة اليومية سببا في استخدام التعذيب رغبة في التخلص من مهمة مرهقة .

وفي هذا المجال ، كتب اللاهوتي سباستيان كاستليون في القرن السادس عشر يقول : « في هذا العالم مكان لحقائق عدة متباينة ، ولكن اذا اراد الناس ، استطاعوا العيش معا في اتساق وتوافق » ، وتلك ولا شك الجوهر الاساسي لحقوق الانسان . فبقدر ما يكون شعورنا باخطائنا عميقا ، وبقدر ما يكون تسامحنا ازاء اخطاء الاخرين عظيما ، بقدر ذلك نعرف كيف نصون احترام حقوق الانسان التي اعلنت في العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ .

جوزيه دي بنيتو

هل يجوز للاديب ان يمتهن التعليم

●

توفي اخيرا ديلان توماس ، الشاعر البريطاني الموهوب ، وكان يشكو دائما من ان عددا كبيرا من زملائه الشعراء الاميركيين يعملون في الجامعات . فهو يرى ، مثل كثيرين غيره ، ان هواء الجامعة اشبه بالغاز السام ، قد يتحمل الانسان نفخة منه ، ولكن اذا استنشقه مدة طويلة ، هلك .

وهذا يجرنا الى حديث الادباء والشعراء والكتاب ، وهل يكفي ان يكون القلم وحده مصدرا للرزق ، ام لا بد من وجود مصدر اخر يؤمن للكاتب او الاديب لقمته وكساءه ؟

القلم وحده لا يكفي . وها هو ديلان توماس نفسه يقول في خطاب اعادت نشره مجلة « نيو وورلد رايتنج » الاميركية نشره اخيرا ، انه كان « دائما في حاجة ملحة للنقود » . وقد تساءل مرة ، كما يتساءل كل كاتب تقدم به العمر ـ « كيف استطيع ان اكسب عيشي ؟ يمكنني ان اقرأ بصوت مرتفع ، برغم (الازمة) التي تنشب اظافرها في صدري ، كما يمكنني ان احاضر ، ثم يتساءل عما اذا كان يجب عليه ان يقبل منصبا جامعيا ليعيش » ...

وكان النقادة البريطاني المشهور ف.س بريتشيت قد كتب مقالا في مجلة النيويورك تايمز ريفيو سنة ١٩٥٤ انتقد فيه قبول الكتاب لوظائف جامعية وقال ـ « ان قرائحهم تجف ليس من الحاجة للالهام ، ولكن بسبب فقدان عادة الكتابة » . غير ان « عادة الاكل » هي الاخرى امر لا يريد ان يهمله الكتاب طويلا . وقد اضطر المستر بريتشيت نفسه بعد ذلك الى قبول وظيفة في جامعة اميركية .

الجامعة لا تقتل المواهب الادبية

فهل صحيح ان الجامعة تقتل المواهب الادبية ؟ ان ما يحدث الان في جميع اقطار العالم هو ان الاديب او الكاتب يجد نفسه مضطرا لقبول وظيفة تضمن له الحصول على حاجاته من المسكن والملبس والغذاء ، ما دام لا يتعدى ايراده من الكتابة اجر عامل عادي بل يقل عنه .

وهذا الايراد الثابت المضمون يحرر الكاتب من ربقة السوق ، ويمكنه من الكتابة حسب ما يشتهي دون ان يطحنه الحاح الحاجة كما طحن كثيرا من الكتاب طيلة قرون . ثم ان اكثر الفنانين الاخرين ـ كالموسيقيين والرسامين ـ قد امتهنوا التعليم ، فلماذا يحرم الكاتب وحده دون هؤلاء من اتخاذ التعليم مهنة يرتزق منها الى جانب عمله ككاتب ؟

ومما لا شك فيه ان الوظيفة النظامية وخاصة وظائف التعليم تبدد يوم الكاتب وتشغل معظم وقته ، غير ان امامنا مثلا حيا على امكان التغلب على عامل الزمن هذا ، في شخص روبرت فروست الشاعر الاميركي المبدع ، الذي لا يزال يقرض الشعر رغم مضي نحو ٤٠ عاما على اشتغاله بالتدريس في الجامعات والكليات . وبديهي ان الوظيفة لم تسحق مواهب هذا الشاعر العظيم . وهناك ايضا الشاعر ارتشيبالد ماكليش ، الاستاذ بجامعة هارفارد ، ما زال يقرض الشعر العذب الرصين .

الجامعات بحاجة الى كتاب

وكما تغلبت المواهب الاصيلة في نفوس الادباء والكتاب على عوادي الزمن ومشكلات الحياة ، كذلك ستتغلب على الفساد الجامعي وهو اقل درجة من سواه . وقد يجد صاحب الموهبة المحدودة ان الاغفاءة في ارجوحة من الشبك في حرم الجامعة اكثر تهدئة للاعصاب من محنة التدريس اثناء النهار ثم الانصراف الى بيته وكتبه الخاصة في الليل . والجامعات اليوم بحاجة الى كتاب . فقد انقضى زمن التقليد القديم عندما كانت الجامعة تحتاج الى النصير ، واصبحت الجامعة هي النصير ، مستقلة اكثر من الدولة ذاتها ، واكثر ثباتا من الفرد نفسه .

وتقود الجامعة في الولايات المتحدة حركة تحريرية تجديدية في جميع ميادين الفنون الخلاقة . فلديها مسارح ممتازة ، وكليات للرسم والموسيقى والنحت . وفي هذه الكليات يدرس تاريخ الفنون كما تدرس الفنون عمليا . ففي جامعة آيو مثلا ، يمكن للطالب الموهوب ان يقدم ، للحصول على درجة جامعية ـ بما في ذلك الدكتوراه ـ ديوان شعر ، او قصة طويلة ، او سيمفونية ، او مجموعة من اللوحات او التماثيل ، او رواية تمثيلية . فالخيال الخلاق الذي انتج روائع الفن في الماضي لم يكن انفجارا مدهشا حدث وانتهى ، ولكنه لايزال حيا في نفوس شبان اليوم وشاباته . وواجب الجامعة تعهده وتكريمه .

كل ذلك يجعل جو الجامعة مختلفا عما كان عليه في الماضي . ولا شك في ان النقد وحده قد يقتل مواهب الكاتب الناشيء . ولكنه ايضا امر لا بد منه لصقل اي كاتب . وقد قال استاذ جامعي معروف ذات مرة : « كل ما نفعله هو ان نحاول تهيئة الجو الصالح للنمو دون ان نقتلع النباتات مرة بعد اخرى لنرى كيف يسير نمو جذورها » .

بول ايجل

بول هندميث في عيد ميلاده الستين

●

منذ امد قريب توجه بول هندميث الى هلسنكي لاستلام جائزة سيبيليوس وهي احدى الجوائز الموسيقية الكبيرة ، وكان فوزه بالجائزة تعبيرا واضحا عن الاعجاب والتقدير لهندميث بمناسبة الاحتفال بعيده الستين في ١٦ نوفمبر الماضي ، وبدء مرحلة جديدة في تاريخ ذلك الشاب صاحب الثورة الموسيقية قبل ان يكون احد كبار الملحنين في عصرنا هذا .

ولد هندميث في الوقت الذي كان فيه ريتشارد ستراوس يؤلف سيمفونيته الشاعرية (تيل ايلينسبيجل) ، وفي الفترة التي كان يكتب فيها ماكس ريجر مقطوعاته الاولى

التكميلية وحينما كان براهمز يختتم آخر مؤلفاته (اربع اغنيات جدية) . وكان بوكنر في ذلك الوقت يضع آخر نوتة موسيقية في سيمفونيته التاسعة .

لقد ثار هندميث في مطلع حياته الموسيقية على اوضاع النغم بكل ما في هذه الكلمة من معنى . فقطعته الموسيقية وعنوانها « اخبار اليوم » اثارت لدى محبي الموسيقى صدمة حقيقية ـ فالنشيد الذي ادته المغنية المعروفة (لورا) اثناء استحمامها تعدى الحدودالتقليدية. وفي الواقع ان نقاده لو انهم عنوا بدراسة التركيب الموسيقي وقتذاك لدى هندميث لوجدوا ان الشاب الموسيقي كان متعلقا بالمتفق عليه في الموسيقى لا بالتقليدي فيها .

وبول هندميث ابن صانع في سيليزيا ، وقد بدأ صغيرا العزف على كثير من الالاتالموسيقية. وحينما بلغ الثالثة عشرة كان بلا نزاع احسن موسيقي في بلدته . وعند بلوغه العشرين كان العازف الاول على الالة المحببة اليه في اوبرا فرانكفورت . وقد عرف هند ميث بعد ذلك كيف يعلن اعتراضه على موسيقى ترفض التعبير عن عالم حديث تنتشر فيه ثورة صناعية وذلك بتاليفاته الموسيقية الاولى المليئةبالهرج والصخب والضجيج .

ومع ذلك فان الاعتراضات العنيفة التي اثيرت ضد اعماله لم توقفه عن الاستمرار في البحث عن تعبير موسيقي جديد . ولما واتته الفرصة عرف كيف يصل بين ابداعه في الموسيقى وبين اكثر التقاليد الموسيقية وقد عرف هندميث كيف يستوحي بيتهوفن والموسيقيين من قبله ، وكان يرفض في كلذلك أي ضغط يأتيه من الخارج . وقد اظهر هندميث ذلك التكامل في المجال الموسيقي كما استطاع ان يظهره ايضا في شجاعة ضد الطغيان الذي استولى على المانيا في ذلك الوقت . وقد رفض ايضا ان يجد نفسه عضوا في حركة ترتكز على معاداة الانسانية، ففضل عليها المنفى . ولكنه عقب انتهاء الحرب كان بين اول العائدين الى وطنهم . وهناك وجد جمهورا كبيرا متحمسا يقبل على مؤلفاته الموسيقية .

اما حياته الموسيقية فتمتزج بظهور الموسيقى الحديثة . فقد تطورت موسيقاه الى الجلاء والوضوح بعد ان كان الصخب والضجيج يميزان اعماله الاولى . وعندما استطاع ان يؤمن بان الفنون يجب ان تساير التقدم الذي انتقل بالعالم من العربة التي تجرها الجياد الىالطائرة التيتحلق في الفضاء ، لم تكن بغيته معارضة الجمهور فيما يألفه من موسيقى . بل على العكس من ذلك برهن على ان فياستطاعة الموسيقى ايضا ان تستخدم الاصوات الحديثة الصادرة من عالم جديد دون ان تجنح في ذلك عن تقاليدها او تلقي عليها ستارا من الاهمال .

وعلى الرغم من ان هندميث يعتبر من الخلفاء الحقيقيين للموسيقي ريتشارد ستراوس بل واحد معلميها الاوائل ، فان كل هذه الصفات لم تفقده تواضعه وبساطته . والى ذلك فان سجاياه الكريمة كانسان كبير وعبقريته الفريدة ، جعلت منه انسانا عزيزا يستأثر القلوب . ولعل بساطته الكبيرة تعود في معظمها الى تجاربه حينما كان معلما ، فقد كرس قسطا كبيرا من وقته لاعداد اجيالجديدة من الموسيقيين ولم يتردد في كتابة بعض المقطوعات لفرق موسيقية مدرسية .

ونعلم ايضا ان بول هندميث لحن لمنظمة اليونسكو « نشيد الامل » الذي الفه بول كلوديل . وعندما عزف ذلك النشيد لاول مرة خلال مؤتمر اليونسكو بمدينة بروكسل طلب هندميث الى الجمهور ان يشترك في الانشاد مع الفرقة الموسيقية .

وعلى الرغم من اعجاب هندميث الشديد بالموسيقيين الكبار ، فقد اتجه بكامل قواه نحو المستقبل ، بل يعد مصدرا للايحاء والالهام بالنسبة للجيل الموسيقي الجديد . وقدكتب هندميث في ذلك يقول « سوف يأتي ذلكاليوم الذي نجد فيه هؤلاء الموسيقيين الحقيقيين الذين نفتش عنهم . وعند ذاك سوف يعطينا هؤلاء تلك الموسيقى العظيمة التي تعبر عن عصرنا الحديث ، وهي موسيقى ولا شك اعظم من زماننا ، وعن طريقها سوف تحيا ذكرانا وتظل باقية في التاريخ » .

فرانسيسكو تانزير

المدينة الجامعية في المكسيك

●

كان يطلق في العصور الخوالي(1) علىمعاهد العلم الكبرى اسم « دار الدروس العامة » Studium Generale ولم يستعمل اسم الجامعة Université بمعناه الحديث الا في اواخر القرن الرابع عشر .

ويهمنا ان نذكر من جامعات تلك العصور الشهيرة جامعة بغداد التي رأت النور في القرن السابع ، وجامعة قرطبة العربية عاصمة الاندلس المؤسسة ما بين اواخر القرن الثامن وبداية التاسع الذائعة الصيت بمكتبتها التي كانت تحوي ٢٢٥ الف مجلد من المؤلفات النفيسة .

اقدم الجامعات

اما اقدم جامعة في اوروبا فهي جامعة سالرنو Salerno في ايطاليا تأسست في القرن التاسع ، وجامعتا باريز ومونبيليه في القرن الثاني عشر ، ثم جامعة اكسفورد في انكلترا التي انشأت على مثال جامعة باريز وفي الوقت نفسه وضع الحجر الاساسي لجامعةكامبردج ، وذلك في القرن الثاني عشر ايضا . اما جامعة تولوز الافرنسية فتعتبر اول جامعة على الاطلاق نالت الاجازة البابا وية الرسمية سنة ١٢٣٣ .

ثم تأسست جامعة سلمنكاSalamanca في اسبانيا عام ١٢٤٣ ، وبعدها جامعة فينا سنة ١٣٦٤ ، وجامعة هايدلبرغ Heidelberg عام ١٣٨٥ وهي اقدم جامعات المانيا .

في اميركا .

اما في اميركا الشمالية فتعتبر جامعةهارفرد في الولايات المتحدة المؤسسة عام ١٦٣٦ اقدم جامعاتها . وانما تعتبر جامعة المكسيك اقدم جامعات العالم الجديد أي الامريكتين الشمالية والجنوبية على الاطلاق ، وقد تأسست عام ١٥٥١ وفي آن واحد مع جامعة ليما عاصمة جمهورية البيرو Line-Pérou وكان مقرها في قلب العاصمة ، وجل اساتذتها حينذاك من رجال الاكليروس الاسباني ، ولما اصبحت دوائرها عديدة متفرقة في انحاء العاصمة لدرجة اذا شاء الزائر او الطالب الطواف بها لوجب عليه ان يقطع اربعماية كيلومتر ونيفا ، رؤي من الضروري ضم الدوائر المتشعبة المنتشرة هنا وهناك على صعيد واحد وخارج العاصمة .

فاختمرت الفكرة وبرزت الى حيز العمل فشيدت المدينة الجامعية موضوع حديثنا على

---

(1) حديث اذيع من محطة بيروت

مسافة ستة عشر كيلو مترا من قلب العاصمة تضم ثلاثين بناية معظمها ناطحات السحاب . وقد اشتغل في تجهيزها عشرة الاف بناء ومهندس و١٥٦ معلم معماري ، واثنا عشرمصور ونحات من ذوي الشهرة العالمية . وبلغت نفقة المدينة الجامعية ١٧٥ مليون ليرة لبنانية ، وقد وضع حجرها الاساسي في ٥ حزيران ١٩٥٣ ، وبدأت الدوائر بجملتها العمل الرسمي السنة الفائتة . واذا شئت الطواف فعليك ان تقطع مسافة مئتي كيلو متر .

عمل جبار

ان هذا البناء الفخم يعد اضخم واكبر ما شيدته المكسيك بعد الاهرامات التي بناها الهنود الاصليون في القرن الخامس عشر . وهذه الاهرامات على مقربة من العاصمة وهي على مثال اهرامات مصر ولكنها اصغر منها حجما . اما اهرامات المكسيك في مدينة يوكاتان وتشولولا ، فتعد اضخم واعظم من اهرامات مصر .

يلفت نظر زائر المدينة الجامعية بناءان .

الاول ـ المكتبة المؤلفةمنطبقات عدةوواجهتها شقة واحدة لا نافذة لها مبنية من حجارة ذات الوان طبيعية مختلفة ترمز الى تاريخ البلاد قبل وبعد الفتح الاسباني ، ويتوسط واجهة المكتبة اسم الجامعة وشعارها من لفظفيلسوف اميركا اللاتينية المحامي المكسيكي صديقي خوسه فاسكونسالس لما كان وزير المعارف .

«Per mi naza hubla el espiriti»

« الروح تتكلم عن امتي » وهي تدل كل الدلالة على احساس الشعب المكسيكي المرهف وقوة ايمانه بالروحانية وحيويته ، ويحمل هذا الشعار سائر شهادات واوراق الجامعة على الاطلاق .

والبناء الثاني ـ مدرج الملعبالرياضي المعدود ومن ارحبمدارج العالم يسع ١١،٠٤٤٤ مقعدا، مجهزا باحدث ادوات التنوير ومكبرات الصوت . وكذلك انشاءات بنايتين متلاصقتين، واحدة للاشعة الكونية واخرى للطاقة الذرية .

٣٦ الف طالب

تعد الجامعة المكسيكية في الدرجة الاولى بين جامعات العالم ، وتضم الان بين جناحيها زهاء ستة وثلاثين الف طالب ، خمسة الاف منهم تقريبا من الاجانب ، وخمسة الاف تلميذ طب .

لا يمنح طالب الطب فيها الاجازة القانونية بعد انهاء دروسهمدة السنوات الستالمفروضة، ما لم يصرف سنة كاملة في داخلية البلاد للخدمة الاجتماعية وذلك في الجهة التي تعينها له الجامعة ووزارة الصحة ، فتخدم هكذا المناطق النائية المحرومة ، ويفيد الطبيب معرفته وحالته المادية، وعليه بعد ذلك ان يقدم اطروحة عن اختباراته تكون مدار البحث قبل حصوله على الشهادة .

والى جانب المدرسة الطبية في المدينة الجامعية ، تقوم تسع مدارس سواها في الولايات المتحدة الداخلية تخرج معا نيف وخمسماية طبيب كل عام ، لبلاد سكانها ثلاثون مليون نسمة .

ولمعاهدها الطبية الاختصاصية شهرة واسعة، خذ مثلا : معهد امراض القلب والاوعيةالدموية ومعهد الامراض السارية ، ومعهد الاطفال ، ومعهد التغذية، ومعهد الجهاز الهضمي، وهذا الاخير في طريق الانجاز، وهذه المعاهد هيخارج المدينة الجامعية تبعد عنها نحو عشرة كيلو مترات .

اشتهر اساتذة الجامعة الطبية في الجراحة فهم لاشهر جراحي العالم انداد ، وكونوا لهم مدرسة معروفةباسمهم ، واحداساتذتها الجراح خيا غونسالس كان اول من اجرى عملية استئصال الموثة « البرستات » في تاريخ الجراحة .

عشرة ملايين ليرة

اما ميزانية الجامعة فتبلغ عشرة ملايين ليرة لبنانية في الوقت الحاضر تساهم فيها الحكومة، حال كون الجامعة مستقلة تماما منذ عام ١٩٢٩، وهي بالتالي ملك الشعب ، ومرمى الجامعة الرئيسي تسهيل العلم للطلاب فقدخفضتراتبها السنوي الى ٦٥ ليرة لبنانية .

ان عشرة بالماية من اساتذة الجامعة يكرسون كافة اوقاتهم لها . والباقون يدرسون قسما من الوقت . والبعض من هؤلاء يدرسون لشرف وشهرة التحاقهم بالجامعة . وان القارىء ليدهش اذا عرف ان الاستاذ يتقاضى ثلاثين ليرة لبنانية شهريا فقط . والجامعة تقدر مهنة التدريس اشرف مهنة وساعية الى ضمان جماعي لاساتذتها .

وعلى راس الجامعة اليوم الدكتور نابور كاريو ، وهو مدير نشيط متفهم ، عاملوشعاره « ان لا حاجز يقف في سبيل القيم ، ومحبة الانسانية والايمان بمستقبل الوطن » .

الجالية اللبنانية

وقد كانت المدينة الجامعية موضوع اعجاب وحديث اعضاء الوفود الى المنظمة الصحية العالمية ، حيث عقدوا مؤتمرهم العام الماضي . واني اذكر كلمة رئيس الوفد الهندي فيخطابه الافتتاحي اذ قال : « انها اهم واعجب مدينة جامعية في العالم ، وهي بالحق مفخرة للعلم وللمكسيك ولشعبها الناهض . »

ان الجالية اللبنانية في المكسيك التي يربي عددها الخمسة والثلاثين الفا جرت على نهج اسلافها في الوطن الام ، في الشغف بطلبالعلم، والبذل في سبيل اغترافه من مصادره مهما كلف ذلك من تضحية . وانك لترى التاجر الذي يقهر نفسه ويجمع الثروة بكد السنين يبذل بسخاء وطمانينة على تعليم اولاده ولا يرضى لهم الا العلم العالي ميراثا ومتاعا . ويود ان يشاهدهم حاملي شهادات محترمة في الطب والمحاماة ، والهندسة ، والكيميا الخ.. وقد بلغ عدد متخرجي جامعاتالمكسيك من ابناء الجالية فوق الخمسماية منهم مائة طبيب يتعاطون المهنة في العاصمة ، وبعضهم لمع في سماء العلم ولفت الى كفائته الانظار فاسند اليه كرسي التعليم في الجامعةوالبعض برز في اختصاصه ، والبعض الاخر تعاون وانشأ مستشفيات خاصة ، والبعض الاخر كتب وحاضر والف .

اطباء وعلماء

وهذه النواة العلمية هي بالفعل وبالحق دعامة الجالية ومفخرتها واليها يرجع الفضل في انتزاع احترام وتقدير ومحبة رجال العلم والادب المكسيكيين للبناني ، وبالتالي للوطن اللبناني الاصلي . فقد برهن اللبناني المهاجر انه ليس تاجرا لامعا فحسب ، بل هو لامع كذلك في شتى الحقول ، وليت يسمح لي الوقت فاحدثكم عن بعض افراد الجامعيين اللبنانيين ، انما يطيب لي ان اذكر كمثل صالح ان مهاجري بلدة تنورين الذين يبلغ عددهم الثلاثماية نفس تقريبا قد ضربوا الرقم القياسي فتخرج منهم اثنا عشر طبيبا وستة محامين وسنعود في المستقبل القريب الى التوسع في هذا الموضوع فالى اللقاء .

وليم نعمة

حديث مع البير أديب

●

- البير اديب
- في شخصيته
- وفي مجلته
- وفي ادبه وشعره الطلق

حل البير اديب ، في الصحافة ، وفي الادب ، نديا حبيبا ، لا هم له الا ان يقدم الروائع كما هي ، للناس ، سواء جاءت على يده او على يد الناس انفسهم ، ودون ما اعتبار او اكترات ، بالضجيج الذي تعودنا ان نراه يرافق كل حركة او كل مشروع ادبي في هذا البلد .

ومع انه لم يسع ولا يسعى الان ، ان ينبه الناس لوجود « فكرة قامت » هي « الاديب » ، فان الاديب نفسها بما اشتملت عليه ، منذ قيامها ، من ادب ، ونتاج ، قد جعلت الناس يلتفتون اليها ، ويمدونها بالحياة .. حياة الفكر ، وحياة الاستمرار للعيش في سبيل الفكر ..

واليوم ، وقد مرت على « الاديب »ذكرى تأسيسها الخامسة عشرة ، رأت « الدبور »ان تتصل بالاستاذ البير اديب ، منشىء «الاديب» ورئيس تحريرها ، وتتحدث اليه في هذا الموضوع ، وتجعل من هذا الحديث مناسبة للتعريف ببعض الحقائق الخافية عن هذا المشروع ..

سألناه عن شعوره لمناسبة دخول الاديب في عامها الخامس عشر ، فابتسم ، يستعيداحلامه البعيدة ، وبسط نظارتيه امامه ليقول :

– ان هذه الذكرى ، في نظري وشعوري اليوم ، هي استمرار لفكرة قامت ، ونوع من الاطمئنان الذاتي السعيد . ذلك انه عندما تمر مثل هذه السنوات على مجلة ادبيةفالامل في بقائها وانتشارها يكون اشد واقوى في المستقبل ..

قلت : الى اي مدى تنتشر « الاديب » وتفعل في المحيط العربي والخارجي ؟

فقال : ان انتشار « الاديب » اصبح عاليه ، فمجموعاتها موجودة بكاملها في اكبر المجامع الادبية والعلمية العالية سواء في اميركا اوفي اوروبا او في آسيا . وقد اصبحت تعتبر مرجعا للباحثين الاجانب في تاريخ الحركة الادبية والفكرية العربية .

واستطاعت « الاديب » ان تجمع اقلام كتاب العرب وادبائهم على صفحاتها ، فكانت بذلك ، سجلا صادقا للحركة الفكرية والادبية .

ومما يثلج صدري ان ارى كثيرا من المقالات والابحاث والانباء التي تنشر في « الاديب » تترجم الى عدة لغات اجنبية وتنشر فيالصحف العالمية من اسبانية وايطالية ، وانكليزية والمانية وغيرها ...

قلت : هل تلاقي تشجيعا من قبل الدولة للاستمرار في مشروعك ولتقويته ؟

– كلا . فبينما نرى ان « الاديب » مقررة في مدارس البلاد العربية ، نجد هنا ، ان مصلحة الثقافة في وزارة التربية الوطنية ،وقد كانت مشتركة بعدد واحد ، الغت هذا الاشتراك ، لعدم وجود اعتمادات ..

وانا اقوم بجميع اعمال المجلة الادارية والتحريرية بمفردي ، لان القومات المادية لا تسمح لي بان استعين بغيري !

– وكيف تستطيع العمل والاستمرار في مثل هذه الاوضاع ؟

– يعزيني عن ذلك التقدير الذي تلاقيه « الاديب » ، في مختلف الاوساط الثقافيةفي الخارج ، حتى ان صاحبها ، اصبح عضوا في اربع اكاديميات عالية ...

وهو الوحيد ، بين الادباء العرب ، الذي جيء على ذكر اسمه ، في المعجم العالمي للادباء !

– هل لديك مجموعة شعرية للنشر ، كمجموعة « لمن ؟ » ولماذا انت مقل في شعرك ؟

– كان لدي مجموعة ثانية، كمجموعة «لمن؟» لا بل كانت تفوقها قيمة شعرية وادبية في نظري ، غير ان سلطات الانتداب فتشت مكتبي مرة منذ اثنتي عشرة سنة ، وسطت على اوراقي بما فيها المجموعة . وقد حاولت استردادها عدة مرات فلم اوفق ، وقيل لي انهم احرقوها .

اما مجموعتي « لمن ؟ » فقد ترجمت ، حتى الان ، الى الايطالية والفرنسية والاسبانية والانكليزية وستترجم قريبا الى « الاوردو » .

* * *

ويستمر البير اديب ، في عالمه الخاص ، ومجلته الخاصة ، يعيش بين الناس ، قريبا اليهم ، وبعيدا عنهم في وقت واحد ، ولا هم له الا ان تكون « الاديب » ، وانما كما يريد لها ، والا ان يستطيع ، في المستقبل ، ان يقدم للناس ، مجموعات اخرى ، من الشعر الطلق ، كمجموعته الطيبة « لمن ؟ » .

[الدبور] «ج ...»

مخطوطة قانون الطب لابن سينا

●

من احدث المكتشفات التي حصلت عليها شعبة حفظ المخطوطات لدى اكاديمية العلوم الازربيجانية ، مخطوطة قديمة ، هي الجزء الثاني من كتاب « القانون في الطب » للعلامة والفيلسوف والطبيب الذي عاش في القرن العاشر ، ابي علي بن سينا . ويعود عهد المخطوطة هذه الى سنة ٥٣٧ هجرية ، ويرجح ان هذه المخطوطة هي اقدم جميع النسخ المعروفة عن كتاب « القانون » في الاتحاد السوفياتي .

ومعلوم ان « القانون في الطب » لابي علي بن‌سينا هو مصنف في الطب حاز شهرة كبيرة في القرون الوسطى وظل مدة طويلة يدرس في المدارس ويعتبر مرجعا لا في الشرق‌وحسب بل في اوروبا كذلك كما ان الاطباء كانوا يدرسونه حتى القرن السابع عشر . وبالنظر الى ان هذه المخطوطة قد كتبت بعد مضي ١١ سنوات على وفاة العالم ، فهي دون شك اقرب مثيلاتها الى نص الكتاب الاصلي .

والجدير بالذكر ان هذه المخطوطة قدمها الى شعبة المخطوطات المدرس ج. غايبوف بعد ان ظلت زمنا طويلا الكتاب الملازم لابيه الذي كان يتعاطى الطب في مدينة شوشه في قرباخ .

والمخطوطة ، وهي بحالة جيدة جدا ، مكتوبة بالحبر الصيني وبالخط النسخي القديم (وهو شكل من اشكال الخط انتشر خاصة في القرن الثاني عشر وحل محل الخط الكوفي) وانشاء المخطوطة والورق الذي كتبت عليه ، يثبتان صحة التاريخ المكتوب باحرف كبيرة في آخرها . وتوجد في اخر المخطوطة ترجمة وضعها ابو علي بن سينا لبعض مصطلحات عقاقيرية واردة في نص المخطوطة ومقتبسة من اليونانية ومن لغات اخرى . وفيها كذلك لائحة المعايير المستعملة في القرن الثاني عشر .

وقدم ج. غايبوف الى شعبة المخطوطات ايضا وثائق نفيسة اخرى عن الطب «الشفا» لابي علي بن سينا ، والجزء الاول من كتابه القانون (نسخة تعود الى اخر القرن الثالث عشر) وشرح « القانون » للطبيب قطب الدين الشيرازي وكتاب الطب لمحمود بن الياس الشيرازي وغيرها .



١٧ يناير ١٩٥٦ – تسلمت الاردن اقتراح الحكومة السعودية بعقد اجتماع لرؤساء دول مصر وسوريا والاردن والسعودية لبحث مشروع مساعدة مالية الى الاردن وقد اوضح بلاغ رسمي للحكومة السعودية ان المساعدة المالية المنوي تقديمها تهدف الى جعل الاردن قادرة على الصمود بوجه الاعتداءات الصهيونية وذلك بالحلول محل المساعدة المالية التي تتلقاها الاردن من بريطانيا .

١٨ – اعلن الدكتور حسين الخالدي وزير خارجية الاردن ان موافقة الحكومة على العرض المصري السعودي لا تتنافى والمساعدة المالية التي تقدمها بريطانيا للاردن وسيظل الاردن ينال المساعدة البريطانية في حال موافقته على نيل المساعدات العربية .

– نفذ حكم الاعدام بنواب صفوي زعيم فدائيان اسلام وثلاثة من انصاره الذين قضت المحكمة العسكرية باعدامهم بتهمة الاغتيال السياسي والتآمر على الحكومة والشاه .

– وافق مجلس النواب في المانيا الشرقية على انشاء جيش وطني شعبي ووزارة للدفاع .

١٩ – امر النائب العسكري بطهران باعتقال آية الله الكاشاني بتهمة المساهمة باغتيال الجنرال رازمارا رئيس الوزارة الايرانية السابق الذي اغتالته جماعة فدائيان اسلام .

– ادان مجلس الامن بالاجماع اسرائيل بالعدوان على سوريا وهددها باتخاذ تدابير تاديبية ضدها اذا لم تحترم اتفاق الهدنة .

– وافق مجلس الجامعة العربية على انضمام السودان الى عضوية الجامعة وهو الدولة التاسعة في هذه المنظمة العربية .

٢١ – وصل الى القاهرة داغ همرشولد الامين العام لهيئة الامم المتحدة في زيارته للشرق الاوسط وتؤكد الانباء ان الامين العام سيعرض في رحلته مشروعا جديدا لتسوية النزاع بين الدول العربية واسرائيل .

٢٣ – صرح المستر داغ همر شولد اثر انتهاء مباحثاته مع الجانب الاسرائيلي ان مصر قد قبلت مشروعه بتخفيف حدة التوتر على الحدود الفاصلة بينها وبين اسرائيل .

٢٤ – فاز المسيو اندريه لوتروكيه مرشح الحزب الاشتراكي برئاسة الجمعية الوطنية الفرنسية .

٢٥ – قدم المسيو ادجار فور رئيس الوزارة الفرنسية استقالة حكومته .

٢٦ – كلف المسيوجي موليه بتاليف الحكومة الفرنسية الجديدة وهو سكرتير الحزب الاشتراكي

٢٧ – اعلنت المصادر الفرنسية الرسمية ان فرنسا ابلغت امريكا وبريطانيا انها تعارض توسيع حلف بغداد وتؤيد اعداد برنامج اقتصادي لاعانة دول الشرق الاوسط دون ربط هذا البرنامج بحلف بغداد .

– اعلن في وشنطن ان رسالة المارشال بولغانين رئيس الحكومة السوفيتية الى الرئيس ايزنهاور التي وصلته اخيرا تتضمن اقتراحا بعقد معاهدة بين الدولتين .

٢٨ – رفض الرئيس ايزنهاور في رده على المارشال بولغانين قبول العرض الذي اقترحه قائلا ان الولايات المتحدة وروسيا مرتبطتان الواحدة مع الاخرى بمعاهدة مضمونة وهي ميثاق الامم المتحدة .

٣٠ – وصل السير انطوني ايدن رئيس الوزارة البريطانية الى وشنطن وقد بدات المحادثات بينه وبين الرئيس ايزنهاور بصدد ازمات الشرق الاوسط والخطة الواجب اتباعها لوقف هجوم السوفييت في الحرب الباردة .

٣١ – وجه البانديت نهرو رئيس الوزارة الهندية نداء ناشد فيه العالم التفكير من جديد في التعايش السلمي وقال ان اتباع اي طريق اخرى يعني التدمير بالجملة .

– فازت حكومة الرئيس جي موليه بثقة الجمعية الوطنية الفرنسية والوزارة مؤلفة من الاشتراكيين والراديكاليين .

اول فبراير ١٩٥٦ – اختتمت المحادثات الامريكية البريطانية بين الرئيسين ايزنهاور وايدن وقد صدر بلاغ مشترك ومما جاء فيه ان السلم بين الدول العربية واسرائيل ضروري لاستقرار الشرق الاوسط واكد ايزنهاور وايدن تمسكهما بالبيان الثلاثي الصادر عام ١٩٥٠ واسفرت المحادثات عن تقارب وجهات النظر ازاء مشاكل الشرق الاوسط ولكن ما يزال بعض الخلافات بينهما بالنسبة لمشاكل الشرق الاقصى .

٢ – احتجت الدول العربية بواسطة سفرائها في وشنطن على المقررات المتخذة حول الشرق الاوسط في مباحثات ايدن – ايزنهاور دون استشارة الدول العربية او موافقتها .

– وصل الى بيروت السيد سمير الرفاعي رئيس وزراء الاردن وهو يحمل رسالة من الملك حسين الى رئيس الجمهورية اللبنانية .

– تلقى الرئيس ايزنهاور رسالة جديدة من الماريشال بولجانين تتعلق بعقد معاهدة صداقة بين البلدين .

٥ – وصل بغداد السيد سمير الرفاعي رئيس الوزارة الاردنية بعد ان زار دمشق . وقد قدم الى الملك الفيصل رسالة الملك حسين التي تتضمن اقتراح عقد مؤتمر للرؤساء والملوك العرب في عمان .

٦ – قدم الجنرال كاترو استقالته من منصب وزير مقيم للجزائر بعد ان قوبل تعيينه بحملة عنيفة شنها الفرنسيون المستوطنون اذ يعتبرون تعيين كاترو دليل تراجع امام الثوار الجزائريين .

– استقبل المسيو جي موليه رئيس الحكومة الفرنسية بتظاهرات صاخبة من الفرنسيين لدى وصوله الى الجزائر واقفلت المدينة وقذف الرئيس بالخضراوات المهترئة .

٧ – قرر مجلس الامن قبول طلب انضمام جمهورية السودان الى عضوية الامم المتحدة .

٨ – بدات في وشنطن المحادثات بين امريكا وبريطانيا وفرنسا لدراسة شؤون الشرق الاوسط واوضاعه وقد جرت مناقشة امكانات العمل العسكرية والسياسية لمواجهة اية احداث طارئة في الشرق الاوسط .

١٠ – وصل الى القاهرة السيد سمير الرفاعي رئيس الوزارة الاردنية وقدم الى الرئيس جمال عبد الناصر رسالة من الملك حسين .

١١ – انذر ماريشال الجو السوفييتي سكريبو بريطانيا بان اي هجوم ذري على روسيا سيحمل الاتحاد السوفييتي على ضرب قلب انجلترا بالقنابل الذرية .

١٣ – اعلن الاتحاد السوفييتي ان له علاقة مباشرة بكل ما يتعلق بمشاكل الشرق الاوسط وانه لا يمكن استخدام اية قوة في هذه المنطقة دون موافقة مجلس الامن . واصدر الاتحاد بيانا يعتبر ردا على البيان الثلاثي الصادر ١٩٥٠ وبيان ايزنهاور وايدن الاخير .

١٥ – في حين بدات امس المفاوضات المراكشية الفرنسية لحصول مراكش على استقلالها تدخل العلاقات التونسية الفرنسية طورا جديدا فقد طلبت تونس تعيين موعد للمفاوضة لاعطاء تونس استقلالا تاما .

مطبعة « الشراع »
الحازمية – بيروت